Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

PT 15
madam
27/4/45
C
172

دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

ديوان صردر

نظم الشاعر

الرئيس أبى منصور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل

الشهير بصرّ درّ

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

AIGNUJOO
VTIBRVIVU
VIAVBLI

893.75a75
L

45-39141

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

45-33141 March 15, 1947 EM/MLF

فهرس

قوافى ديوان صَرَّ دُرّ

قصائد هـذا الديوان غير مرتّبة فى الأصل على الحروف الهجائيّـة، فطبعناها كما هى، ووضعنا لها هذا الفهرسَ على الترتيب الهجائىّ لسهولة المراجعـةِ فى هذه الطبعـة، والحروفُ الهجائيّةُ التى لم تُذكَر هنا لا يوجدُ منها شىءٌ للشاعر فى هـذا الديوان.

قافيـة الهمزة ١١٨ — ١٢٢، ١٣٥ — ١٤٠

« البـاء ٤٢ — ٤٣، ٦٣ — ٦٦، ٩٣ — ٩٩، ١٢٨ — ١٣١، ٢٠٠ — ٢٠١، ٢١١، ٢١٦ — ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٢

« التـاء ١٩٢

« الثـاء ٢١٢

« الجـيم ٢١٩ — ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣١

« الحـاء ٢٢٤، ٢٣٠

« الدال ٣٨ — ٤٢، ١٠٥ — ١١٠، ١٣١ — ١٣٤، ١٥٨ — ١٦١، ١٨٩، ١٩١، ٢١٠ — ٢١١، ٢١٣ — ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٠

« الراء ٢٧ — ٣٠، ٤٨ — ٥٢، ٥٦ — ٦٢، ٧٦ — ٨٨، ١٠٣ — ١٠٤، ١٥٣، ١٧٦ — ١٨١، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦ — ٢٠٠، ٢٠٣ — ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٢ — ٢٢٣

قافيـــة الزاى ١٥٣
« السين ١ — ٦، ٩٢ — ٩٣، ٢٢٦، ٢٣٠
« الصاد ٧٤ — ٧٦،
« الضاد ٤٤ — ٤٧، ٢٢٥
« الطاء ٢٢٨ — ٢٢٩
« العين ٦٦ — ٧٤، ١٦٢ — ١٦٦، ١٨١ — ١٨٣، ١٩٥، ٢٢٣
« الفـاء ١٩٤ — ١٩٥، ٢٠٥ — ٢٠٦
« القاف ١٠٢ — ١٠٣، ١١٠ — ١١٤، ١٢٣ — ١٢٨، ١٤٨ — ١٥٢، ١٥٣، ١٩١، ٢١٨، ٢٣١
« الكاف ٢٣١
« اللام ٢٢ — ٢٦، ٣٠ — ٣٤، ٩٩ — ١٠٢، ١٤٥ — ١٤٨، ١٥٢، ١٥٤ — ١٥٨، ١٦١ — ١٦٢، ١٦٧ — ١٧٦، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٢ — ٢٠٣، ٢٠٩ — ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧ — ٢١٨، ٢٢٠ — ٢٢٢، ٢٢٩
« الميم ٣٤ — ٣٨، ٨٨ — ٩٠، ١١٤ — ١١٨، ١٨٤ — ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٦ — ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٤ — ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٢
« النون ٧ — ٢٢، ٥٣ — ٥٦، ٩٠ — ٩١، ١٤٠ — ١٤٤، ١٩٠، ١٩٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٦
« الهـاء ٢١٦، ٢٢٦ — ٢٢٧

ديوان صَرَّ دُرّ

أخرجتْ دارُ الكتب المصريّة هذا الديوانَ النفيسَ للشاعر المشهور، والكاتب المعروف "بصَرَّ دُرّ" فى عصرِ حضرة صاحبِ الجلالة مليك مصر المعظَّم

"فؤاد الأوّل"

حفِظه الله وأقرَّ عينَىْ جلالتهِ بولىِّ عهده المحبوب

"أمير الصعيد"

صَـــرَّ دُرّ

طالعنا طائفـةً كثيرةً من الكتب الأدبيّة والتاريخيّة لنقفَ منها على ما تحدِّثُنا به عن حياةِ هذا الشاعر، وإنا لنذكرُ من هذه الكتب "مرآة الزمان" و"النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة" و"شذرات الذهب" وتاريخ آبن كثير المسمَّى "البداية والنهاية"، وكتاب "وفيات الأعيان" و"المنتظم، فى تاريخ الملوك والأمم" و"الكامل" لآبن الأثير. وقد ورد آسم هـذا الشاعر فى بعض هـذه الكتب مضبوطا بالقلم بفتح "الصاد" وورد فى تاريخ "الكامل" و"المنتظم" مضبوطا بضمّها. ويظهـر أنّ المرحوم البارودى كان من المرجّحين ضـبطه بالفتح إذ ضبطه كذلك فى غير موضـع من مختاراته. ونحن ليس لدينا ما نستيقن به وجه الصواب فى ضـبطه. بَيْدَ أنّ البيتين اللذين قالهما "الشريف أبو جعفر المعروف بالبياضىّ" وهو أحد الشعراء المعاصرين لصاحب الترجمة يهجوه بهما يرجّحان فتح "الصاد"، وهما :

لئن لقَّب الناسُ قِدْما أباكَ ... وسمَّوْهُ من شُحّه "صَرَّ بَعْرا"
فإنكَ تنـثُرُ ما "صَـرَّه" ... عُقوقا له وتُسمِّيه شِـعرا

* * *

وأمّا سيرة حياته فقد آتفقتْ هـذه الكتب على ترجمةٍ كادت تكون متشابهةً فى جُمَلها وألفاظِها، ونحن ننقُلُها هنا عن كتاب "وفيات الأعيان" قال :

"هو الرئيس أبو منصـور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب المعروف والشاعر المشهور "بصرَّ دُرّ"، أحد نجباء عصره، جمع بين جَودةِ السبكِ وحُسن المعنَى،

وعلى شـعره طُلاوةٌ رائقة، وبهجةٌ فائقـة ، وله ديوانُ شعرٍ صغير، وإنما قيل له "صرَّ دُرّ" لأن أباه كان يُلقَّبُ "صرَّ بَعْر" لشُحِّه، فلمّا نبغ ولدُه المذكور، وأجاد فى الشعر، قيل له : "صرَّ دُرّ"[1].

وكانت وفاتُه سـنة خمس وستين وأربعمائة هجرية ؛ وكان سببُ موته : أنه تردَّى فى حُفرةٍ حُفرتْ لأسـد فى قريةٍ بطريقِ خراسان ، وكانت ولادته قبل الأربعمائة" . اهـ .

* * *

وقد نُقِلت هذه الطبعة عن نسخةٍ خطيّة كتبها لنفسه بقلمه المرحوم محمود سامى البارودى باشا، وهى محفوظةٌ بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٥٠٨ أدب. واحتفاظا بخطه رحمه الله نقلنا له بالتصوير الشمسىّ نبذة بخط يده لتكون خير أثر له على ممرّ الأيام، وهى النبذة المذكورة فى صفحة ٢٣٤

وقـد شرحنا ما غمض من الكلمات شرحا وافيا يقرِّب معانىَ الأبيات الى الأذهان. ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نُهدىَ آىَ الشكر الى حضرتَى صاحب العزّة المربّى الكبير محمّد أسعد برّاده بك مدير الدار، وصاحب الفضيلة السيّد محمد البيلاوى نقيب الأشراف ومراقب إحيـاء الآداب العربيّة، لمـا قاما به نحونا من إرشاد، وما شملانا به من رأيٍ تحيط به الأصالةُ والسـداد . ونشير كذلك الى المعاونة التى لقيناها من حضرة الأسـتاذ أحمد زكى العـدوى رئيس القسم الأدبىّ بدار الكتب المصريّة ومن حضرات العلماء والأدباء المصححين به ، فلهم منا جميعا أجزل الثناء وأجمل الإطراء ؛

أحمد نسيم
بدار الكتب المصرية

(١) أول من لقبه بهذا اللقب نظام الملك، كما فى الكامل لابن الأثير .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرئيسُ [أبو علىّ][1] أبو منصور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب رحمه اللهُ يمدحُ الإمامَ القائمَ بأمرِ الله[2] — قدّس اللهُ ضريحَه — :

كما قلتُما : بُرءُ الصبابةِ فى اليأسِ ... وليس لها غيرَ التجلُّدِ من آسِ[3]

فما فى الهوى مَرعًى يطيبُ لذائق ... ولا مَوردٌ عذبٌ يَلَذّ به حاسِ[4]

سؤالُ مغانٍ[5]، ربعُها أخرسُ الصَّدَى[6]، ... وشكوَى إلى مَن قلبُه ليِّنٌ قاسِ

أيَبيَضَّ فَرعى والجوى فى جوانحى[7] ... كأنّ الهدى ياقلب مسكنُه راسِ

وما هذه اللّمّاتُ[8] إلا صحائفٌ ... محاها بياضُ الشّيب عن لونِ قِرطاسِ[9]

كأنّ الرُّقَى مما عدِمت شفاءَها ... تعلّمها الراقون من بعدِ وَسواسِ

مَددتُ يدًا نحوَ الطبيب فردَّها ... إلى النَّحر وٱستغنى بإخبار أنفاسى

وما زال هذا البرقُ حتّى ٱستفزّنى ... سَنَا[10] كلِّ وقّاد ولو ضوءُ نِبراسِ[11]

وليلِ وِصالٍ أسرعَتْ خُطُواتُه ... بهجعةِ سُمّارٍ وغفلةِ أحراسِ

---

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فى المظان ما يؤيد ثبوتها . (٢) القائم بأمر الله : اسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله ، ولد سنة ٣٩١ هجرية وتولى الخلافة سنة ٤٢٣ هـ ومات سنة ٤٦٧ هـ ؛ ومكث فى الحكم ٤٤ سنة . (٣) الآسى : الطبيب . (٤) الحاسى : الشارب .

(٥) مغان : جمع مغنى وهو المنزل . (٦) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته .

(٧) الفرع : الشعر . (٨) اللمات : جمع لمة — بكسر اللام — وهى الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٩) القرطاس : الصحيفة . (١٠) السنا : الضوء . (١١) النبراس : المصباح .

فما قُصَّ للنَّسرين (١) فيه قوادمٌ (٢) ولا رُبِطتْ ساقُ "الثريّا" (٣) بأمراسِ (٤)

ضحوك ثنيّاتِ الصّباح تخالُه ضياءَ إمامِ الحقّ من آلِ "عبّاسِ"

هو الوارثُ النُّور الذى كان آيةً لآبائه الماضين من عهد "إلياسِ"

فلو لم يكن للناس فى الليل راحةٌ لضوءٍ (٥) من لألائه كلَّ ديماسِ (٦)

كأن "رسولَ الله" ألقَى رداءَه من "القائمِ" الهادِى على جبل راسِ

ضميرٌ جلاه صَيقلُ (٧) الحلم والتُّقَى وكفٌّ حباها الله بالجودِ والباسِ

ومحتجب بالعزّ لولا مكانه لرُجَّت نواحى هذه الأرض بالناسِ

زمانُ الورى فى ظلّه وجنابه كأيّام تشريق (٨) ولياتِ أعراسِ

رعاهم بروض الأمن غبَّ مخافةٍ وألبسهم ثوبَ الغنى بعد إفلاسِ

وراضَ الجموحَ (٩) للذَّلولِ (١٠) برفقه فما بينهم إلا موازينُ قسطاسِ (١١)

حِماهُ هو البيتُ العتيقُ، ظباؤه حرامٌ على عَبل (١٢) الذراعَيْن فتّاسِ

---

(١) النسران : نجمان يقال لأحدهما : النسر الطائر، وللآخر : النسر الواقع .

(٢) القوادم : عشر ريشات فى مقدّم الجناح، وهى كبار الريش، والخوافى صغاره وهى تحت القوادم، واحدها : قادمة .

(٣) الثريا : سبعة كواكب، سميت بذلك لكثرة كواكبها .

(٤) أمراس : جمع مرس وهو الحبل .

(٥) ضوء : أنار .

(٦) الديماس : المكان العميق الذى لا ينفذ إليه الضوء، وسمى سجن "الحجاج" بالديماس لظلمته .

(٧) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٨) أيام التشريق : هى ثلاثة أيام بعد يوم النحر، لأن لحم الأضاحى يشرق فيها .

(٩) الجموح : الذى لا يثنيه شىء .

(١٠) الذلول : المنقاد .

(١١) القسطاس : العدل .

(١٢) العبل : الضخم — والمراد به الأسد — .

فلو كان فيـه ناقـةَ اللهِ عاقرا ... أخو "وائلٍ" ماذاق طعنة "جسّاسِ" (١)

وما ضرّ من كان الإمامُ سحابَهُ ... تقاعُـــدُ لمّاعِ البـوارق رجّاسِ (٢)

لسيّارةِ المعـروف فى صُلبِ مالِهِ ... غنـائمُ لم تُقسم عليهـا بأخمـاسِ (٣)

له من صوابِ الظنِّ بالغيب مخـبرٌ ... ولا خيرَ فى رأى امرئٍ غيرِ حسّاسِ

وليس لأحقادٍ ذُكرنَ بذاكرٍ ... ولا لحقوق الله يُنسَيْنَ بالنّاسى

ولولاه كانَ الدِّين فقْعـا (٤) بقَـرقرٍ (٥) ... يُداسُ بأظلافٍ (٦) ويُفرَى (٧) بأضراسِ

سقاه ميـاه العـــز فاخضرّ مُورِقًا ... وأينعتِ الأفنـانُ (٨) فى عُودهِ العاسى (٩)

فلا تنشُروا للبـاطلِ اليـــومَ رايَةً ... وهل يُنشَر المدفونُ فى قَعر أرماسِ (١٠)

---

(١) هو كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه : أعز من كليب وائل ؛ والشاعر يشير إلى قصـته وهى بإيجاز : كانت البسوس خالة جساس بن مرة نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس وكان لها ناقة تسمى "سراب" فمرت إبل لكليب بسراب هـذه وهى معقولة فى فناء بيتها جوار جساس بن مرة ، فلما رأت "سراب" الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الإبل واختلطت بها حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معـه قوس وكنانة ، فلما رآها أنكرها و رماها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو ، فلما رأتها البسوس ألقت خمارها من على رأسها وصاحت : واذلاه وجاراه ، وأحست جساسا فركب فرسا له حتى دخل على كليب فطعنه جساس فقصم صلبه ، فقامت الحرب بسبب ذلك وهى الحرب المشهورة بحرب البسوس ؛ والعرب تقول فى ذلك : أشأم من سراب ؛ وأشأم من البسوس . ويقال : إنها دامت بين بنى بكر وتغلب أربعين سنة وانتهت بقتل جساس .

(٢) الرجاس : السحاب الشديد الصوت .

(٣) الأخماس : جمع خمس وهو نصيب يؤخذ فى الغنائم ، يقال : ربع فى الجاهلية وخمس فى الإسلام أى أخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية وخمسها فى الإسلام .

(٤) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ؛ يقال للذليـل : هو أذل من فقع بقرقر .

(٥) القـرقر : الأرض المطمئنة اللينة .

(٦) أظلاف : جمع ظلف وهو خف البعير ، أو حافر الفرس .

(٧) يفرى : يشق و يقطع .

(٨) الأفنـان : الأغصان واحدها فنن .

(٩) العـاسى : الذى غلظ وصلب من النبات .

(١٠) أرماس : جمع رمس وهو القبر .

يؤيده الرحمن فى كلِّ موقفٍ بنصر يعود الليثُ وهـو به خاسِ (١)

جيوشٌ من الأقـدارِ تُفْنِى عُداته بلا ضربِ إيثاخ ولا طعنِ أشناسِ (٢)

وكم شهـدَتْ يوما أغرَّ محجَّلا تُخلِّده الأقـلامُ ذِكرا بأطراسِ (٣)

يُشاكِلُ "بدرا" (٤) والملائكُ حُضَّرٌ ويذكُرُ جندا أُنزِلتْ يومَ "أَوْطاسِ"

وقـد علِم المصرىُّ (٥) أنَّ جنودَه سِنُو "يوسفٍ" منها وطاعونُ "عَمْواسِ"

أحاطتْ به حتَّى آستراب بنفسهِ وأوجس فيهـا خِيفـةً أىَّ إيجاسِ

قصورٌ على "الفسطاط" (٦) أضحتْ كأنها قفـارُ ربوعٍ "بالسَّماوة" (٧) أدراسِ (٨)

سهامُ "أميرِ المؤمنين" مَكايدٌ ورُبَّ سهامٍ طرن عن غير أقواسِ

هو المصطَفِى التقوَى متاعًا لنفسه بجـوهرِها حالٍ بسُندُسها كاسِ

إذا وطِئت شُوسُ الملوك بساطَه تضاءل منهـا كلُّ أغلبَ هِرماسِ (٩) (١٠)

تَخِـرُّ بِهِ شُمُّ الجماجم سُجَّـدا ويخشَعُ فيـه كلُّ ذى خُلُق جاسِ (١١)

(١) الخاسى : الصاغر الذليل . (٢) اثياخ وأشـناس : كذا بالأصـل ولعل الأولى "أثباج" جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر ؛ والثانيـة لم نوفق الى مراد الشاعر منها .
(٣) أطراس : جمـع طرس وهو الصحيفة . (٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينـة وبهـذا المـاء كانت الوقعـة التى أظهر الله بهـا الإسلام وفرّق بين الحق والباطل . وأوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبى صلى الله عليه وسلم . (٥) يشير الشاعر الى الغلاء الذى حصـل فى مصر أيام المستنصر العباسى . وعمواس : كورة بفلسطين بالقرب من بيت المقـدس ، وفيها كان ابتداء الطاعون فى أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم فشا فى أرض الشام فأهلك خلقا كثيرا وذلك فى سنة ١٨ من الهجرة . (٦) الفسطاط : مصر القديمة . (٧) السماوة : بادية بين الكوفة والشام . (٨) أدراس : بالية . (٩) الأغلب : الأسد الغليظ الرقبة .
(١٠) الهرماس : الأسد الشديد . (١١) الجاسى : الجافى .

يُحيُّون من جسم النبوّةِ بَضعَةً (١) هى القلبُ فى الحيزوم والعينُ فى الراسِ

ويَغشَون قَرْما من "لؤىّ بن غالبٍ" (٢) يعـدِّد فى أنسابه كلَّ قِنعاسِ

من الخلفاءِ الرافعين بناءهم بأطـولِ أعمادٍ وأثبتِ آساسِ

رعَتْ ذمَمَ الإسلام منهـم كوالئٌ (٣) وسيست أمورُ الملكِ منهم بسُوَّاسِ

نجومٌ إذا السارون ضلُّوا هدتهُمُ هـدايةَ نِيران رُفعن بقُرناسِ (٤)

قِداحُهُـمُ يومَ الفخار فـوائزٌ وأسهمُهم إن نازلوا غـيرُ أنكاسِ (٥)

همُ ملئوا الدنيا بطيبِ حديثهـم كما ملأ الأسماعَ قعقاعُ أجراسِ (٦)

كرهبانِ ليلٍ لا تلائمُ مضجَعا وأُسْدِ صباحٍ ما تقِـرُّ بأخياسِ (٧)

وما منهـمُ من ملَّك البِيضَ قلبَـه (٨) ولا طمِعتْ فى لُبِّه وثبـةُ الكاسِ

عَتـادُهم فى حَجِّهـم وجِهـادهم جراجرُ أجمالٍ وتَصهـالُ أفـراسِ (٩)

أولئـك آباء الإمامِ ورهطُـهُ أصـولُ كرامٍ زَيَّنتْ خيرَ أغراسِ

عَمِرتَ "أميرَ المؤمنين" بنعمةٍ وعيشٍ صفيقِ الظلِّ أخضرَ ميَّاسِ (١٠)

ولا زالت العلياءُ عنـدك وفدُها يروح بأنواعٍ ويغـدو بأجنـاسِ

---

(١) الحيزوم : الصدر. (٢) القنعاس : الرجل الشديد المنيع. (٣) الكوالىء : الحفاظ.

(٤) القرناس — بكسر القاف وضمها — : شبه الأنف يتقدّم من الجبل. (٥) الأنكاس : السهام الضعيفة التى ينكسر فوقها، واحدها : نكس — بكسر النون —. (٦) فى الأصل هكذا "تنقاع".

(٧) الأخياس : بيوت الآساد، واحدها خيس. (٨) البيض : الجوارى الحسان.

(٩) الجرجرة : ترديد صوت البعير فى حنجرته، والتصهال : الصهيل وهو صوت الفرس.

(١٠) الصفيق : الثخين المنسوج نسجا متينا؛ وهو مجاز.

أبحتَ حِمَى الإحسانِ حتّى أصابه ... معاشرُ من نَيـل المنى غيرُ أيّاسِ

وما نعـــمةٌ إلا أفضتَ لباسَهـا ... على من عهدناه لها غيرَ لبّاسِ

مواهبُ فيهـا لابْنِ حِصنٍ وحابس ... نصيبٌ، فهـلّا مثلُه لابْن مِرداسِ، ؟

فمـالى وبحرُ الفضل عنـدك زاخرٌ ... يطاوَل فى دار المُقـامة أحلاسى ! ! (١)

إذا رُفِعت نارُ القِرَى لك أُوقدتْ ... مَصابيحُ لم يُستدنَ فيهنَّ مِقبـاسى

أعوذُ بواديك المقـدَّسِ أن أُرى ... فريسةَ قنّاصٍ من الدهر نهّـاسِ (٢)

بلا رِقبـــةٍ جَـورُ الزمان وعدلُهُ ... وتحريمُـــه جارٍ على غير مقياسِ

فإن تصطنـعْ نُعْمى فأنتَ وليُّهـا ... وهيهات تُقضَى من رجائك أحلاسى (٣)

ننال بأدنى القولِ منك مدَى العلا ... ولا عجبٌ أن يُحضر الدُّرُّ بالمـاسِ

وإن كان ثدىُ الجود عندك حافلا ... فقـــد يُمترَى دَرُّ اللَّبون بإبساسِ (٤) (٥) (٦) (٧)

تعامت لنـا الأيامُ عنك وأبلستْ ... نوائبُهـا عن قصـدها أىَّ إبلاسِ (٨)

فليست صروفُ الدهر ـ مادمت سالما ... مُعاشرَ أهليهـا ـ بخـوفٍ ولا باسِ

---

(١) أحلاس : جمـع حلس وهو كل شيء ولى ظهر البعـير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج، وفى الأصل : * ومالى وبحر الفضل عنـدى * الخ وحلاسى بدل أحلاسى ولعل ما رجحناه أقرب الى الصواب .

(٢) النهاس — بالمهملة — : النهاش — بالمعجمة — (٣) أحلاس : جمع حلس وهو الرابع من سهام الميسر وله غنم أربعة أنصباء ؛ والحلس أيضا العهد والميثاق . (٤) حافلا : ممتلئا . (٥) يمترى : يحلب . (٦) اللبون : كثيرة اللبن . (٧) الإبساس : دعاء الناقة للحلب .

(٨) أبلس : تحير ولم يهتد .

❖ ❖ ❖

وقال يمدح رئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمة[1] :

لو كنتُ أُشفقُ من خضيبِ بنانِ ... ما زرتُ حيَّكُمُ بغيرِ أمانِ

يا صبوةً دبَّت إلىَّ خديعةً ... كالخمرِ تسرِقُ يقظةَ النشوانِ

أُنظرْ فما غضُّ الجفونِ بنافعٍ ... قلبا يَرى ما لا تَرى العينانِ

ولقد محا الشَّيبُ الشبابَ وما محا ... عهدَ الهوى معه ولا أَنسانى

فعلمتُ أن الحبَّ فيه غَوايةٌ ... مغتالةٌ للشِّيبِ والشُّبّانِ

ما فوق أعجازِ الركابِ رسالةٌ ... تُلهى، ففيمَ تَحيّةُ الرُّكبانِ ؟!

عذرا، فلو علموا جواكِ لساءلوا ... غِزلانَ "وَجرةَ"[2] عن غصونِ البانِ

قُولا لكُثبانِ "العقيقِ"[3] : تطاولى ... دون "الحِمَى" أقدُرْكِ بالطَّمحانِ

ولَينسِفَنَّ الرملَ زَفرةُ مدنفٍ ... إن لم يُعنْهُ الدمعُ بالهملانِ

عجلَ الفريقُ وكلُّ طَرفٍ إثرَهم ... متعثِّرُ اللحظاتِ بالأظعانِ[4]

وكأنما رُدْنايَ[5] يومَ لقيتُها ... بالدمعِ قد نُسِجا من الأجفانِ

كلِّفْ تجلّدِىَ الذى يستطيعُهُ ... هل فىَّ إلّا قدرةُ الإنسانِ

---

(١) هو على بن الحسين كان فى بيت رياسة ومكانة استكتبه القائم بأمر الله العباسى ثم استوزره ولقبه "رئيس الرؤساء" . ولد فى شعبان سنة ٣٩٩ هجرية وقتل سنة ٤٥٠ ، وله تاريخ طويل يرجع اليه فى مظانه . (٢) وجرة : موضع بين مكة والبصرة مكتنف بالوحش . (٣) الكثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل ، والعقيق : ناحية بالمدينة . (٤) الأظعان : الإبل تحمل النساء ؛ أو هى الهوادج يجلس فيها . (٥) الردن : الكم .

ولئن فررتُ من الهـوى بحُشاشتى فالحبُّ شـرُّ متالف الحيـوانِ

يدرى الذى نضـح الفـؤاد بنَبْله أن قد رمى كَشحيهِ(١) حينَ رمانى

لو لم تكن عيـنى على أطـلالهم عُقِرتْ لمـا سَـفَحتْ بأحمرَ قانى

متأوّلين على الجفـون تجنّيا فالدمـع يُمطـرُهم بـذى ألوانِ

ولو آنـه ماءٌ، لقالوا : دمعُـهُ رِيقٌ، وجفنَا عينِـه شَـفَتانِ

ظمئى إلى ماء "النُّقَيْبِ"(٢) لأنّـه وِرْدُ اللَّمَى(٣) ومناهـلُ الأغصـانِ

ولَنِعمَ هينمـة النسـيم محـدّثا عن طِيبِ ذاك الجيبِ والأردانِ(٤)

إن لم يكن سهلُ "اللوى"(٥) وحزونُهُ وطـنى فإنّ أنيسَـه خُـلّانى

ولو آنهم حلّوا "زرودَ"(٦) منحتُـهُ كَلَفى وقلتُ : الدارُ بالجـيرانِ

عُلَقٌ تَلاعبُ بى ورُبَّ لُبانـةٍ "شاميّةٍ" شغَفتْ فؤادَ "يمانى"

هل تُبلِغنّى دارَهُـمْ مزْمومـةٌ بالشـوقِ موقَرةٌ(٧) من الأشجانِ؟

فعسى أميلُ إلى القِبـابِ مناجيا بضمائـرٍ ثقُلتْ عـلى الكتمانِ

وأطـاردُ المُقَـلَ اللـواتى فتكُها يُمـلى عـلىّ مَقاتل الفُـرسانِ

متجاذبين من الحـديث طرائفـا يُصـغِى لطيبِ سماعِها النِّضـوانِ(٨)

---

(١) الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر الأضلاع . (٢) النقيب : موضـع بين تبوك ومعان . على طريق حاج الشام . (٣) اللمى : سمـرة فى باطن الشفة .
(٤) الأردان : جمع ردن وهو الكم . (٥) اللوى : واد من الأودية وهو بعينه . (٦) زرود : اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة . (٧) موقرة : مثقلة . (٨) النضو : المعيى المهزول من الإبل .

كرِّرْ لحاظكَ فى الحُدوجِ (١) فبعدها ... هيهات أن يتجاور الحيّانِ

من بعـد ما أرغمتُ أنفَ رقيبهم ... حَنَقا وخُضتُ حميَّـة الغَـيْرانِ

وطرقتُ أرضَهُمُ ، وتحتَ سمائها ... ـ عددَ النجومِ ـ أسنةُ الخُرصانِ (٢)

أرضٌ جَداولُها السيوف وعُشبُها ... نَبْعٌ (٣) وما ركزوا من المُرّانِ (٤)

فى معشرٍ عشِقوا الذُّحولَ (٥) وآثروا ... شُربَ الدماءِ بها على الألبانِ

قومٌ إذا حيَّا الضيوفُ جِفانَهم ... ردَّتْ عليهمْ ألسنُ النيرانِ

وإذَا شَواةُ (٦) الرأس صوَّحَ نبتُها ... فعلى قضاءِ مآربٍ من شانِ

ولتعلَمنَّ البيدُ أنَّ جِباهَها ... موسومةٌ (٧) بالنَّصِّ والوخدانِ

يُزجَرْنَ أمثالَ القِداحِ ضَوامرا ... ويُرحَنَ أمثالَ القِسىِّ حوانى

أو ينتهينَ إلى جنابٍ ترتعى ... فيه الوفودُ منابتَ الإحسانِ

ربُّ المآثرِ والمحامدِ ربُّه ... وولىُّ بِكرِ صنيعةٍ وعَوانِ (٨)

تلقَى الجبابرةُ المصاعبُ وجهَهُ ... بجماجمٍ تحنو على الأذقانِ

متهافتين على الصَّعيد كأنّهم ... شربوا بهيبتِهِ سُلافَ دِنانِ

وطِئُوا سَنابكَ خيله بشفاههم ... قُبلا وجلَّتْ عنهم القَدمانِ

---

(١) الحدوج : مراكب النساء وهى الهوادج أو المحفات . (٢) الخرصان : الرماح ، واحدها خرص ـ بتثليث الخاء ـ . (٣) النبع : شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام . (٤) المران : الرماح . (٥) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (٦) الشواة : جلد الرأس . (٧) النص والوخدان : ضربان من السير . (٨) العوان : الثيب .

حتى إذا صدَعوا السُّرادقَ أطرقت (١) تلك اللواحـظُ عن أغرَّ هِجـانِ

قـد أيقنتْ قِمَمُ (٢) المـلوك بأنه إن شـاء طلَّقها من التيجانِ

خَطَرًا أبا قَرْعَى (٣) الفِصال مُقاربا إن القُـروم (٤) أحقُّ بالخطَـرانِ

فذروا "الحمى" يرعَى بـه متخمِّطٌ (٥) تُخشَى بوِدارهُ عـلى الأقـرانِ

ما بين ساعده الهصـورِ (٦) محـرَّمٌ فتعرَّضـوا لفريسـةِ السِّرحانِ (٧)

لا مَطعَـمٌ لبُغاثِـكم فى مأزِقٍ (٨) حامت عليـه كواسـرُ العِقبانِ (٩)

للْجلس الشـرقىّ أبعـدُ غايـة فى يوم مَلحَمـةٍ ويـومِ رِهانِ

فركابُه ما تَنـثنى بأزِمَّـةٍ وجيادُه ما ترعـوى بعِنـانِ

هِمَمٌ كما سرت البروقُ خواطفـا (١٠) فى حاصبٍ أو عـارضٍ (١١) هتّـانِ

وعزائمٌ رُبِيَتْ وأطـرافَ القنا وظُبا السـيوفِ وارضعت بلبـانِ

إن الورى لمـا دعـوْه "جَمالَهم" حلُّوا من العلياءِ خـيرَ مكانِ

وأتتْ به "عدنانُ" فى أحسابها حتى أقـرّ لها بنـو "قَحطانِ"

مجـدٌ أطـلَّ على الزمان وأهـلِهِ متقيِّـلٌ فى ظـلِّه الثَّقَلانِ

---

(١) الهجان : الكريم . (٢) القمم : الرءوس . (٣) قرعى : جمع قريع والقرعى من الفصال : التى أصابها قرع وفى المثل : "إستنت الفصال حتى القرعى" يضرب للضعيف الذى يتشبه بالأقوياء

(٤) القرم : الفحل العظيم . (٥) المتخمط : الفحل الهادر . (٦) الهصور : الكاسر .

(٧) السرحان : الذئب . (٨) المأزق : المضيق . (٩) العقبان : جمع عقاب وهى طائر من الجوارح ، وهى حادة البصر ولهذا قالت العرب : «أبصر من عقاب» . (١٠) الحاصب : الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . (١١) العارض : السحاب المعترض فى الأفق .

ومفاخرٌ مشهودةٌ يقضِى لها ... يومَ النفار سواجِعُ الكُهّانِ

من ذا يحاذبه الفخارَ وقد لوى ... أطنابَه فى "يَذبُلٍ" "وأبانِ" (١)

طَلّاب ثأرِ المجد وهو مدفَّعٌ ... بين اللئام مسَفَّه الأعوانِ

لم يرضَ ما سنّ الكرامُ أمامَه ... حتى أتى بغرائبٍ ومَعانِ

نسخت فضائلُه خِلالَهم التى ... نجحوا بها فى سالف الأزمانِ

فهى المناقبُ، لو تقدّم ذكرُها ... تُليتْ مَثانِيهن فى القرآنِ

يعطيك ما حَرَم الجوادُ، ودِينُه ... أن الثراءَ وعُدْمَهُ سِيّانِ

وإذا رجالٌ حصّنوا أموالَهم ... جعَل المواهبَ أوثقَ الخُزّانِ

كم أزمةٍ ضحِكت بها أنواءُهُ ... والغيثُ لا يلوِى على ظمآنِ

من راحيته نوافلٌ (٢) ومنائحٌ ... ومن القلوب مطامعٌ وأمانى

فحذارِ أن يطغَى السؤالُ بطالبٍ ... رفدًا فيركبَ غاربَ الطُّوفانِ

وأصَبْتُ، قد يحكى السحابُ نوالَه ... لكنَّ ذا ناءٍ وهذا دانِ

وقرنتُه بالبحر يقذِفُ باللُّهَى (٣) ... ونسيتُ ما فيه من الحَدْثَانِ

وذكرتُ ما فى الليثِ من سَطَواتِهِ ... ولربّما وَلّى عن الأقرانِ

لا تعدَم الأزمانُ رأيَك إنه ... فى ليلها ونهارها القمرانِ

---

(١) يذبل وأبان : جبلان . (٢) النوافل : جمع نافلة وهى العطية . (٣) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا .

رأىٌ سقَى اللهُ الخلافةَ صوبَهُ ... ورمى بصاعقهِ ذوى الشَّنآنِ (١)

نُجْحا بنى "العبّاس" إن قناتكم ... هُزَّتْ بأحذقِ ساعدٍ بطعانِ

جَدٌّ أمدّ عديدكم من غِيله ... بأشدَّ من أسَد العرين الجانى (٢)

يحمى ذمارَكُمُ بغير مساعدٍ ... ويحوط سَرحكُمُ بلا أعوانِ

وثباتُه العزم الذليق إذا سطا ... وزئيره حُكْمٌ وفصلُ بيانِ (٣)

مستلئمٌ بجَنانه وبنانِهِ ... ولسانه ، مِضرابةٍ مِطعانِ (٤)

لما رأى — والحزمُ ينفعُ أهلَه — ... عَوْدَ الخلافةِ ضاربًا بجرانِ، (٥)

والسيفَ لم يَرْكُضْ بكفَّىْ ضاربٍ ... والرمحَ لم يَطمحْ بعينِ سِنانِ، :

داوَى عياءَ الداءِ ساحرُ رفقِهِ ... والنَّقْبُ (٦) يَشفيهِ هِناءُ (٧) الهانى

حتى إذا برح الخفاءُ وسفَّهتْ ... حِلمَ الحليمِ حفيظةُ الغضبانِ،

ورأى الهَوادةَ (٨) مَروةً (٩) مقروعةً ... والسِّلم مطعمةَ العدوّ الوانى، :

نادَى فلبَّاه صهيلُ سوابقٍ ... وأطيطُ (١٠) كلِّ حنيَّةٍ (١١) مِرنانِ

وفوارسٌ يَصلَوْن نيرانَ الوغى ... مما تُثيرُ جيادُهم بدخانِ

---

(١) الشنآن : العداوة والبغض . (٢) الغيل والعرين : مربض الأسد ، ومن معانى الأول : الشجر الكثير الملتف ، والأجمة . (٣) الذليق : الشديد ، وفى الأصل : "الذلوق" .
(٤) مستلئم : متدرع . (٥) العود : الجمل المسن ، والجران : عنق البعير من مذبحه إلى منحره .
(٦) النقب : الجرب . (٧) الهناء : القطران ، والهانئ : الطالى بالهناء . (٨) الهوادة : اللين والرفق . (٩) المرو : حجارة صلبة براقة ، واحدها : مروة . (١٠) الأطيط : الصوت . (١١) الحنية المرنان : القوس التى ترن عند خروج السهم منها .

جنَبوا إلى الأعـــداءِ كلَّ طِمِـرَّةٍ (١) بُنيت مفاصلُها على شَـيطانِ

مثـــل المَـراقبِ (٢) تحتهـم وهُمُ على صهواتها كالهَضْب (٣) من "ثهلانِ" (٤)

طلعوا طلوع الشمسِ يغمُرُ ضوءُها هامَ (٥) الرُّبَى ومغابنَ (٦) الغيطانِ

وكأنما سجـــدتْ قِســـيُّهُمُ إلى لألاء وجهـك إذ أتتـك حـوانِى

من بعد ما ســدّوا الفضاءَ وحرَّموا نَفَـــل (٧) الربيـع به على الغِـــزلانِ

يتسابقون إلى المنـون فكلُّهم يغشَى الرَّدَى ما عُـــدّ فى الوِلدانِ

وإذا هُمُ عِدموا مَقـاودَ خيلهـم فتلوا لهـــنَّ ذوائبَ (٨) الفُـــرسانِ

فى كلِّ معـتركَ تُجيـلُ كما تُهـــم قِدْحا (٩) يفـوز إذا ٱلتـقَى الجمَعانِ (١٠)

فٱسئلْ جبالَ "الروم" لمَّا طوَّقوا أعناقهَا من جَمعهـــم برِعانِ (١١)

ترعَى بهـا زُهرَ النجوم جيـادُهم ومن الســحاب يَردنَ فى غُدرانِ

فكأنّهـــم يبغون فى فلَك الذُّرَى أن يأسروا "العَيُّوقَ" (١٢) "للدَّبرَانِ"

تركوا المعـاركَ كالمناحِرِ من "مِنًى" وجماجمَ الأعـــداء كالقُـــربانِ

---

(١) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٢) المراقب : جمع مرقب وهو الموضع المشرف .

(٣) الهضب : جمع هضبة وهى الجبل خلق من صخرة واحدة . (٤) ثهلان : اسم جبل .

(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس أو أعلى الشىء . (٦) المغابن : جمع مغبن وهو الأرض السهلة .

(٧) النفل : نبت أصفر طيب الرائحة تسمن عليه الخيل . (٨) الذوائب : شعور النواصى ، واحدها : ذؤابة . (٩) كماة : جمع كام وهو البطل . (١٠) القدح : سهم الميسر . (١١) الرعان : الجبال الطوال ، واحدها رعن — بسكون العين — .

(١٢) العيوق : اسم نجم يتلو الثريا ، والدبران : منزل للقمر .

فكأنّما فرَشَ النجيعُ (١) تلاعَها (٢) ووهادَها (٣) "بشقائق النُّعمانِ" (٤)

فأتاك وفدُ بنى "الأُصيفِرِ" (٥) يرتمى بهمُ جَناحَا ذِلّةٍ وهوانِ

جنحوا به مستسلمين وطالما شمَخوا بدينهمُ على الأديانِ

بذلوا الإتاوة عن يدٍ فكأنّهم عقدوا بذاك الغُرمِ عَقْدَ ضَمانِ

فى كلِّ يومٍ تستهلُّ كنوزَهم كرمًا بعَشرِ مِيءٍ من العِقيانِ

وبرزتَ فى حُلل الوقارِ بهيبة فقأتْ عيونَ الكفر بالإيمانِ

وكفاك أن قُدتَ الضلالة بالهدى وجعلت دارَ الحرب دارَ أمانِ

هذا "العراق" قد انجلت شُبُهاتُه وصَفا من الأقذاءِ والأدرانِ

إن مسّه نَصَبُ الورودِ فإنه سيُنيخ من نعماك فى اعطانِ

نفَّرت ذُؤبانَ (٦) "الغضا" عن شِربِهِ فالأَمنُ يَسرحُهُ بلا رُعيانِ

ولّى "أَرسْلانُ" (٧) يُمسِّح فى الحشا قلبا يشير عليه بالطيرانِ

وهوت "بنو أَسَدٍ" تَشُلُّ لقاحَها فتسيل بين "الحَزْنِ" "فالصَّمّانِ" (٨)

وجرى الغرابُ مع البوارح صائحا بالبين بين منازل "الجاوانِ" (٩)

---

(١) النجيع : الدم . (٢) التلاع : واحدها تلعة وهى ما علا من الأرض . (٣) الوهاد : ما انخفض من الأرض ؛ واحدها : وهدة . (٤) شقائق النعمان : نبات أحمر يشبه الدم به .

(٥) بنو الأصفر : الروم . (٦) ذؤبان : جمع ذئب وهو معروف . (٧) يشير الشاعر الى أرسلان التركى المعروف بالبساسيرىّ كان خصيصا عند القائم بأمر الله ، فتجبر وطغى فجفاه القائم فخطب ضدّ القائم للمستنصر ، وقد قتل شر قتلة . (٨) الحزن والصمان : موضعان .

(٩) الجاوان : قبيلة من الأكراد سكنوا الحلة المزيدية من العراق .

وطوتْ "عقيلٌ" عَرضَ كلِّ تَنوفَةٍ (١) بذميلِ ذِعلبـــةٍ (٢) وركضِ حِصـانِ

"بالشام" ألّفَ خوفُ بأسك بينهم وقلوبُهـم شـــتّى من الأضـغانِ

هيهات لو ركِبوا "النعائمَ" (٣) فى الدجى وأردتَ لاقتنصاهُم (٤) النَّســـرانِ (٥)

وكذا عدوُّك إن نجـا جُثمانه فالقلبُ فى قِـــدِّ (٦) المخـافةِ عانِ (٧)

ما بين "مصرَ" وبين عزمِك موعدٌ متـــوقّعٌ لوفائـــه الهـــرَمانِ

إن صانهـا بُعـــدُ المـدَى فلمثلها تقتادُ كلّ نجيبـــةٍ مِـــذعانِ

ماءُ الجـــداول للأكُفّ وإنمـا ماء القَليبِ (٨) يُنـال بالأشـــطانِ (٩)

من كان شرقُ الأرض طوعَ زمامِهِ لِمَ لا يصـــرِّف غَربَهـا بعنـانِ

والجيشُ مَجْـــرٌ (١٠) والأوامرُ طاعـــةٌ والنصر مرجـــوٌّ من الرحمنِ

* * *

وقال يمدحُه أيضا سنة ثمان وأربعين — أى بعد الأربعمائة — :

تَزاوَرنَ عن "أذْرِعات" (١١) يمينا نواشـــزَ (١٢) ليس يُطعنَ البُرينا (١٣)

---

(١) الذميل : ضرب من السير . (٢) الذعلبة : الناقة السريعة . (٣) النعائم : منزلة من منازل القمر وهى ثمانية كواكب أربعة فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعـة خارجة وتسمى الصادرة ؛ وهى أيضا جمع نعامى وهى ريح الجنوب . (٤) اقتنصاهم بالألف الدالة على التثنية على لغـة من يلحقها الفعل المسند الى الفاعل الظاهر وهى لغة قليلة . (٥) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع . (٦) القـد : القيد للأسير يقد من جلد .
(٧) العانى : الأسير . (٨) القليب : البـئر . (٩) الأشطان : الحبـال .
(١٠) المجر : الكثير . (١١) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ؛ — تنسب اليه الخمر — . (١٢) نواشز : مستعصيات . (١٣) برين : جمع برة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير يكون فيها زمامه .

كَلِفنَ "بنجدٍ" كأنَّ الرياضَ أخذنَ "لنجدٍ" عليها يمينا

وأقسمن يحملنَ إلا نحيلا اليه ويُبلغنَ إلا حزينا

ولما استمعن زفيرَ المشوق ونوحَ الحمام تركنَ الحنينا

إذا جئتما بانة "الواديين" (١) فأرخوا النسوع (٢) وحُلّوا الوضينا

فثَمَّ علائقُ من أجلهنَّ مُلاءُ الضحى والدجى قد طُوينا

وقد أنبأتْهم مياهُ الجفو ن أنّ بقلبك داءً دفينا

لعلَّ تمائمَ ذاك الغزال تُداوِى وَلوعا وتَشفِى جنونا

لقد شبَّ بينىَ هذا الغرامُ (٣) وما بين قومِك حَربا زَبونا

تُراهم يظنّون لما أغرتُ بلحظى عليهنّ أن قد سُبينا

وماذا على مُسلِفٍ فى الظباءِ (٤) أُلطَّ به فتقاضَى الديونا؟!

تلوم على شغَفى بالقدود (٥) فهيْنىَ وَرْقاءَ تهوَى الغصونا

سواءٌ نشيدى بهنّ النسيبَ وترجيعُها بينهنَّ اللُّحونا

ألا لُحِىَ الحسنُ من باخلٍ أبَى أن يصاحبَ إلا ضنينا

وإنّ وَلوعى بأهل "الحمى" (٦) يخيِّل لى كلَّ سِربٍ قَطينا

---

(١) نسوع : جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل .
(٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للهودج بمنزلة الحزام للسرج .
(٣) الزبون : التى يدفع بعضها بعضا فى الكثرة .
(٤) ألط به : موطل فى دينه .
(٥) الورقاء : الحمامة يضرب لونها الى خضرة .
(٦) القطين : القاطن .

أينشُـدُ رُعيانُهـم أن أضلّوا بعـيرا ولا أنشُـد الظاعنينا؟!

وفى السِّربِ أحوى(١) إذا ما استرابَ بقَنَّاصِـه أمَّ دارا شَـطونا

ظلِلتُ أكُرّ عليـه الرُّقَى وتأبَى عريكتُه أن تلينا

يصون محاسـنَه بالصـدو دِ إذ ليس يلقَ عليها أمينا

ودون البراقع مكحـولةٌ تعـلِّم طبعَ السهـام القُيونا(٢)

وما كنتُ أعلم من قبلهـ ـنّ أن الأسـنّة تُسمَى عيونا

صـوارمُ تَنهَزُ فتقَ الجـراح وما خُلقتْ للضِّراب الجفونا

نوَدُّ النحورَ ونهـوَى الثغورَ ونعـلَم أنّا نحبُّ المنـونا

أقِلْنى من الوُخَّد(٣) الراسما تِ أكْفِك من حيّهم أن يَبينا

ألسنَ اللواتى هزَزن الحدُو جَ هزًّا يُطاير عنهـا العُهونا(٤)

فكلُّ فنيقٍ(٥) ببطن "العقيق" من الضُّمْر(٦) قد أخدَجَتْه(٧) جنينا

عِدمتُ فتًى عند نقع الصري ـخ يُقعى(٨) على أسْكَتَيه(٩) بطينا

يعـدُّ المفـاخرَ والمكرما تِ طرفا كحيلا ورأسا دهينا

---

(١) الأحوى : الذى فى شـفته سمرة . والشطون البعيدة .
(٢) القيون : جمع قين وهو جلاء السيوف وصانعها ، ولعله يطلق على صانع السهام من باب التوسع .
(٣) الوخد الراسمات : الإبل التى من دأبها الوخد والرسيم وهما ضربان من السير .
(٤) العهون : جمع عهن وهو الصوف .
(٥) الفنيق : الجمل الصعب المكرم .
(٦) الضمر : الهزال .
(٧) أخدجته : ولدته ناقصا لغير تمام .
(٨) يقعى : يجلس على إليته و يرفع فخذيه .
(٩) الأسكتان — وتكسر الهمزة — : جانبا الاست .

فهل لكَ فى بسط أيدى المطـ ـيِّ تَطوى المهامـهَ(١) بِينًا(٢) فبينا؟

إذا ما صُبغنَ بوَرسِ(٣) الهجيـ ـر حمرا تجلّينَ بالليل جُونا(٤)

فشبّهنَ لُجَّ السَّرابِ البحورَ وشبّههنَّ السرابُ السفينا

وما تستطيلُ المدى أينُقٌ بمجدِ "جَمال" الورى قد حُدينا

وجدنا لديه ربيعَ الثنا ء غضًّا وماءَ المعالى مَعينا

تبوّأ فى المجد بُحبوحةً على مثلها يكمَد الحاسدونا

ينادى النجاحُ بأبوابه: ألا نِعْم ما قَرَع الطارقونا

وتحسبُ من بأسه والبها ءِ مجلسَه فَلَكا أو عرينا(٥)

لكل مَبزٍّ(٦) به سجدةٌ تسابق فيه الشفاهُ الجبينا

مقامٌ تخاذَلُ من هوله خُطَى القوم حتى تراهم صُفُونا(٧)

طغتْ يدُه وعلَتْ فى السما حِ حتّى ذممنا السحابَ الهتونا

إذا ما آدّعت صوبَهُ المعصرا تُ ردَّت عليهنّ غُبْرَ السنينا

أيحكى بوارقُها والقِطـ ـرُ للعين عسجدَه(٨) والرَّقينا(٩)!

وما النارُ من ذَهب المجتدين وما الماءُ من فِضّة الراغبينا!

---

(١) المهامه : جمع مهمه وهو المفازة .
(٢) البين : القطعة من الأرض قدر مد البصر .
(٣) الورس : نبات يصبغ به .
(٤) جونا : سودا .
(٥) العرين : بيت الأسد .
(٦) المبز : اسم مكان من بز بمعنى غلب .
(٧) صفون : جمع صافن ، وهو القائم .
(٨) العسجد : الذهب .
(٩) الرقين : الفضة .

أفى دِية البخـــلِ لمَّا أماتَ ... يؤدّى الألوفَ ويُعطى المئينا؟

بما شئتَ يسخو ولولا الحيا ... ءُ من مجده قسَّ المجدَ فينا

ويأبَى على سـرَف الطالبيـ ... ـنَ ألّا يُصدِّق فيه الظنونا

ومن يستدلُّ على المكرمات ... يُمِـرّ(١) من الشكر حبلا متينا

وما زال يَكذِبُ وعـدُ المنى ... إلى أن أقامت يداه ضمينا

وقد غَمزت عُودَه النائباتُ ... فلم تجد الضارعَ المستكينا

وإن زعزعتْه فإن القنا ... ةَ للطعن زعزعها الطاعنونا

سرى عزمه والكرى خمرة ... يُدير زجاجتَها الهاجعونا

فبات على صهواتِ الخطو ... ب أقنَى(٢) يقلِّب طَرْفا شَفونا(٣)

إذا ما ارتقى ظنُّه مرباً ... من الغيب أوحَى إليه اليقينا

وأفوهَ طارده بالجدال ... فخرّ بغير العوالى طعينا

وكم خُطّة أفردتْه الرجا ... لُ فيها وولت شَعاعا(٤) عِضينا

أضاء بجِندِسها رأيُه ... وكان له الله فيها مُعينا

ففى كلّ يومٍ يُوافى البشيرُ ... بفتحٍ مبينٍ يُقرُّ العيونا

رمَى أهلَ "بابلَ" فى سِحرهم ... برقشاءَ(٥) تلقَفُ ما يأفِكونا

---

(١) أمرر الحبل : أحكم فتله . (٢) الأقنى : الصقر . (٣) الطرف الشفون : الذى لا يفتر عن النظر من شدّة الحذر . (٤) شعاعا عضينا : متفرقة متجزئة . (٥) الرقشاء : الحية .

ألم تعلمـوا أنّ فى أفقـهِ (١) سحـائبَ، أمطارُها الدارعونا،

وفتيانَ صـدقٍ تكون السهامُ طليعتَهـم والسـيوفُ الكمينا،

وجُرْدا (٢) إذا وَجِيَتْ (٣) بالبطـا (٤) ح أحذَى (٥) سنابكَهن (٦) الوَجينا (٧)،

فيـــوما لنُعمَى (٨) تَلُسّ (٩) الغَميرَ ويوما لبؤسَى تَسُفُّ (١٠) الدَّرينا

جرتْ سُنُحا بنواصى "العراق" فأحجم عن زجرها العـائفونا

وحكّتْ (١١) على "واسطٍ" بَرْكَها بيومٍ عسـير أشـابَ القرونا

تصبُّ على الفئـةِ الناكثين لعهدك سـوطَ عذابٍ مُهينا

فتـلك جمـاجمُهم فى الصعيـ ـد تتّخـذ (١٢) الطيرُ فيها وُكونا

مَرَى (١٣) "ابنُ فَسنجُسَ" (١٤) من خلْفها زُعافا (١٥) وما كلُّ خِلْف لَبونا

فطـار على قادماتِ الفِـرار جريضًـا (١٦) وكان فِرارا حَرونا

زجَتْه إليـك أكفُّ القضاءِ وتأتى بأقـدامها الحـائنونا (١٧)

وفى دار "بَكْرٍ" لها رجفـةٌ أزالت صياصِيَهـا (١٨) والحصونا

---

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . (٣) وجيت : حفيت . (٤) البطاح : الحصى الصغار، واحدها بطحاء . (٥) أحذى : ألبسها حذاء . (٦) السنابك : حوافر الخيل . (٧) الوجين : الحجارة . (٨) تلس : تتناول . (٩) الغمير : النبات الأخضر . (١٠) الدرين : يبيس الحشيش . (١١) البرك : الصدر . (١٢) وكون : جمع وكن وهو عش الطائر كالوكر . (١٣) مرى : حلب . (١٤) الخلف اللبون : الضرع الحافل باللبن . (١٥) الزعاف : السم القاتل السريع . (١٦) الجريض : المغموم . (١٧) الحائن : الذى حان حينه أى موته . (١٨) الصياصى : جمع صيصية وهى الحصن .

غداةَ زحمَت بها "عامرا" تخـوضُ قبـائلَها والبُطونا

لهـا غُرَرٌ إن رآها العد وّ لم ير أكفالهَـا والمتُـونا

قضت من "عُبَادَةَ" أوطارَها وحكّمت البيض حتى رضينـا

وما تركت للـوالى حِمى ولا للعقـائل خِدرا مصـونا

فتلك "عقيـلٌ" (١) عقيلُ الفِرا (٢) رتُحْرش بالدو (٣) ضبًّا مَكونا

جعلتَ من الخوف أفراسَهـا (٤) كأقتادِها والفيـافى سُجُونا

ووافت "بنو أسَدٍ" كالأسود تخُـطُّ الرماح عليهـا عَرينا

فدع فُرصـة الثأر ممطولةً لذنبٍ أقـرّ به المـذنبونا

أليس "طُلَيْحةُ" (٥) من عِيصهم (٦) أراغ النبوّة فى النـاس حينا

فلمـا نَـى الدينَ أشبالُه أناب وأطلقَ تلك الفنـونا

ولاقت به "الفُرسُ" أمَّ اللُّهَيـ (٧) ـم : وأْدَ البناتِ وذبحَ البنينـا

ولا بدَّ "للشـام" من نطحة تُحذِّر "زمزمُ" منها "الحجونا"

وأخرَى "لمصرَ" تَخُطُّ الرّوا ةُ فى الرقِّ منها الحديثَ الشُّجونا

جعلتَ الخـلافةَ فى عصرنا تُفاخر "مأمونَها" و "الأمينا"

---

(١) تحرش : تصيه . (٢) الدو : المفازة . (٣) يقال : مكثت الضبة والجرادة ونحوهما إذا باضت أو جمعت بيضها فى جوفها فهى مكون و بيضها : مكنها . (٤) أقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل أو هو جميع أدواته . (٥) طليحة هو ابن خويلد بن نوفل الأسدى كان يعد بألف فارس ثم تنبأ ثم أسلم ؛ والعيص : الأصل . (٦) أراغ : طلب . (٧) أم اللهيم : الداهية .

وجاهدتَ فيها جِهادَ امرئٍ له جمـــعَ الله دنيا ودِينـا
إذا ما سلكتَ بها منهجا وثبتَ الجبالَ وجُبت الحُزونا
بسـطتَ لعَمرك كفَّ الزما ن يُحصى الليالى ويُفنى القرونا
ولا برِحتْ ألسنُ المكرما ت تُغْنيك عن ألسن المـادحينا
دعاءٌ إذا سمِعتْـــه العُـــدا ةُ قالت على الكره منها أمينـا

* * *

وقال يمدحُه أيضا فى سنةِ خمسين، وهى آخرُ ما أنشدَه :

من علَّم القلبَ ما يُمـــلى من الغَـــزَلِ نوحُ الحمـام له أَمْ حَنَّـــةُ الإبـلِ؟
لا بل هو الشوقُ يدعو فى جوانحنـا فيستجيبُ جَنانُ الحـازم البطـلِ
لكلِّ داء نِطاسىٌّ يلاطفـــهُ فهل شـفاك طبيبُ اللوم والعـذلِ؟
بينٌ وهجرٌ يَضيع الوصـلُ بينهما فكيف أرجو خِصـام الحبِّ بالمَلَلِ
يُميت بثِّىَ فى صـــدرى ويَدفنـــه أنى أرى النَّفث بالشكوى من الفشلِ
هن اللآلئ حازتهـا حمولُهـــمُ وإنما أبدلوا الأصداف بالكِلل(١)
ولستُ أدرى أبالأصداغِ قد كَحَلوا الـ ـأجفان أم صبغوا الأصداغَ بالكَحَلِ!
ما يسـتريب النقا أنَّ الغصون خطت عليـــه لكن بأوراقٍ من الحُلَلِ
من يشهد الركبَ صرعَى فى محلّهـــمُ يدعوه رَمْسا ولا يدعوه بالطلـــل

(١) الكلل : جمع كلة وهى غطاء يغطى الهودج ؛ ويلاحظ أن "الباء" فى قوله "بالكلل" دخلت على غير المتروك .

قد أَلِفَ الحيُّ من مسراكِ طارقةً ... تبيتُ أحراسُهم منها على وجلِ

أمسى شحوبى وإرهافى يُدلِّسنى ... على الرقيب بسُمرٍ بينهم ذُبُلِ (١)

لم يسألوا عن مقامى فى رحالِهمُ ... إلا أتيتُ على الأعذارِ والعِلَلِ

لله قومٌ يُبيحون القِرَى كرما ... وينهرون ضيوفَ الأعينِ النُّجُلِ

لو عدِموا البيضَ والخَطِّىَّ أنجدَهم ... ضربٌ دِراكٌ (٢) ورشقاتٌ من المُقلِ

كأنما بين جَفْنَىْ كلّ ناظرةٍ ... ترنو كِنانةُ رامٍ من بنى "ثُعَلِ" (٣)

لا روضُ أوجههم مَرعَى لواحظنا ... ولا اللَّمَى مَوردُ التجميش والقُبَلِ (٤)

تحكى الغمامةَ إيماضا مباسمُهم ... وليس يحكينها فى جَوْدها الهطِلِ (٥)

خافوا العيونَ على ما فى براقعهم ... من الجمال فشابوا الحسنَ بالبَخَلِ

يا رائد الركب يستغوى لواحظَهُ ... برقٌ يلاعب ماءَ العارض الخَضِلِ (٦)

هذا "جَمال" الورى تُطفِى مناصلُه ... نارَ القِرَى بدماء الأينُق البُزُلِ (٧)

لا يسأل الوفدَ عمّا فى حقائبهم ... إن لم يوافوا بها ملأى من الأمَلِ

وما رعين المطايا فى خمائله ... إلا سَخَطن على الحَوْذانِ (٨) والنَّفَلِ (٩)

إن امتنعتَ حياءً من مواهبه ... أولاكها بضروب المكرِ والحيلِ

---

(١) السمر الذبل : الرماح الدقيقة .
(٢) دراك : متتابع .
(٣) بنو ثعل : قبيلة مشهورة بالرمى والإصابة .
(٤) التجميش : المداعبة .
(٥) الجود : المطر .
(٦) العارض الخضل : السحاب الندى .
(٧) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل .
(٨) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم .
(٩) نبت من أحرار البقول له رائحة طيبة .

قصّرتِ يا سحبُ عن إدراك غايتــهِ فما بروقُك إلا حُمــرةُ الخجــلِ

ومصــلح بين جدواه وراحتــه يسـعى ويكدَح فى صلح على دَخَــلِ (١)

سيفٌ "لهاشمَ" مسلولٌ إذا خشُنتْ له الضرائبُ لم يَفــرَقْ من الفَلَــلِ

فى قبضة "القــائم" (٢) المنصور قائمُــهُ وشَفرتاهُ (٣) من الأعداء فى القُلَــلِ (٤)

بيضُ القراطيس (٥) كالبِيض الرِّقاق (٦) له وفى اليراع (٧) غِنًى عن اسمرٍ خطِلِ (٨)

وطالما جــدَلَ الأقرانَ منطقُــه حتى أقــرُّوا بأنّ القــولَ كالعملِ

يــودُّ كلُّ خصيم أن يعمِّمهُ فضــلَ الحسام ويُعفيــه من الجـدَلِ (٩)

ما البأس فى الصَّــعدة الصَّماء (١٠) أجمعــه فى القول أمضَى من الهندىِّ والأسـلِ (١١)

ومستغرِّين بالبغيــا مزجتَ لهــمْ كيدا من الصَّابِ (١٢) فى لفظٍ من العسلِ

ما استعذبت لَهَوَاتُ (١٣) السـمع مشربَهُ حتى تداعت بنــاتُ (١٤) النفسِ بالهبَــلِ (١٥)

أطعتَ فيهــم أناةً لا يسـوِّغهــا حلمٌ، وقد خُلق الإنسانُ من عجـلِ

---

(١) الدخل : الخديعة والمكر . (٢) القائم : مقبض السيف . (٣) الشفرة : حدّ السيف . (٤) القلل : الرءوس واحدها : قلة . (٥) القراطيس : الأوراق . (٦) البيض : السيوف . (٧) اليراع : القلم (٨) الأسمر الخطل : الرمح المهتز . (٩) الصعدة الصماء : قناة الرمح الصلبة . (١٠) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (١١) الأسل : الرماح . (١٢) الصاب : نبات مر الطعم . (١٣) لهوات : جمع لهاة وهى لحمة مشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم — وقد استعارها هنا للسمع — . (١٤) بنات النفس : الهموم والخواطر . (١٥) الهبل : الثكل .

ثم اشتملتهمُ الصماءَ (١) فانشعبوا ... "أيدى سبا" (٢) فى بطون السهل والجبلِ

ليس الرُّقَى لجميع الداء شافيةً ... الكيُّ أشفَى لجلدِ الأجربِ النَّغِلِ (٣)

قل للعُريبِ : أنيبى إنها دولٌ ... والطعنُ فى النحر دون الطعنِ فى الدولِ

هيهات ليس "بنو العباس" ظلُّهمُ ... عن ساحة الدين والدنيا بمنتقلِ

حَمَى حقيقتَهم مُرٌّ مَذاقتُه ... موسد الرأى بين الرِّيث والعجلِ

موطَّأٌ فإذا لُزَّت (٤) حفيظتُه (٥) ... تكاشر الموتُ عن أنيابه العُصُلِ (٦)

إيها "عقيل" إذا غابت كتائبُهُ ... فُزتم وإن طلعتْ طِرتم مع الحَجَلِ (٧)

هلَّا وقوفا ولو مقدار بارقةٍ ... وما الفرار بمنجاةٍ من الأجلِ

فالهَ (٨) عن "الرِّيف" يا فَقْعًا (٩) بقرقرةٍ ... وابغى النزولَ على اليربوع (١٠) والوَرَلِ

نسجُ الخَدَرنَقِ (١١) من أغلَى ثيابكُمُ ... وخيرُ زادِكُمُ دَهْرِيَّة الجُعَلِ (١٢)

---

(١) الصماء : يقال : اشتمل الصماء وهى أن يرد الرجل الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا . (٢) أيدى سبا : يقال : تفرق القوم أيدى سبا : أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده ، وذلك أن الله أرسل على أرض سبأ — وهو أبو عامة قبائل اليمن — سيلا أغرقها وانتزع سبأ وقومه فتبددوا فى البلاد فضرب بهم المثل . والمراد بأيدى سبا جنوده الذين كان يسطو بهم فى غاراته وحروبه . (٣) النغل : الذى فسد جلده . (٤) لزت : هاجت واجتمعت . (٥) الحفيظة : الغضب . (٦) عصل : جمع أعصل وهو الأعوج . (٧) الحجل : طائر . (٨) الفقع : الرخوة من الكمأة ؛ ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة ، أى أذل من كمأة فى أرض منخفضة لأنها لا تمتنع على من جناها ، وقيل : لأنها تداس بالأرجل . (٩) اليربوع : حيوان من فصيلة الفار طويل الرجلين وقصير اليدين جدا . (١٠) الورل : دابة على خلقة الضب إلا أنه أكبر منه . (١١) الخدرنق : ذكر العنكبوت . (١٢) الدهرية : التى أسنت وطال عليها الدهر . والجعل : ضرب من الخنافس تؤذيه رائحة الورد ، قال المتنبى :

* كما يضر أريج الورد بالجعلِ *

إن يعهدوا العـــزَّ فى الأطنابِ آونةً ... فذا أوانُ حُلول الذلّ فى الحُلَـــلِ

ترقّبوها من "الجُودى"(١) كامنـــةً ... فى نقعها ككمون الشمس فى الطَّفـلِ(٢)

إن عُطفتْ عنكُمُ يوما فإنَّ غدًا ... مع الصباح توافيكم أو الأُصُـلِ(٣)

بكلّ مرتعـدِ العِرنين(٤) ما عرَفَتْ ... حَـوْباؤه(٥) خُلُقَ الهيّابةِ الوَكَـلِ(٦)

تدعُو على ساعديه ، كلَّمـا آشتملتْ ... على حنِيَّتِـــه ، الأرواحُ بالشَّـــلَلِ

فى جَحفـلٍ(٧) كالغمام الجَوْنِ(٨) ملتبِسٍ ... بالـــبرق والرّعد من لَمعٍ ومن زَجَلِ(٩)

يُزجِى قَـــوارحَ(١٠) فاتت باعَ مُلجِمها ... كأنَّ راكبَهـا موفٍ على جبـــلِ

عوَّدها الكرَّ والإقـــدامَ فارسُها ... فأنت تحسَبُها صـــدرا بلا كَفَلِ

أمَا سمعـــتم "لبولاذٍ" وأســـرتِهِ ... أحدوثةً شَرَدت فوضَى مع المَثَـــلِ

إذ حطَّه الحَيْنُ من صمَّاء شاهقةٍ ... لا يلحَـــق الموتُ فيهـا مهجةَ الوَعِلِ(١١)

فخـــرَّ للفـــمِ والكفَّين منعفـــرًا ... إنّ السيوفَ لمن يَعصيك كالقُبَلِ

تعافه الطـــيرُ أن تقتاتَ جثَّتَـــهُ ... لعلمهـا أنه من أخبث الأُكُلِ

الأرضُ دارُك والأيامُ تُنفقهـا ... على بقائك والأمـــلاكُ كالخَـــوَلِ(١٢)

متِّـــع لواحظَنا حتّى نقـــولَ لهـا : ... لقـــد رأيتِ جميعَ النـاس فى رجلِ

---

(١) الجودى : اسم جبـل . (٢) الطفل : احمرار الأفق قبيل غروب الشمس .
(٣) أصل : جمع أصيل وهو الوقت مابعد العصر الى المغرب . (٤) العرنين : الأنف .
(٥) الحوباء : النفس . (٦) الوكل : العاجز . (٧) الجحفل : الجيش العظيم .
(٨) الجون : الأسود . (٩) الزجل : الصوت . (١٠) القوارح : جمع قارح وهو من الخيل بمنزلة البازل من الإبل . (١١) الوعل : تيس الجبل . (١٢) الخول : الخدم .

* * *

وقال يمدح الوزير أبا العباس بن فَسَنجُس الملقّب بعَلاء الدين ، وكتب بها إليه بواسط ، ويذكر حربَه لابن الهَيْثم أميرِ البطائح :

لا أعذِر المـــرءَ يصبو وهو مختـارُ ... الحبُّ يُجمَـعُ فيـــه العـارُ والنـارُ

فعـارُه سَـفَه العـــذّال إن هَجـروا ... ونارُه حُـــرَقٌ إن شطّت الدارُ

لـــولا كَهانة عينى ما درت كبِدى ... أن الخِمارَ(١) سحـابٌ فيـــه أقمـارُ

يُهـــوَى بياضُ محيّاها وحُمـــرتُهُ ... كما يروقـــك دِرهامٌ ودينـارُ

إيهِ(٢) أحاديث "نَعْمانٍ" وساكنـــه ... إنّ الحديثَ عن الأحباب أسمـارُ

يا حبذا روضُه الأحوَى إذا آحتجَبتْ ... عنّى الثغـــورُ حكاها منـــه نُـــوّارُ

وحبّـذا البانُ أغصانا كَرُمنَ فما ... لهنّ إلا الحَمامُ الـــوُرقُ أثمـارُ

ظلِلتَ مُغْـــرًى بذى عينينِ تعـــذُله ... وقبلَه قد تعاطى العشـــقَ "بشّارُ"(٣)

عنـد العـــذول آعتراضات ومَعنفـةٌ ... وفى العتـاب جـــواباتٌ وأعـــذارُ

لا سنَحتْ بعدهم عُفـــرُ الظباء ولا ... ترجّحتْ فى الغصـــون الخُضْر أطيارُ

كأننى يومَ "سُـــلمانَيْنِ" قد علِقتْ ... بى من أُسَامةَ(٤) أنيـابٌ وأظفـارُ

---

(١) الخمار : غطاء يوضع على رأس المرأة .

(٢) إيه : اسم فعل للاستزادة من حديث معهود واذا نونته كاف للاستزادة من أى حديث .

(٣) بشار : هو ابن برد الشاعر الضرير المشهور ، وفى هذا البيت إشارة الى قوله : * والأذن تعشق قبل العين أحيانا *

(٤) أسامة : الأسد .

أفتّش الريحَ عنكم كلّما نفحتْ ... من نحو أرضكم نكباءُ معطارُ

وأسأل الركبَ أنباءً فيكتمنى ... كأنّكم فى صدورِ القوم أسرارُ

حتى الخيال بدا جنبى ليوهمنى ... قُربا ومن دونكم بيدٌ وأخطارُ

ما تطمئنُّ بكم دارٌ كأنّ "علا ... ءَ الدّين" مطلبُه فى حيّكم ثارُ

هو الذى لو حمى مَرعًى لما سرحتْ ... سوائم الدهر إلا حيث يختارُ

ولو تُجاوره الأغصانُ ما خطرت ... ريحُ النُّعامى[1] عليها وهى مغوارُ

يُحكَى له فى المعالى كلُّ مأثرةٍ ... تُصبى القلوبَ وتُروَى عنه أخبارُ

عظّمتُمَن له فى المجد مَكرُمةٌ ... وأين ممّن له فى المجدِ آثارُ

أنّى أقام فذاك الشّعبُ[2] متّجعٌ ... وكلُّ يومٍ يُحيّا فيه مختارُ

لولا ضمانُ يديه ربَّ عالَمِه ... لجاءت السُّحبُ من كفّيه تمتارُ

يلقَى العُفاةَ ببشرٍ شاغلٍ لهمُ ... عن السؤال وللأنواء أنوارُ

وحظُّه فى العطايا أنّ راحتَه ... بين العُفاةِ وبين الرِّفدِ سُمّارُ

أخو المطامعِ يلقاه بذلّتها ... ويثنِى وهو فى عِطفيه نَظّارُ

أفنَى الرجاء فما للخيل ما نحتوا ... من السروج ولا للعِيس أكوارُ

لا يَنهَبُ الشكرَ إلا من كتائبِه ... يومَ التغاورِ أضيافٌ وزُوّارُ

إذا القِرَى عَقَرت أمَّ الحُوارِ[3] له ... رأيتَه وهو للا مال عَقّارُ

---

(١) النعامى : ريح الجنوب . (٢) الشعب : الحى العظيم . (٣) الحوار : ولد الناقة الى أن يفطم .

لله مقتبلُ الأيام همّتُه ... لها من البأس والإقبال أنصارُ

ثِقْ بالنجاح إذا ما اجتاب سابغةً[1] ... لها "الثريّا" مساميرٌ وأزرارُ

لا يتوارى ضميرٌ عن سريرته ... كأنما ظنُّه للغيب مِسبارُ[2]

من الورى هو، لكن فاقهم كرما ... كذلك الدرُّ والحصباءُ أحجارُ

بأيِّ رأيٍ "أبو نصرٍ" يجاذبه ... حبلَ الخلاف وبعضُ النقضِ إمرارُ[3]

أما رأى أنّ ليثَ الغاب مجتمعٌ ... لوثبةٍ وفنيقَ النِّيبِ[4] هدّارُ[5]

ولا جُناحَ على مُرسٍ كلاكلَه[6] ... اذا تقدّم إعذارٌ وإنذارُ

بدأتَه بابتسامٍ ظنّه خَوَرا ... فاعترّ والكوكبُ الصبحيّ غرّارُ

الآن إذ كشفتْ عن ساقها ورمت ... قناعَها الحربُ والفُرسان أغمارُ[7]،

غدَا يمسّح أعطافَ الردَى ندما ... وكيف تنهضُ ساقٌ مُخُّها رارُ[8]

يُغشِي السفائنَ نيرانَ الوغَى سفَها ... والنارُ أقواتُها الأخشابُ والقارُ[9]

إن كان للأجَم[10] العاديِّ مدّرعا ... فالليثُ بين يراع[11] الخيس مِذعارُ

أو كان يغترُّ بالأمواه طاميةً ... فإن بالقاعِ من كفّيه تيّارُ

---

(١) اجتاب : لبس، والسابغة : الدرع . (٢) المسبار : أداة يعرف بها غور الجرح .
(٣) الإمرار : إحكام الفتل . (٤) الفتيق : الجمل الكريم على أهله ولا يركب .
(٥) النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٦) الكلاكل : الصدور — والمراد بها هنا الأحمال والأثقال — . (٧) أغمار : جمع غمر وهو الكريم الواسع الخلق . (٨) الرار : الفاسد . (٩) القار : الزفت . (١٠) الأجم العادى : الشجر الملتف القديم .
(١١) اليراع : القصب، والخيس : مريض الأسد .

إذا تـــرنَّم حَـــولىٌّ البعـــوض له ... ترنَّمت فى قسىِّ "الـــترِّك" أوتارُ

أنجِـــزْ مواعيـــدَ عزمٍ أنتَ ضامنُها ... ولا يُنهنِهْـــكَ إردبٌّ وقِنـــطارُ

فإنما المالُ رُوحٌ أنت مُتلفُها ... والذِّكرُ فى فلواتِ الدهرِ سَـــيَّارُ

لا تـــترِكْ نُهـــزَةً عنَّتْ مسـلَّمَةً ... إلى عـــلاك فإن الدهرَ أطـــوارُ

وما ترشَّح يـــومُ المِهـــرَجانِ لها ... إلا وللسـعدِ إيـــراد وإصـــدارُ

لما رآك نـــوى نَـــذرا يقـــومُ به ... حتى أتاك وشـــهرُ الصـــوم مِضمارُ

وقـــد زففنا هـــداياه مُنمنَمـــةً (١) ... كأنّها فى رقاب المجـــد تِقصارُ (٢)

ولستُ ارخصُ أقـــوالى لسائمها ... إلا عليـــك، وللأشـعارِ أسـعارُ (٣)

* * *

وقال يمدح الوزير أبا المعالى بن عبد الرحيم فى النيروز :

أَلَكم الى ردِّ الشـباب سبيلُ ... أم عنـــدكم لمشـــيبه تأويلُ؟

نُورٌ من الشـــعَراتِ ليتَ أفولَه ... فيهـا طـــلوعٌ والطـــلوعَ أفولُ

ما كان يشفع لى بجـــدَّد هِجرةً ... فِقـــدانُهُ لكنّه تعليـــلُ

يا ليتـــه جَنَبَ الغـــرامَ وراءه ... فيقـــالَ : لا غـــرٌّ ولا معـــذولُ

ها تلك أشجـانى كما خلَّفتها ... لعبَ الزمانُ بهـا وليس تحـولُ

---

(١) منمنمة : مزخرفة موشاة . (٢) التقصار : القلادة . (٣) فى الأصل "أشعار" وهو تصحيف .

يقتـادُنى البرقُ اليمـانِ كأنه ... من عند إيمـاضِ الثغور رسـولُ

وكأنَّ قلبى — والمهامهُ بيننا — ... حىٌّ على "وادى العِضـاهِ" حُلولُ

تُفتِى براقِعُهـم، وما آستفتيتُها، ... أنّ اللّحـاظَ إذا آختُلسنَ غُلولُ (١)

أُنظر خليلى من "قَرَارٍ" (٢) هل ترى ... قَطَنـا (٣) فطَرفُ العـامرىِّ كليـلُ؟

وحلفتُ ما بصَرِى بأصدقَ منكما ... نظرا ولكنَّ الغـرامَ دليلُ

قالوا : الديارُ وقد وقفت فزدانى ... بثًّا رسـومٌ رثَّةٌ وطـلولُ

ونَشِقتُ خفّاقَ النسيم فما شـفا ... دائى ، وهل يشفِى العليلَ عليلُ؟!

وكرَعتُ سَلسالَ الغدير وليس ما ... بُلّ الشـفاهُ به يُبَـلُّ غليـلُ

يا ضـالة الوادى أَحُثّ مطيّتى ... أم عند ظبيِك فى الكناسِ (٤) مَقيلُ؟

عيناه أسـلمُ لى ويُعجِبُ ناظرى ... مُقَلٌ كأن لحاظَهنَّ نُصـولُ (٥)

مُقَلٌ لغِـزلانِ "الحِجازِ" وسِحرُها ... من "بابِلٍ" مستجلَبٌ منقولُ

ولقـد طرقتُ البيتَ يُكره ربُّه ... والشوقُ ليس يَعيبـه التطفيـلُ

أيظُنُّ من عَقَر النجائبَ قومُه ... أن الدماءَ جميعَهـا مطلولُ

من دون سفكِ مدامعى ماشئت من ... حِـلْم ودون دمِى تغولك غولُ

وأنا آمرؤٌ لو مُـدَّ من غُلوَائه (٦) ... نطقى، لقيل : كلامُـه تنزيلُ

---

(١) غلول : جمع غل وهو القيد . (٢) قرار : واد قرب المدينة . (٣) القطن : جمع قطين بمعنى القاطن . (٤) الكناس : بيت الظبى . (٥) نصول : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف . (٦) الغلواء : — وقد تسكن اللام — الغلو فى الشىء .

لا يطمع العظماءُ فى مـدحى ولا ... طمَعى على أبوابهـــم معقـولُ

ولو آستطعتُ لما آغتبقتُ بشَربةٍ ... مما يَمُدُّ "فُراتُهـم" "والنيلُ"

وإذا تأمّلتُ الرجالَ تفاوتت ... قِيَما ومـيّز بينهـا التحصـيلُ

بعضٌ هُمُ غُرر الجيـادِ وبعضُهم ... بين السنابك(١) والصِّفاقِ(٢) حُجولُ(٣)

مِثل الحُلـى دماجٌ وخلاخلٌ ... منـه ومنـه التـاجُ والإكليلُ

لـولاهُمُ غرَبتْ شموسُ محاسنٍ ... وهوَى ببـدر المكرمَات أفُـولُ

تبًّا لهـذا الدهر لا مِيزانهُ ... قِسْـطٌ(٤) ولا فى قَسمه تعـديلُ

جَوْرٌ يساوى عالمـا متعـالِمٌ ... فيـه ويُشبِهُ فاضـلا مفضولُ

لا درَّ درُّ المرء يقطـعُ دهرَه ... رِخـوَ الإزارِ وعزمُه مفـلولُ

اَلبيـدُ تزرعُهـا المناسمُ(٥) وهى لا ... تدرى أعرضٌ شوطُها أم طـولُ

واليَعْمَلاتُ(٦) سياطُهـا وحذاؤها ... نسبٌ نماه "شَدقمٌ"(٧) "وجديلُ"

فاذا "كمالُ الملكِ" سَحّ سحابُهُ ... نبتَ الرجاءُ وأثمر المـأمولُ

سبقت مواهبُه المديحَ فظنّ مَن ... عجِلتْ اليـه أنهـا بِرطيـلُ(٨)

---

(١) السنابك : حوافر الخيل . (٢) الصفاق : جلد البطن كله . (٣) الحجول : جمع حجل — بكسر الحاء — وهو البياض فى قوائم الفرس . (٤) القسط : العدل وهو من المصادر التى يوصف بها كما يقال : رجل عدل ، — ويستوى فيه الواحد والجمع — . (٥) المناسم : جمع منسم وهو الخف . (٦) اليعملات : النوق النجيبة المطبوعة على العمل . (٧) شدقم وجديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنـذر يضرب بهما المثل فى النجابة . (٨) البرطيل : الرشوة ، ومنه « البراطيل تنصر الأباطيل » .

عجِلٌ الى المعروف يحسَب أنه ... ظـــلٌّ اذا لم يغتنمه يزولُ

كثُر الكلامُ به ، وفى أمثالهم ... من قبـله : أنّ الكرامَ قليلُ

وإذا جرى فى غايةٍ شهِدت له ... أن لا محلِّقَ فى مَداه رسيلُ (١)

ضلّتْ ركائبُ من يؤمُّ طريقه، ... إنّ العـــلاءَ سبيلُه مجهـولُ

يتوارث المجـــدَ التليـدَ بمعشر ... أدنَتْ فروعَـهمُ اليـــه أُصولُ

جازوا على عَنَت الحسودِ فلم يجد ... عيبا، وماذا فى النجوم يقـــولُ ! !

لهمُ، إذا كرمُ الطبـاعِ هزَزْنَهُ، ... نصـــلٌ وأنت الرونقُ المحـــلولُ

وإذا آنتهى نسبٌ إليـــك فإنه ... فَلَقُ الصباح مع الضُّحى موصولُ

ولقد شـددتَ وَثاقَ كلِّ مُلمَّـةٍ ... يُلوَى عليهـا مُبرَمٌ (٢) وسحيـــلُ

وحَميت أعطانَ الأمور وإنمـا ... كانت غمـاما بالدماء تسـيلُ

وإذا آلتقت حِلَقُ البِطان (٣) فإنمـا ... يكفيك ثَمَّ رسـالةٌ ورســولُ

بدلا من القُب (٤) العِتاق ضـوامرٌ ... رُقشُ (٥) المتونِ (٦) صريرُهن (٧) صهيلُ

يَنبُتنَ مثـل الروض إلا أنّه ... ترعاه أسمـاعٌ لنـا وعقـــولُ

ومن الصِّفاح البيضِ كل صحيفةٍ ... لتزاعهـا بالراحتين صليـلُ

---

(١) الرسيل : الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق . (٢) المبرم : الحبل المحكم الفتل ، والسحيل ضده . (٣) البطان : حزام الدابة . (٤) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٥) رقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة ببياض وسواد — والمراد بها هنا الأقلام — . (٦) المتون : الظهور . (٧) الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

سَحبت لكَ الأيامُ فضلَ ردائها مَرَحا يدوم بقاؤه ويطـولُ
وتتابعت حِججٌ يؤرِّخ عصـرَها عُمـرٌ به خُلدُ الزمان كفيلُ
ينتابك "النوروز" يجنُب إثرَهُ أعوامَ سـعدٍ كلُّهن صقيـلُ
هو خطةٌ همَّ المُصيفُ بقصـدها شـوقا ونادى بالشـتاء رحيـلُ
أخذ الربيعُ زمامه حتى آستوى فى عارضـيه نبتُه المطـلولُ
بك أشـرقت أيّامـه فكأننـا فى عصرِ "كِسرَى يَزْدَجِرْدَ" نُزولُ

* * *

وقال يمدحُه أيضا :

ما ضاع من أيّامنا هل يُغرَمُ هيهات والأزمانُ كيف تقـوَّمُ؟!
يومٌ بأرواحٍ يبـاعُ ويشـترَى وأخـوه ليس يُسامُ فيـه دِرهمُ
سيان قلبي فى المشيب وفى الصِّبا لو يسـتوى شَـعرٌ أغرُّ(١) وأسحمُ
لى وقفـةٌ فى الدار لا رجعت بما أهـوى ولا يأسِى عليهـا يُقدِمُ
لا تحسب الآثارَ لُعبـةَ هازلٍ نار آذكارِك فى المعـالم تُضرمُ
أوما رأيتَ عِمـادَها(٢) فى ثَويها مثلَ السِّوار يحول فيـه المِعصمُ
وكفَاك أنى للنواعبِ عاتبٌ ولصُـمِّ أحجـارِ الديار مكلِّـم
ومن البـلادةِ فى الصبـابة أننى مستخبرٌ عنهنَّ من لا يفهـمُ

(١) الأغر : الأبيض ، والأسحم : الأسود .
(٢) الثوى : حفيرة حول الدار تمنع السيل ، وفى الأصل «غمارها فى ثوبها» وهو تحريف .

وأنا البليغُ شكا اليها بثّه ... عبثا فما بالُ المطايا تُرزِمُ(١)

كلٌّ كنَى عن شوقِه بلغاتِه ... ولربّما أبكى الفصيحَ الأعجمُ

ترجُو سُلوَّكَ فى رسومٍ بينها الـ ... ـأغصانُ سكرَى والحمامُ متيّمُ

هذى تميلُ إذا تنسّمت الصّبا ... والوُرق تذكر إلفَها فترنّمُ

فمتى تروع العيسُ غزلانَ النقا ... بعصابةٍ سئمَ العواذلُ منهمُ

النُّسكُ عند عفيفهم دينُ الهوى ... والنصح عند لبيبهم لا يُفهَمُ

حتّام أرعَى وردةً لا تُجتنَى ... فى الخدِّ أو تُفّاحةً لا تُلثمُ

أيُذادُ عن تلك المحاسنِ ناظرى ... وتريد منى أن يسَوَّغَها الفمُ؟

فى كلّ يومٍ للعيون وقائعٌ ... إنسانُها الطمّاحُ فيها يُكلَمُ(٢)

لو لم تكن جَرْحَى غداةَ لقائهم ... ما كان يجرى من مآقيها الدمُ

ولو آقتدرتُ قسمتُها يومَ النوى ؛ ... عينا تلاحظهم وأخرَى تَسْجُمُ(٣)

دع لمحةً إن تستطع عُلَقَ الهوى ... فبذاك تعلمُ كيف نام النوّمُ

ولطالما آعتقب العواذل مسمعى ... فزجرنَ منه مُصْعَبا(٤) لا يُخطَمُ(٥)

ما كنتُ أولَ من عصاهُ فؤادُه ... وجنَى عليه مقنّعٌ ومعمّمُ

لم أدر أنّ الحبَّ حومةُ مأزقٍ ... تُصلِى ولا أنّ اللواحظَ(٦) أسهمُ

---

(١) ترزم : تحن وتئن . (٢) يكلم : يجرح . (٣) تسجم : تسح بدمعها كالقطر .

(٤) المصعب : الجمل الذى لا يركب لكرامته . (٥) يخطم : يوضع فى أنفه الخطام .

(٦) فى الأصل «المحاسن» وفى منتخبات البارودى «اللواحظ» وقد رجحناها .

أصفُ الأحبّةَ، واللسان يقول لى: وصفُ الوزير «أبى المعالى» أعظمُ

المستجير من المذمّة بالنَّدَى والمستجار إذا أظلَّك مَغْرمُ

فى كلّ يوم للمكارم عنده سوقٌ، "عُكاظٌ" دونها والموسِمُ

وكأنّما أمواله من بَذلها نَهبٌ بأيدى الغانمين مقسَّمُ

فلو أنها وَجدتْ عليه ناصرا لرأيتها من كفّه تتظلّمُ

أسمعتَ قبلَ يمينه وشماله بسحائبٍ أو أبحرٍ تتخضّمُ؟

فيهنّ من قِصدِ اليراع(١) أراقمٌ(٢) تَقضى وتَمضى والقنا يتحطّمُ

ماهنّ إلا موردٌ من فوقِهِ طيرُ الرغائبِ والمطالبِ حُوَّمُ

الجِدُّ من عزماتِهِ متلقِّنٌ والمجدُ من أخلاقه متعلِّمُ

متهلِّلٌ للوفد يُحسَب أنه بدرٌ أحاط بجانبيه الأنجُمُ

تُثنِى عواذله عليه بعذلهم ولربّما نَشَرَ الثناءَ اللُّوَّمُ

خلعتْ عليه المكرُماتُ ملابسا مايزال ينقُشها المديح ويرقُمُ

عِشق المعالىَ فهْو من شغفٍ بها عند الرقاد بغيرها لا يَحلُمُ

بصوابه فى الرأى ثُقِّفت القنا وبعزمه صُقِل الحسامُ المِخذَمُ(٣)

يحمى بسطوته مسارحَ لحظِهِ فالعزُّ فى أبياته مستخدَمُ

---

(١) قصد اليراع : كسر الأقلام .

(٢) الأراقم : الحيات . — وهى هنا على التشبيه — .

(٣) المخذم : القاطع .

وإذا تلمّح قلت : صقرٌ ناظـرٌ ... وإذا تغاضَى قلت : أطرقَ أرقمُ (١)

ثَبْتُ الجَنانِ كأنّما فى بُرده ... يومَ الزعازع "يذبُلٌ" "ويلملمُ" (٢)

رفَعتْ له هِمّاتُه وزَماعُـه (٣) ... بنيانَ مجدٍ ركنُه لا يُهـدَمُ

طَـوْلٌ تشرَّد فى البـلاد فمنجِدٌ ... يَروِى الذى يَرويه آخرُ متهِـمُ

لله أنتَ إذا تسـلّبت الـرُّبَى (٤) ... وشـكا الأُحاحَ سِماكُها والمِرْزَمُ

لِيُردَّ مَن جاراك رأسَ طِمِرَّةٍ (٥) ... ما كلُّ طِـرْفٍ (٦) فى السّباقِ مطهَّمُ (٧)

للمجـد أثقـالٌ (٨) تعِجُّ إفالُهـم (٩) ... منهـا وينهَـزها الفنيقُ (١٠) المُقـرَمُ (١١)

حاشاك أن يَثنِى طباعَك فى الندى ... ثانٍ وينقُصَ من خِلالك مُـبرِمُ

إن تَصنع الحسنَى فإنك زائدٌ ... أو تُسـبغ النُّعمَى فأنت متمّـمُ

وأنا الذى سيَّرتُ شكرَك فى الدُّنَى (١٢) ... حتى تلاه مُعـرِقٌ أو مُشئِمُ

وجلبتُ من بحر الثناءِ لآلئـا ... فى نحـرِ ما أو ليـتنيه تُنَظَّمُ

أو ردتُ آمالى غـديرَك آمنـا ... من أن يكون وراءَ شهـدٍ عَلقمُ

ورضعتُ ثدىَ نداك من دون الهوى ... ثقـةً بأنّ رضيعَـه لا يُفطَمُ

---

(١) الأرقم : الثعبان . (٢) يذبل ويلملم : جبلان . (٣) الزماع : المضاء .

(٤) الأحاح — بالضم — : العطش وحرارته ، والسماك والمرزم : نجمان . (٥) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٦) الطرف : الجواد . (٧) المطهم : التام الحسن .

(٨) تعج : تصيح وترفع صوتها . (٩) إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .

(١٠) ينهزها : ينهض بها ؛ والفنيق : الفحل لا يركب لكرامته . (١١) المقرم : المكرم الذى لا يحمل عليه . (١٢) الدنى : جمع الدنيا ، — واذا جمعت مع أنها واحدة فلاعتبار أقسامها .

أهدَى لك "النيروزُ" فى أغصانهِ زَهرا بأوراقِ العـــلاء يُكمَّـــمُ
فى كلِّ يومٍ خيـــلُه وركابُه جَبهاتُهنَّ بطيب ذكرك تُوسَمُ
لا زالت النَّعماءُ عنـدك، حَلْبُهـا ملءُ الإناء وبطنُهـا لا يُعقَـــمُ
والدهر مجنـــوبٌ وراءك كلّمـا واتاك أســـعده القضـاءُ المبرَمُ
كالنِّقسِ(١) ليلتُـه وطِـرسٍ يومُـهُ والنُّجحُ يَكتُبُ والسـعادةُ تختِمُ

* * *

وقال يمدحُ بَرَكةَ بن المقلَّد العُقَيليّ، ويلقّب زعيم الدولة :

تُرى رائحٌ يأتى بأخبـار مَن غـــدا وهل يكتُمُ الأنبـاءَ من قد تزوَّدا
أُحبّ المقـالَ الصدقَ من كلّ ناطقٍ ســوى ناعبٍ قد قال : بينُهُـمُ غدا!
ألَا آستوهِبا لى الأرحبيَّـةَ(٢) هَبَّـةً لنُحدثَ عهـــدا أو لنضربَ موعدا
حرامٌ عـلى أعجازهنّ ســياطُنا فيـا سائقيْها آستعجِلاهنَّ بالحُـــدا
مـتى ترِدا المـاءَ الذى وَردتْ به ظبـاءُ "سُلَيمٍ" تَنقَعا غُـلّةَ الصدى
فلا تُشـغَلا عنـــه بلـــثمِ حَبـابهِ(٣) تظنّانِه ثغـــرا عليـــه تبـــدَّدا
فقـد طـال ما أبصرتُمـا ظبيَ رملةٍ فشبّهتُماه ذا دَمالجَ أغيـــدا
فرشتُ لجنبِ الحبّ صدرى وإنمـا تهابُ الهوى نفسٌ تخاف من الردى

---

(١) النقس : المداد الأسود . (٢) الأرحبية : الإبل المنسوبة الى الأرحب وهو فحل من الفحول النجيبة ؛ أو هو آسم قبيلة تنسب اليها . (٣) الحباب : نفاخات الماء والخمر التى تعلوهما .

ونفّرتُ عن عينى الخيالَ لأنه ... يحاولُ مَـدِّى نحو باطـله يدا

أرى الطيفَ كالمرآة يخلُق صورةً ... خداعا لعينى مثلما يَسحَر الصَّدى (١)

أتزعمُ أنّ الصبرَ فيك سجيّةٌ ... وتشجَى إذا البرق التِّهامىُّ أنجدا

وقالو : أتشكو ثم تَرجِعُ هائما؟ ... فقلتُ : غرامٌ عاد لى منه ما بدا!

تُعاد الجسومُ إن مرضنَ ولا أرى ... لهذى القلوب إن تشكَّين عُوَّدا

فلا تحسبوا كلّ الجوانح مُضغةً ... ولا كلَّ قلبٍ مثلَ قلبىَ جلمدا (٢)

وحىٍّ طرقناه على زوْرِ موعدٍ ... فما إن وجدنا عند نارهمُ هُدى

وما غفلتْ أحراسُهم غير أنّنا ... سقطنا عليهم مثلَما سقَط النَّدى

فلما ٱلتقينا حشَّ قلبى فراقُهم ... فلم ينكروا النارَ التى كان أوقدا

نزحتُ دموعى بعدَهم من أضالعى ... مخافةَ أن تطغَى عليها فتجمُدا

وفى العيش مَلهًى لامرئ بات ليلَه ... يشاور فى الفتك الحسامَ المهنَّدا

إذا ما ٱشتكت قَرْحَ السهاد جفونُهُ ... أداف لها من صِبغة الليل إثمِدا (٣)

يظنّ الدجَى فرعا أثيثًا نباتُهُ ... ويحسَبُ قَرن الشمس خدًّا موردّا (٤)

ويرضَى من الحسناء بالرِّيم إن رنا ... كحيلا مآقيه وأتلعَ أجيدا (٥)

---

(١) يسحر : يخدع ؛ والصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته . (٢) الجلمد : الصخر . (٣) أداف : أذاب وخلط ؛ والإثمد : حجر يكتحل به . (٤) الفرع الأثيث ، الشعر الكثيف . (٥) الريم — ويهمز — الغزال ؛ والأتلع الأجيد : الطويل الجيد .

كما "بزعيم الدولة" الأمم ارتضت ... على الدين والدنيا زعيما وسيدا

أقاموا بدار الأمن (١) فى عرصاته ... كأنهم شدّوا التميم المعقدا

رمى عزمه نحو المكارم والعلا ... مصيبا فكان المجد مما تصيدا

إذا أمّم السارون نور جبينه ... كفى الركب أن يدعو جدّيا (٢) وفرقدا

تلألأ فى عرنينه نور هيبة ... تخر له الأذقان فى الترب سجّدا

أباح حمى أمواله كل طالب ... من الناس حتى قيل : ينوى التزهّدا

له روضة فى الجود أكثر رودا ... من المنهل الطامى وأوفر ورّدا

تناكص عن ساحاته السحب، إنها ... متى حاكمته فى الندى كان أجودا

وهل يستوى من يمطر الماء والذى ... أنامله تهمى لجينا (٣) وعسجدا

ومن برقه نار ومن برق وجهه ... تهلل مرتاح الى الجود والندى

قليل هجوع العين تسرى همومه ... مع الجاريات الشهب مثنى وموحدا

ومن كان كسب المجد أكبر همه ... طوى بردة الليل التمام (٤) مسهّدا

متى ثوّب الداعى ليوم كريهة ... تأزّر بالهيجاء واعتمّ وارتدى

وقد علمت أشياخ "جوثة" (٥) أنه ... أمدّهم باعا وأبطشهم يدا

---

(١) عرصات : جمع عرصة وهى ساحة الدار . (٢) جدى وفرقد : نجمان . (٣) اللجين والعسجد : الذهب والفضة . (٤) الليل التمام — بكسر التاء — هو أطول ما يكون من ليالى الشتاء، ويقال أيضا : ليل التمام — بالاضافة — . (٥) جوثة : قبيلة .

لهم واصَلَ الطعنَ الخلاجَ (١) فأصبحت تَشَكَّى الردينيَّاتُ (٢) منه تأوُّدا

رأى الودَّ لا يُجدى وليس بنافع سوى نقمات السيف والرمح فى العدا

فما يقتنى إلا حساما مهنّدًا وأسمرَ (٣) عسّالا وأقودَ (٤) أجردا

متى يَرْمِ قوما بالوعيد وإن نأت ديارهُمُ عنه أقام وأقعدا

وما الرمح فى يمنَى يديه مسدَّدا بأنفذَ منه سهمَ رأيٍ مسدّدا

صهيلُ الجياد المقرَبات (٥) غِناؤه فلو شاء سمّاها "الغريضَ" "ومَعْبدا" (٦)

ويُذكِره بزلَ النجيع من الطُّلَى (٧) (٨) عِشارٌ جلبنَ البابليَّ (٩) المبرَّدا

فلو لم يكن فى الخمر للبأس مشبِهٌ وللجود لم يجعلْ له الكأسَ مَوردا

بعثت لسكّان "العراق" نصيحةً (١٠) متاركةَ الرئبال (١١) فى غِيله سُدَى

ولا تأمنوا إطراقه إنّ كيْده ليستخرج الضبَّ الخبيثَ من الكُدَى (١٢)

أرى لك بالعلياء نارا فَراشُها ضيوفُك يُقرَوْنَ السَّديفَ (١٣) المسَرْهَدا (١٤)

فلا تُفنِينَّ العِيسَ (١٥) بالعَقْر إنها متى تَفنَ تجزُرْهُم إماءً وأعبُدا

(١) الخلاج : المضطرب المهتز . (٢) الردينيات : الرماح — منسوبة الى امرأة تسمى "ردينة" كانت تقوم الرماح ؛ والتأود : التثنى . (٣) الأسمر العسال : الرمح المهتز . (٤) الأقود الأجرد : الفرس الذلول المنقاد القصير الشعر . (٥) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٦) الغريض ومعبد : مغنيان معروفان . (٧) النجيع : الدم . (٨) الطلى : الأعناق ، واحدها طلية . (٩) البابلى المبرد : الخمر . — منسوب الى بابل — . (١٠) الرئبال : الأسد . (١١) الغيل : مربض الأسد . (١٢) الكدى : جمع كدية وهى الأرض الغليظة ؛ ويقال : ضب الكدية وضباب الكدية لولعها بحفرها . (١٣) السديف : شحم السنام . (١٤) المسرهد : السمين . (١٥) العيس : الإبل .

وكم موقفٍ أســكرتَ من دمِه القنا وأشـبعتَ فيـه السـيفَ حتى تمرَّدا

ولو تجحد الأقرانُ بأسَـك فى الوغى أنتـك النسـورُ بالذى كان شُهَّـدا

إليـــك نقلناهـا أخامصَ لم تجـد سوى بيتك الأعلى مُناخا ومَقصِـدا

ولو بعُـدَ المسرَى زجرنا على الوجَى (١) أغـرَّ وجيهيًّا (٢) ووجناءَ جَلْعَـدا (٣)

ومثلك من يرجـو الأسـيرُ فِكاكَه ولو كان فى جَـور الليـالى مقيَّـدا

لئن كنتَ فى هـذا الزمان وأهـلِه كبيرا لقد أصبحتَ فى الفضل مفردا

* * *

وقال وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

حرامٌ عـلىَّ طُـروقُ الديا رِ ما دام فيهـا الغزالُ الربيبُ

أشاهـد فى جانبيهـا هـوايَ لغـيرى ومالىَ فيـه نصيبُ

وقـد كان فوضَى فكان المنى تعـللنى، والتمـنِّى كذوبُ!

فلمَّـا تصـيَّده قانـصٌ ألدُّ على ما حـواه شَـغوبُ،

تداويتُ من مرضٍ فى الفـؤاد بيأسىَ، واليأسُ بئسَ الطبيبُ!

فقد وهبَ الثأرَ ذاك الحريصُ ونام على الحقـدِ ذاك الطلوبُ

ومن عزَّ مطلبُـه مُهـمَلا فكيف به وعليـه رقيبُ؟!

فلا حظَّ فيـه سـوى لمحـةٍ تُنافس فيهـا العيونَ القـلوبُ

(١) الوجى : الحفا . (٢) الوجيـه : فرس تنسب اليه جياد الخيل . والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين . (٣) الجلعد : الصلبة الشديدة .

وُجـــود الأمـــير بأمثـاله فكلُّ بعيـدٍ عليـه قـريبُ

وهـوب الجيـادِ وبيض القِيا (١)ن والظبي يرتجُّ منه الكثيبُ

وعَقّـار كُومِ (٢) الصَّفايا (٣) إذا تعـــذَّرَ عند الضُّروع الحليبُ

تَعيثُ الأخـــلّاءُ فى ماله كما عاث فى جانب السِّرب ذيبُ

وما يسـحَرُ القـولُ أخلاقَـهُ ولكنّـه الكرمُ المستجيبُ

* * *

ظَفِرتَ ، وويلُ أمّها حُظوةً، ببـدرٍ تُزرُّ عليـه الجيوبُ

إذا رُدِّد الطَّـرفُ فى حسـنه أثار البـديعَ وماج الغريبُ

عُبـوسٌ يُولَّد منـه السرورُ ومن خُلُقِ الخندريسِ (٤) القُطوبُ

وتيـهٌ كأنْ ليس بدرُ السماء يُلمُّ الكسوفُ به والغُـروبُ

ولـولا حيـاءٌ تقمَّصـتُهُ لأجلكَ ججَّ إليـه النسيبُ

سأطـوِى على لَهَبٍ غُلَّـتى إلى أن يُعطَّـلَ (٥) ذاك القَليبُ

وأعلمُ أنْ سـيباحُ الحمى إذا أظهـر الشعَراتِ الدبيبُ

طِـرازٌ ينمـنِمُ فى العـارضيْن يُزيَّنُ منـه الرداء القشيبُ (٦)

فما ذلك الحسنُ مسـتقبَحا بشَـعرٍ ولو لاح فيه المشيبُ

---

(١) الكثيب : تل الرمل — والمراد به هنا الكفل فى ارتجاجه — . (٢) كوم : جمع كوماء . وهى الناقة الضخمة السنام . (٣) الصفايا : جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن .

(٤) الخندريس : الخمر . (٥) القليب : البئر — وفيه كناية حسنة — . (٦) القشيب : الجديد .

* * *

وكتب إليه وقد بلغه عنه عتبٌ فى تأخُّرِ الزيارة :

قد طال للماطِلِ أن يُقتَضَى ... وأن يعافِى الحبُّ من أَمرضا

سلُوا الذى حالفنى فى الهوى : ... بما الذى كفَّر إذ أعرضا؟!

ملآن غيظا وفؤادى به ... مقلَّبٌ فى جمَراتِ "الغضا"

نادِ على نفسك : هذا القِلَى (١) ... جزاءُ من حَكَّم أو فَوَّضا!

صاحِ ترى برقًا على "جاسِمٍ" ... كأنّه هِنديَّةٌ (٢) تُنتَضَى،

أذكرنى عهدَ "عقيقِ الحِمَى" ... ولا يُعيد الذكرُ ما قد مضَى

سرَى مع الطيف، فهذا لمن ... يسهَر، والطيفُ لمن غمَّضا

إن لم يكن شجوِى فقد شاقنى ... سيّانِ مَن قاتَل أو حرَّضا

تالله لو تُضمِرُ أحشاؤه ... ضميرَ أحشائى لَمَا أومضا

حىِّ غزالا بين أجفانه ... أسنَّةُ الحينِ وسيفُ القضا

رامٍ وما "القارةُ" (٣) آباؤه ... يَستغرِق (٤) السهمَ وما أنبضا

إياك تلقاه بلا جُنَّةٍ ... خوفَ سلاحَىْ سُخطه والرِّضا

ما تُجمِعُ الأضدادُ، والرأس لِمْ ... قد جمَعَ الأسودَ والأبيضا!!

---

(١) القلى : البغض . (٢) الهندية : السيوف — منسوبة الى الهند — . (٣) القارة : قبيلة مشهورة بالرمى : وفى الأصل : « القادة » وهو تحريف . (٤) استغرق السهم : بلغ به غاية المد . وأنبض : جذب وتر القوس لتصوت .

كأنّ فرعى (١) حلبةٌ (٢) أرسلوا ... دُهما (٣) وشُهبا (٤) فوقها رُكّضا

طالبةً شأوَ امرئ سابقٍ ... كلُّ جناح خلفه هُيِّضا (٥)

شيّدتِ الاباء من قبله ... له البناءَ الأطولَ الأعرضا

مَعاشرٌ كانت مساعيهُمُ ... أغطيةَ الأرض وحشوَ الفضا

مذ غمسوا فى الماء أطرافَهم ... ما أجَنَ الماءُ ولا عَرْمَضا (٦)

لو وطِئوا الصخر بأقدامهم ... أو لمَستهُ راحُهم رَوّضا

لم تعدَم الدنيا ولا الدينُ من ... أبنائهم وزارةً أو قَضا

بينا ترى أقلامَهم رُعّفا (٧) ... حتى ترى أسيافَهم حُيِّضا

ولم يزل واطئُ أعقابهم ... ينهَض حتى لم يجد مَنهَضا

طاب ثَراه فنما فرعُهُ ... ويُخرِج الزُّبدةَ من أمخضا

محكَّم فى العلم إن شاء أن ... يختَلَّ (٨) فى مَرعاه أو يُحمِضا

كِنانةُ (٩) الآداب فى كفِّه ... متى رمَى أسهمَها أغْرَضا (١٠)

يَفهم مَغزَى القول من قبل أن ... يُرفَعَ أو يُنصَب أو يُخفَضا

---

(١) الفرع : الشعر . (٢) الحلبة : الخيل تجرى للسباق على رهان وهى هنا بمعنى ساحة الجرى . (٣) الدهم : السود . (٤) الشهب : البيض . (٥) هيض : كسر . (٦) عرمض : ظهر به العرمض وهو الطحلب . (٧) رعفا : قاطرة ؛ وأصل الرعاف خروج الدم من الأنف . (٨) يختل : يحتبس فى الخلة وهى نبات حلو ، ومنه : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها . والحمض : ما ملح وأمر من النبات تأكله عند سآمتها من الخلة .
(٩) الكنانة : كيس من أدم توضع فيه السهام . (١٠) أغرض : أصاب .

إيهٍ (١) "أبا نصرٍ" وأنت آمرؤٌ لا يستردُّ الدهرُ ما أقرضا

منحتنى الودَّ فجازيتُه بالشكر والمُثنِي كمن عوّضا

خيمَّ فى قلبى نظيرٌ له مذ عقد الأطنابَ ما قوّضا

مثل خلال فيك أثوابها أبَى لها التطهيرُ أن تُرحضا (٢)

وكلُّ ما يبنيه هذا الهوى بالنأى والتفريقِ لن يُنقضا

لا ينفع القربُ بجسمٍ اذا لم يك قلبٌ مُصْغيا مُنغِضا (٣)

كم من بعيدٍ عاشقًا وامقا ومن قريبٍ شانئا مبغضا

ما زُخرُفُ القول يُجْدٍ وقد غُيّض (٤) فى الأحشاء ما غُيِّضا

والسيفُ إن كانَ كهاما (٥) فهل يُمضيه أن أذهبَ أو فُضِّضا؟!

أنبئْتُ رَيْبا فىَّ جَمْجَمْتَهُ (٦) ويبلُغُ التصريحَ مَن عَرَّضا

مرَّ كما مرَّ نسيمُ الصبا مزعزعا بالرِّفقِ ماءَ الأضى (٧)

دُعابةٌ ساءت ظنونى لها ما ألينَ السيفَ وما أَجْرضا (٨)

لم أدر: إنسانٌ به ناطقٌ أم حيَّة القُفِّ (٩) الذى نَضنَضا؟ (١٠)!

لكنّ سمعى قاء ما قاله كأنه بالصاب قد مُضمِضا

---

(١) إيه: بمعنى زد. (٢) ترحض: تغسل. (٣) المنغض: المتحرك، والمراد به هنا المتحرك بالمحبة والود لا فتور فيه. (٤) غيض: غار. (٥) الكهام: غير القاطع. (٦) جمجمته: أخفيته. (٧) الأضاة: الغدير وجمعه أضى. (٨) أجرض: أغص. (٩) القف: حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة. (١٠) نضنض: حرك لسانه لينفث به.

يروعنى عتبُ خليلى ولا ... يروعنى الليثُ إذا قَضقضا (١)

وتسكُن الأسرارُ منّى حشًى ... ليس بهنّ مُحدَجا مُجهَضا (٢)

هيهات ! ما الزورُ حُلَى شيمتى ... ولا لباسُ الغدر لى مَعرِضا

ولا لَبونى بالأسى حافلا (٣) ... ولا عِشارى بالمنى مُخَّضا (٤)

معترفٌ بالحقّ من قبل أن ... يوجَبَ للصاحب أن يُفرَضا

وكيف أجفو من هو الروح إن ... فارقتِ الجسمَ فُواقا (٥) قضى

ما الذنبُ إلا للزمان الذى ... إن ألبس الإنسان ثوبا نَضا

تقلَّبتْ بى كلُّ حالاتهِ ... وليس فيها حالةٌ تُرتَضى

إما على رَمضائه (٦) ماشيا ... أو راكبا شامسةً (٧) ريِّضا (٨)

من يكن الدهر له ماتحا (٩) ... لا بدّ أن يشرَب ما خَوّضا

جُلْ فى طِلاب الرزق تَظفَرْ به ... فالسَّجلُ (١٠) مملوءٌ إذا خُضْخِضا (١١)

لطال جوعُ الأُسْدِ لو أصبحت ... وأعتمتْ فى خِيسها (١٢) رُبَّضا (١٣)

أذمُّ أيامى على أننى ... لأَحمدُ الله على ما قضى

---

(١) قضقض الأسد : كسر فريسته بأسنانه . (٢) المخدج : الناقص الخلق و إن كان لوقته .
(٣) اللبون : الغزيرة اللبن . (٤) العشار : النوق التى نتجت أو هى التى ينتظر نتاجها بعد عشرة أشهر .
(٥) الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزع . (٦) الرمضاء : الأرض الحارة . (٧) الشامسة : الدابة الممتنعة . (٨) الريض : المنقادة الذلول . (٩) الماتح : نازح الماء من البئر . (١٠) السجل : الدلو : (١١) خضخض : حرك فى الماء . (١٢) الخيس : بيت الأسد . (١٣) ربض : جاثمة فى مرابضها .

* * *

وقال يمدحُ الوزيرَ أبا الفرج بن فَسانْجُس الملقَّب بذى السعادات فى النيروز :

هو منزلُ النجوَى بخالى الأعصرِ ... فمتى تجاوزُهُ الركائبُ تُعقَرِ

أشتاقُ دارَهُمُ وليس يشوقنى ... إلا مجاورةُ الغزال الأحورِ

وأفضِّل الطيفَ المُلمَّ لأنهم ... هَجروا ، وأن طُيوفَهم (١) لم تَهجُرِ

أرضَى بوعدٍ منهُمُ لم يُنتظَرْ ... ومن الخيال بزَورةٍ لم تَعبُرِ

لا ماؤهم للمشتكى ظمأً ولا ... نيرانُهم للقابس المتنوِّرِ

أثرَوْا ولم يقضُوا ديونَ غريمهم ... واللُّؤمُ كلُّ اللُّؤْم مطلُ الموسِرِ

هل ترعوون بأنَّةٍ من مدنفٍ ... أو تسمحون لمطلبٍ من مُقترِ؟

أو تتركون من الدموع بقيَّةً ... يلق بها يومَ التفرُّق مَحْجرى؟

ما آجتاز بعضكُمُ بأسرابِ المها ... إلا آعترفن عليه مقلةَ جُؤذُرِ

يا من تبلَّد بين آثار الحِمَى ... يقفو مَعالِمها بعينَىْ مُنكِرِ،

أُنشدْ قضيبَ البان بين مُروطِهم (٢) ... وآطلب كثيبَ الرمل تحت المئزرِ

وإذا أردتَ البدرَ فآبعث نظرةً ... لمطالع بين "اللِّوى" "فمُحجَّرِ"

أترُدُّ يا روضَ "العقيق" ظُلامةً ... رُفعتْ إليك من القِلاصِ (٣) الضُّمَّرِ

---

(١) فى الأصل "ظنونهم" وهو تحريف .

(٢) المرط : كساء يؤتزر به .

(٣) القلاص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة .

إياك أن تطأ اللّعاع (١) بمنسم (٢) منها وأن ترعى الجميم (٣) بمشفر (٤)

لولا النجاء (٥) من الرواقص (٦) بالفلا لم يُفجَع "النجدىّ" "بالمتغوّر"

فصَمِمْنَ حتى لاوعت أسماعُها تَصهالَ رعدٍ فى حَبِىٍّ (٧) ممطرِ

وعمين حتى لا رأت أبصارُها بَرقا كناصيةِ الحِصان الأشقرِ

إن كنتَ تنظرُ ما أرى فانظر الى بانٍ على أكتادِ (٨) نَخلٍ (٩) موقرِ

وكأنما رفعوا قبابَهُمُ على شجرٍ بربّات الهوادج مثمرِ

أممتّعى وحشَ الفلا بجمالهم (١٠) ما ذنب طرف الهائم المستهترِ؟!

خلّفتُمُ خِلَّ الصفاء وراءكم كالميْتِ إلا أنّه لم يُقبرِ

بمدامع لمّا تَغِضْ ومكاسرٍ لم تَجبر وجرائحٍ لم تُسبَرِ

وإذا العواذلُ أطفأت صبَواتِه شبّت لظاها زفرةُ المتذكّرِ

احذرْ عذارك والعذارُ مغلّس (١١) فاذا بدا صبحُ المشيبِ فأقصرِ

وَضَحٌ (١٢) تجنّبَهُ الغوانى خِيفةَ الـ ـعَدوَى فإن يقربْ إليها تَنفِرِ

ما كنت أحسبُ أنّ سيفَ ذؤابتى ينبو بترديد الصّقال الأزهرِ

---

(١) اللعاع : النبت الناعم الأخضر أول ما يبدو . (٢) المنسم : الخف . (٣) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٤) المشفر — بالكسر ويفتح — للبعير كالشفة للإنسان والمخفلة للفرس . (٥) النجاء : سرعة السير . (٦) الرواقص : النوق ترقص فى مشيها . (٧) الحبى : السحاب المعترض آعتراض الجبل . (٨) أكتاد : جمع كتد وهو الكتف — كناية عن سواده — . (٩) موقر : مثقل . (١٠) المستهتر : الذى يتبع هواه . (١١) مغلس : مظلم . (١٢) الوضح : ضوء الصبح .

صدأُ النُّصول (١) من الشعور (٢) أدلُّ من ... لونِ الجلاء على كريم الجوهرِ

أأسير فى الليـــل البهيم فأهتدى ... وأضِـــلُّ فى إدلاج (٣) ليـــلٍ مقمرِ؟!

ومدحتَ لى صِبْـغَ المشيبِ بأنه ... كافورةٌ ونسـيتَ صِبْـغَ العنـبرِ

وإذا الثنـاءُ على الوزير قَرَنتـــه ... بهما أقـرَّا للذكىِّ الأعطـرِ

"فلذى السعادات ابنِ جعفرَ" شيمةٌ ... من قَرقفٍ (٤) صِرفٍ ومِسك أذفـرِ

فى الأرض سبعةُ أبحرٍ، ويمينُـه ... وشِمـالُه تجـرى بعشرةِ أبحـرِ

وهما سحـائبُ، ماؤهنّ لُجينُه ... وبروقُهن من النضار (٥) الأحمـرِ

قَسمت أناملُه المواهبَ فى الورى ... فكأنهـم زَجَروا قـداحَ الميسرِ

وإذا عِشـارُ المـال عُذنَ بكفّهِ ... فلقـد عقَلن نفوسَهنّ بمَنحَرِ

ومعـذَّلٍ، أعيَـا على عُـذّاله ... فى الجود قَصُّ جناحِ ريحٍ صرصرِ (٦)

وهو السخىُّ وإنما حسدوا اسمَهُ ... فدعَـوْه فيما بينهـم : بمبـذِّرِ

طلبوا الذى أُجرِى إليـه فخُيِّبوا ... ومن العنـاء طِلابُ مالم يُقـدَرِ

والأكرمون حَكَوه فى أفعاله ... فعُـزُوا الى كرمٍ عليـه مزوَّرِ

مازال يبحث عن سرائر وفده ... حتى أجاب إلى السؤال المضمَرِ

---

(١) النصول : خروج الشعر من خضابه . (٢) فى الأصل : «السعود» : وهو تحريف .

(٣) الإدلاج : السير أول الليل . (٤) القرقف : الخمر . (٥) النضار : الذهب .

(٦) الصرصر : الريح الشديدة الهبوب والبرد .

يغزو إليــه المُقترونَ لعلمهم ... أنَّ النـوالَ لديه غـيرُ مخفَّرِ

فى كلّ يومٍ يُلجِمون لغـارةٍ ... فيسـنُوه غير محرَّماتِ الأشهـرِ

مستنشق عِطـرَ الثناء بسـمعه ... ما كلّ طيِّبـة تُشَـمُّ بمَنخِرِ

متيقِّـظٌ فمتى تُصـبه نَفثـةٌ ... للشكر فى عُقَـدِ المطامع يُسـحَرِ

يسعَى ويكدحُ ثم يُتلفُ ماحوى، ... عاداتُ أروعَ للأنام مسـخَّرِ

بالله نُقسـمُ : أنه لا خـيرَ فى ... حسبٍ ولا نسبٍ لمن لم يُشكَرِ

لو كان مجهـولَ المغارس أخبرت ... عنـه شمائلُه بطِيب العُنـصُرِ

قـد زان مَخبَره بأجمـلِ مَنظرٍ ... وأعان مَنظرَه بأحسن مخـبرِ

ما مَن نتوّج أو تمنطـقَ عسجداً ... كمطـوَّق بالمكرماتِ مسـوَّرِ

تحـكى أنابيبُ الـيراع بكفّه ... فعلَ الرماح تخاطرت فى "سَمهرِ"(١)

وكأنهـا الخطباءُ فـوقَ بنـانهِ ... لكن بلاغتُهـا كلامُ المنـبرِ

لا تبَعـدنْ هِمـمٌ له لو أُودِعت ... عندالكواكب لأدّعاها "المشترى"

وعزائمٌ يَلحُمْن مثـلومَ الظُّبـا ... ويُقِمنَ أصـلابَ القنا المتأطِّـرِ(٢)

إطـراقهُ يُخشَى، ويُرهَبُ صَمتُه، ... والسـيفُ محذورٌ وإن لم يُشهَرِ

لولاك ما آنتبـه الثرَى بمَناسمٍ(٣) ... خُلطتْ بطونُ صـعيده بالأظهرِ

---

(١) سمهر : قرية فى الحبشة تنسب اليها الرماح .

(٢) المتأطر : المثنى .

(٣) المناسم : الأخفاف .

وسواهمِ "لبنـات نعشٍ" لحظُها (١) وخِفافُها تغلى "بنـاتِ الأَوْبرِ"
فأنتـك أمثالَ السَّـعالِى (٢) زُوِّجتْ أشـــباحَ رُكبانٍ بِكِنَّـةِ "عَبقَرِ" (٣)
غصَبوا النجومَ على السُّرَى وتعلَّموا (٤) خوضَ الظـلام من المطىِّ الزُّوَّرِ
لا ينظـرون وِصابَهـم (٥) وشحوبَهم (٦) إلا بِمـرآة الصـباح المُسـفرِ
لم يلبســوا الأدراع إلا رِيبـةً (٧) لا خيفـةً من أبيضٍ أو أسمـرِ
إن لم يُنيخـوا فى ذَراك فإننى لكفيلُ كلِّ مهنّئٍ ومبشِّـرِ
جدِّدْ "بنوروز" الأعاجم رتبةً (٨) سَمْتَ "المجرة" أوفويقَ "الأنسُرِ"
وآسرَحْ سَوامَك فى رياضِ سعادةٍ وعميـمِ عُشْبٍ بالعـلاء منوِّرِ
فاذا وردت فماء أعذبِ مَـوْرِد واذا صدرتَ فروْح أفسحِ مَصدَرِ
أهـديتُ من كلِمى اليـك تحيَّـةً (٩) غراءَ تسـترعى حنينَ المِزهرِ
ولو آدخرتُ المـالَ أو أبقيتُـه (١٠) يوما أثبتُ بأبيـضٍ وبأصـفرِ

---

(١) السواهم : النوق الضامرة ؛ وبنات أوبر : ضرب من الكمأة تشبه القلقاس أو اللفت ولونها كلون التراب . (٢) السعالى : الغيلان . (٣) عبقر : أرض يقال إنها مملوءة بالجن . (٤) فى الأصل : « المط » . (٥) الوصاب : المرضى ، واحدها : وصب — بكسر الصاد — . (٦) الشحوب : تغير اللون من السفر . (٧) الأبيض والأسمر : السيف والرمح . (٨) يشير إلى كوكبين : هما النسر الطائر والنسر الواقع . (٩) المزهر : العود . (١٠) فى الأصل هكذا « أبت » والأبيض والأصفر : الفضة والذهب .

* * *

وقال يمدح عميدَ المُلك أبا نصر [محمد بن](١) منصور بن محمد الكُنْدرىّ وزير طُغْرُلْبك عند وصوله إلى العراق فى محرم سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة] :

أكذا يُجازَى ودُّ كلّ قرينِ ... أم هذه شيمُ الظباءِ العِين؟!

قُصُّوا علىَّ حديث من قتَلَ الهوى ... إن التأسِّىَ رَوْحُ كلِّ حزينِ

ولئن كتمتم مشفقين فقُدوتى ... بمصارع "العُذرىِّ" و"المجنونِ"(٢)

فوق الركابِ ولا أطيل مشبِّها ... بَلْ ثَمَّ شهوةُ أنفسٍ وعيونِ،

هُزَّت قدودُهُمُ وقالت للصَّبا ... هُزأً : أعند البان مثلُ غصونى؟!

وكأنما نقَلتْ مآزرُهم إلى ... جَدَدِ الحمى(٣) "الأنقاءَ"(٤) "من "يبرين"

ووراء ذياك المقبَّلِ موردٌ ... حصباؤه من لؤلؤ مكنونِ(٥)

إمّا بيوت النحل بين شفاههم ... مضمومةً أو حانةُ الزَّرجونِ(٦)

ترمى بعينيك الفِجاجَ مقلِّبا ... ذاتَ الشِّمال بها وذاتَ يمينِ

---

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان حيث استوعب تاريخ هذا الممدوح . (٢) العذرى والمجنون : عروة بن حزام عاشق عفراء بنت عمه ، المنسوب إلى بنى عذرة ، وقيس بن الملوح عاشق ليلى . (٣) الجدد : ما آسترق من الرمل . (٤) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . و يبرين : موضع بأصقاع البحرين معروف بكثرة رماله . (٥) الحصباء : الحصى الصغار . (٦) الزرجون : الخمر — فارسى معرب — .

لو كنتَ "زرقاءَ اليمامة" (١) ما رأت ... من "بارق" (٢) حيًّا على "جَيْرون" (٣)

شكواك من ليـل التّمام (٤) وإنما ... أرقى بليـل ذوائبٍ وقـرونِ (٥) (٦)

ومعنِّف فى الوجدقلت له : أتئد ... فالدمـعُ دمعى والحنـينُ حنينى

مانافعى — إذ كان ليس بنافعى — ... جاهُ الصبا وشـفاعةُ العشرينِ

لا تُطـرِقن خجلا للومةِ لائم ... ما أنت أوّلُ حازمٍ مفتـونِ

أأسومهم — وهم الأجانب — طاعةً (٧) ... وهواى بين جوانحى يُصـبينى؟

دَيْنى على ظَبياتهـم ما يُقتضَى ... فبأىّ حُكْمٍ يقتضون رهـونى؟!

وخشيتُ من قلبى الفِـرارَ اليهمُ ... حتى لقـد طالبتُـه بضمينِ

كلّ النّكال أطـيق إلا ذِلّةً، (٨) ... إنّ العـزيزَ عذابُه بالهونِ

يا عينُ مثلُ قَذاكِ رؤيةُ معشرٍ ... عارٍ عـلى دنيـاهُمُ والدّينِ

لم يُشـبهوا الإنسانَ إلا أنهـم (٩) ... متكوّنون من الحَمـا المسـنونِ

نَجَسُ العيون فإن رأتهـم مقلتى ... طهّرتُهـا فتزحتُ ماءَ جفـونى

---

(١) زرقاء اليمامـة : امرأة مشهورة بحـدّة بصرها وكانت ترى ما بعـده ثلاثة أيام واسمها حذام — بالبناء على الكسر — . (٢) بارق : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة . (٣) جيرون : اسم دمشق قديما — وفى ذلك أقوال كثيرة يرجع اليها فى مظانها — .

(٤) ليـل التمام : — بالكسر — أطـول الليالى . (٥) الذوائب : شعر النواصى .

(٦) القرون : الغدائر . (٧) كتب بجانب هذه الكلمة على الهامش : «أصل هـذه القافية لم يكن ظاهرا» . وهذا يدل على أن الناسخ أثبت هذه الكلمة من عنـده ، ونحن نرجح أن تكون «يعصينى» لمطابقتها لكلمة «طاعة» فى الشطر الأوّل . (٨) فى الأصل «إلا» وهو تحريف .

(٩) الحمأ : الطين ، — وسهلت الهمزة للضرورة — .

أنا إن هُمُ حسِبوا الذخائر دونهم ... وهُمُ إذا عدّوا الفضائلَ دونى

لا يُشمِت الحسّادَ أنَّ مطالبى ... عادت إلىَّ بصفقةِ المغبونِ

لا يستديرُ البدرُ إلّا بعد ما ... أبصرتُه فى الضُّمر (١) كالعُرجونِ

هذا الطريقُ اللَّحْبُ (٢) زاجرُ ناقتى ... واليمُّ قاذفُ فُلكىَ المشحونِ

فاذا "عميدُ الملك" حلَّا ربعه ... ظَفِرَا بفال الطائر الميمونِ

مَلكٌ إذا ما العزمُ حثَّ جيادَه ... مرِحتْ بأزهرَ (٣) شامخِ العِرنينِ

يا عزَّ ما أبصرتُ فوق جبينه ... إلا اقتضانى بالسجودِ جبينى

يجلو النواظرَ فى نواحى دَسْتِه (٤) ... والسرجِ بدرُ دجًى وليثُ عرينِ

عمَّت فواضلُه البريّةَ فالتقَى ... شكرُ الغنىِّ ودعوةُ المسكينِ

قالوا — وقد شنُّوا عليه غارةً — : ... أصِلاتُ جودٍ أم قضاءُ ديونِ؟

أمّا خزائنُ مالِه فمباحةٌ ... فاستوهبوا من علمه المخزونِ

كرمٌ إذا استفتيته بجوابه : ... منعُ اللُّهَى (٥) كالمنع للماعونِ!!

ما الرزق محتاجا بعرصته (٦) إلى ... طلبٍ وليس الأجرُ بالممنونِ

لو كان فى الزمن القديم تظلّمت ... منه الكنوزُ الى يدَىْ "قارونِ"

---

(١) الضمر : الهزال ، والعرجون : أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا . (٢) اللحب : الواضح . (٣) العرنين : الأنف . (٤) الدست : المجلس ، أو هو صدر البيت . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا ، والماعون : الزكاة . (٦) العرصة : ساحة البيت .

وإذا آمرؤ قعدت به همّـاتُه خلّى سـبيلَ رجائِه المسـجونِ

أقسمتُ أن ألقَى المكارمَ عالمـا أنّى برؤيتـه أبَرُّ يميـنى

شهِدتْ علاه أنَّ عنصُرَ ذاتِه مِسـكٌ وعنصُرَ غيره من طـينِ

ساس الأمورَ فليس تُخلَى رغبةٌ من رهبـة وبسـالةٌ من لينِ

كالسيف رونقُ أثْرِه(١) فى متنـه ومضاؤه فى حـدِّه المسـنونِ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا نصر محمـد بن محمد بن جَهـير، ويهنّئه بوزارته للخلافة، وأنفذها اليه من واسـط فى سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة]، ويعرِّض بآبن دارست الوزير وآبن حُصَيْن الكاتب :

لَحـاجةُ قلبٍ ما يُفيـق غُرورُها وحاجةُ نفسٍ ليس يُقضَى يسيرُها

وعينٌ الى الأطلالِ تُزجِى سحابَهـا إذا لوعةُ الأحشاءِ هبَّ زفـيرُها

أكلِّفها هطـلا على كلِّ مـنزلٍ فلو أنهـا أرضٌ لغـارت بُحـورُها

وما تجمع العينُ التوسُّمَ والبـكا فهـل تعـرفانِ مقـلةً أسـتعيرُها

وقفنا صـفوفا فى الديار كأنهـا صحائفُ ملقـاةٌ ونحن سـطورُها

يقول خليـلى والظّباء سـوانحٌ : أهذى التى تهوى؟ فقلت : نظيرُها!

لئن أشبهتْ أجيـادُها وعيونُهـا لقد خالفت أعجـازُها وصدورُها

---

(١) الأثر : جوهر السيف .

فيا عجبى منها يَصُـــدّ أنيسُها ... ويدنو على ذُعرٍ الينا نفـــورُها

وما ذاك إلا أنَّ غِزلانَ "عامرٍ" ... يثقنَ بأن الزائرين صُـقورُها

ألم يكفِها ما قـد جنتهُ شموسُها ... على القلب حتى ساعدتها بدورُها

نكَصنا على الأعقاب خوفَ إناثها ... فما بالها تدعـو : نَزالِ، ذُكورُها

ووالله ما أدرى غَـداة نظرننَا ... أتلك سهام أم كئوسٌ تديرُها؟

فإن كنَّ من نَبـلٍ فأين حَفيفُها (١) ... وإن كنَّ من خمـرٍ فأين سرورُها!؟

أيا صاحبىّ آستأذنا لىَ خُمْـرَها (٢) ... فقد أذِنتْ لى فى الوصول خدورُها

هبـاها تجافتْ عن خليلٍ يروعُها ... فهـل أنا إلا كالخيـال يزورُها؟

وقد قلتما لى : ليس فى الأرض جَنّةٌ ... أما هـذه فوق الركائب حُورُها!؟

فلا تحسَـبا قلبى طليـقا فإنما ... لها الصورُ سجنٌ وهو فيه أسيرُها

يعِـزُّ على الهِـيم (٣) الخوامسِ وِردُها ... إذا كان ما بين الشفاه غديرُها

أراكَ "الحمى" قل لى : بأىّ وسيلةٍ ... وصلتَ الى أن صادفتـك ثغورُها

وما لى بهـا علمٌ، فهل أنت عالم : ... أأفواهها أولى بهـا أم نحـورُها؟!

يطيب النسيمُ الرطبُ فى كلّ منزلٍ ... وما كلُّ أرض يستطابُ هجيرُها

وأنَّ فروعَ البان من أرض "بِيشَةٍ" (٤) ... حبيبٌ إلىّ ظلُّهـا وحَرورُها

---

(١) الحفيف : دوى صوت السهام . (٢) خمـر : جمع خمار وهو كل ما غطى الرأس .

(٣) الهيم الخوامس : الإبل العطاش ترد فى اليوم الرابع لظمئها . (٤) بيشة : موضع معروف بكثرة الأسود .

أَلَذُّ من الورد الجنيّ عَرارُها ... وأحلَى من الشهدِ المصفَّى بَريرُها (١)

على رِسْلكم فى الحبّ، إنّا عصابةٌ (٢) ... إذا ظفِرتْ فى الحبِّ عفَّ ضميرُها

سَواءٌ على المشتاق — والهجر حظُّه — ... أألقت عصاها أم أجدَّ بُكورُها

لعمرُك ما سحرُ الغوانى بقادرٍ ... على ذات نفسى والمشيبُ نذيرُها

وما الشعَراتُ البيضُ إلا كواكبٌ ... مطالعُها رأسى وفى القلب نُورُها

ضياءٌ هدانى فاهتديتُ لماجدٍ ... سُهولُ المعانى طُرقُه ووُعورُها

أجابَ به اللهُ الخلافةَ إذ دعت ... وزيرا فكان من أجنَّ ضميرُها

به غَصَّ ناديها وأشرقَ سعدُها ... وأُفعمَ واديها وسُدّت ثُغورُها

تَباهَى به يومَ الرحيل خيامُها ... وتُزهَى له يومَ المقام قصورُها

وقد خفيتْ من قبله معجزاتُها ... فأظهرها حتى أقرّ كَفورُها

فما رأيه إلا سُموطُ لآلئ ... يرصَّع منها تاجُها وسريرُها

ولا عجبٌ أن تستطيلَ عِمادُها ... وهذا الهمامُ الأريحيّ وزيرُها

فقل للّيالى : كيف شئتِ تقلَّبى (٣) ... ففى يدِ عبلِ الساعدينِ أمورُها

يدٌ عبِقت بالمكرُمات وضُمِّخت ... وما الطيبُ إلا مِسكها وعبيرُها

إذا كان خاتامُ الخلافةِ حَلْيَها (٤) ... فأىّ افتخار يستزيد نَحورُها

---

(١) البريز : أوّل ما يظهر من ثمر الأراك .
(٢) الرسل : الرفق والتؤدة .
(٣) العبل : الضخم .
(٤) الخاتام : الخاتم .

وما صيغ لولا معصماهُ سِـــوارُها ... ولا صين لولا مَنكِباه حريرُها

أمانيُّ فى صـــدر الوزارةِ بُلِّغتْ ... به كُنهَها حتى آستحقَّتْ نُدُورُها

لوتْ وجهها عن كلّ طالب مُتعـةٍ ... إلى خاطبٍ حِلٍّ عليـــه سُفورُها

ومن ذا "كفخر الدولة" آستامها له ... وما كلُّ نجم فى السماء منـــيرُها

الآنَ (١) رأينـا فى مجالس عزِّها ... مجالسَ تُملَا بالعَـــلاء صـدورُها

كأنَّ على تلك الأرائك ضيغما ... له نأمةٌ (٢) لا يجـابُ زئـــيرُها

إذا مَثَـلَ الأقوامُ دون عَرينِهِ ... تساوَى به ذو طيشهـا ووقورُها

تكاد لِمـا قد أُلبست من سكينةٍ ... ترِفُّ على تلك الرءوس طيـورُها

دعوا المجـد للرّاقى إلى كل قُـلَّةٍ (٣) ... يشُـقُّ على العَوْدِ (٤) الذلول حُدورُها

لذى الخَطَراتِ المخبراتِ يقينَـــه ... بمستقبَل الحالاتِ ماذا مصـيرُها!

ألم تعلموا أن النعائمَ فى الثرى ... وأن البُزاةَ فى الشِّعاب وُكورُها

وقد علمت أبنـاءُ "هاشمَ" كلُّها ... بأى آبن هَـــمٍّ قـد أُمِرَّ مَريرُها (٥)

بمكتهِلِ الآراء لـو زاحمـوا به ... جبالَ "شَرَوْرَى" لارتجَّت (٦) صُخورُها

مقـــيم بأطرافِ المكارم سـائل ... ركابَ بنى الحاجات : أين مسيرُها؟!

---

(١) يريد « الآن » فخفف للضرورة . (٢) النأمة : صوت الأسد . (٣) القلة : رأس الجبـل . (٤) العود : الجمل المسن ؛ والحدور : الانحدار . (٥) المرير : الحبل المحكم الفتل . (٦) ارجحنت : مالت واهتزت .

جزى اللهُ ربُّ الناس خـيرَ جزائه ركائبَ تخـدى بالمكارم عِـيرُها

وأسقَى جيادا سِرنَ بالبأس والندى من الساريات الغـاديات غزيرُها

تناقلن من علياءِ دارِ "ربيعـةٍ" و"بَكرٍ" بأنواءٍ يفيض نميرُها (١)

تخطَّت شُعوبا من ذؤابة "عامرٍ" لها العـزُّ حامٍ والنجاحُ خفـيرُها

وساعدها من آلِ "جُوثَةَ" (٢) عصبةٌ إذا ثوّب الداعى يعـزُّ نصيرُها

حماةُ السيوف والرماح حِمَامُها وأحشاءُ ذؤبانِ (٣) الفلاة قبورُها

قِبابهـم السمرُ الطوالُ عِمادُها ومُقرَبَةُ الخيلِ العتاقِ سـتورُها

وأفنيـةٌ مثـلُ الروابى جِفانُها ومثـلُ الجبال الراسيات قدورُها

إذا طَرقَ الأضيافُ غنَّت كلابُها وناحت بشـجوٍ شاتُها وبعـيرُها

فماخَطت "الجُودِى" (٤) حتى تراجفتْ اليهنّ آكام "العراقِ" وقُورُها (٥)

وكادت لها "بغدادُ" يوم تطلّعت تسـيرُ مغانيها وتَجمـحُ دُورُهـا

فلم تك إلا هِجـرةٌ "يثربيّـةٌ" حقيقٌ على رهطِ "النبىِّ" شُكورُها

فلله شمسٌ، مغربُ الشمسِ شرقُها وفى حيثما شاءت طُلوعا ذُرورُها (٦)

أعدْتَ الى جسم الوزارة رُوحَـهُ وما كان يُرجَى بعثُهـا ونُشـورُها

---

(١) النمير : العذب الصافى .
(٢) جوثة : موضع أوحى ؛ وبميم جوثة منسوبون اليهم .
(٣) ذؤبان : جمع ذئب .
(٤) الجودى : جبل فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل .
(٥) قور : جمع قارة وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو هى الصخرة العظيمة .
(٦) الذرور : الطلوع .

أقامت زمانا عنـــد غيرك طامثـا (١) وهـــذا الزمان قُرءُهـا (٢) وطَهورُها

من الحقّ أن يُحبَى بهـا مستحقُّها ويُنزَعهـا مردودةً مســتعيرُها

إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها أشار عليهـا بالطـلاقِ مُشـيرُها

أظنّ ٱبنُ "دارستَ" الوزارةَ تَلعةً (٣) "بفارسَ" قد عُدَّتْ عليه بُدورُها (٤)

وإن هضاب المجد ليست بمَزلَقٍ؛ لأحنفَ كابى الحافرين عُشـورُها (٥)

ألمَّا يكن فى نسجِ "تُوَّجَ" (٦) شاغلٌ له عن تعاطى رتبـةٍ لا يطورُهـا (٧)

أقول وقـــد واراه عنّـا حِجابُه : رويدَكَ دون الفاحشات سُتورُها

وأعلقه بٱبن "الحُصَيْن" سفاهةٌ ألا خابَ مولاها وسـاء عشيرُها

فأعدَى إليـــه رَأيَهُ فأباده كما أهلك "الزَّبَّاءَ" (٨) يوما "قَصيرُها"

وهل نجمه الهـاوى سوى دَبَرانهـا (٩) وهـل ريحُـــه الهوجاءُ (١٠) إلا دَبورُها

وأطـــربه تحت الرِّواق نُهـاقُه (١١) وليس يروق الأُتْنَ (١٢) إلا حَميرُها

وما كان ظنّى أن للـذئب وقفـــةً وقـد جرَّ أرسانَ (١٣) الأمور هَصورُها (١٤)

---

(١) الطامث : الحائض . (٢) القرء : الطهـر من المحيض ، وفى الأصـل « قرها » وهو تحريف . (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض . (٤) بدور : جمع بدرة وهى كيس فيه عشرة آلاف درهم . (٥) الأحنف : الذى تميل قدماه كل واحدة الى أختها بأصابعها . (٦) توج : مدينة بفارس تصنع فيها ثياب من الكتّان ذات ألوان حسنة . (٧) لا يطورها : لا يقرب منهـا . (٨) الزباء : لقب ملكة الجزيرة وقصتها مع قصـير بن سـعد مشهورة . (٩) الدبران : منزل للقمر . (١٠) الهوجاء : الريح التى لا تستوى فى هبوبها ؛ والدبور : الريح الغربية . (١١) فى الأصل «نهامة» وهو تحريف . (١٢) الأتن : جمع أتان وهى الأنثى من الحمير . (١٣) الأرسان : الحبال ، واحدها رسن . (١٤) الهصور : الأسد .

فأرضُ رُعاءِ البَهْـــمِ إلا تُقِـــرَّه ... يُعقَّرْ بنـابٍ لا يُبِـــلُّ عقـــيرُها

ولا تُلقِيَنَّ البأسَ عنـد ٱحتقارِه ... ألا ربما جرَّ الخطـوبَ صـغيرُها

بودّيَ لو لاقيتُ مجـــدَك تاليًـا ... مناقبَ أُســـديها (١) له وأُثيرُهـا (٢)

ولكننى أبعدتُ فى الأرض مذهبى ... لإعزاز نفسٍ قد جفاها عَذيرُهـا (٣)

وهجهج (٤) بى عن أرض "بغدادَ" ذِلّةٌ ... كوخز سنانِ السـمهرىّ (٥) حُصورُها (٦)

لأمثالها تعـــلو الجيـادَ سُروجُها ... ويلتقم الحَرْفَ (٧) العَلَنـــداةَ كُورُهـا (٨)

فـكدت بأن أنسى لذاك فصاحتى ... سوى أنّ طبعا فى الحَمام هديرُها

تركنا رُبَى "الزوراء" ينزو (٩) خِلالَهـا ... جَنادبُ (١٠) يعلو فى الهجير صَريرُهـا (١١)

وقلتُ : بـــلادُ الله رحبٌ فسيحةٌ ... فهل معجزى أَفحوصة (١٢) أستجيرُها

وقد تترك الأســدُ البـلادَ تنزُّهًـا ... إذا ما كلابُ الحىّ جَرَّ هريرُهـا

أقامت بمثـــواك الليـالى مُنيخةً ... مكرَّرةً أيامُهـا وشُهورُهـا

يؤرِّخُ من ميلاد سعدك عَصْرُهـا ... وتُحصَى بأعمـار النسور دُهورُهـا

فدونكها للتـاج يُبتـاعُ دُرُّهـا ... "فَرزدقُها" غَوَّاصها و"جَريرُها"

وقـد زادها حســنا لعينيك أنهـا ... على مسمعَىْ "داود" يُتلَى "زَبورُها"

---

(١) أسدى الثوب : جعل له سدى . (٢) أنار الثوب : جعل له نيرا وهو ضد أسدى .
(٣) العذير : النصير . (٤) هجهج بى : زجرنى . (٥) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٦) الحصور : الأسر . (٧) الحرف العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٨) الكور : الرحل . (٩) ينزو : يثب ؛ والجنادب : الجراد . (١٠) الهجير : شدّة الحر . (١١) صريرها : صوتها .
(١٢) الأفحوصة : مجثم الدجاجة والنعامة .

* * *

وقال يمدحه، ويهنئه بعوده الى الوزارة بعد أن عُزِل عنها :

قـد رجـعَ الحقُّ الى نِصـابِهِ ... وأنت من كلّ الورى أولَى بهِ

ما كنت إلا السـيفَ سلّته يدٌ (١) ... ثُمّ أعادتـه إلى قِـرابهِ

هزّتهُ حتى أبصـرتْهُ صـارما ... رونقُـه يُغنيه عن ضِرابهِ

أَكرِمْ بهـا وزارةً ما سلّمت ... ما آستُودِعت إلا الى أربابهِ

مشـوقة إليـك مذ فارقتَها ... شوقَ أخى الشّيب إلى شبابهِ

مثلُك محسـودٌ ولكن معجز ... أن يُدرَكَ البـارقُ فى سحابهِ

حاولهـا قومٌ ومن هـذا الذى ... يُخْرِجُ ليثا خادرا من غابهِ

يُدمِى أبو الأشـبال من زاحمَـهُ ... فى خِيسـهِ بظُفـره ونابهِ

وهـل سمعتَ أو رأيت لابسا (٢) ... ما خلَع الأرقمُ (٣) من إهـابهِ

لا تحسَـبا لهوَ الحديث ماحيا (٤) ... حـتما قضاه الله فى كتابهِ

مرُّ النسـيم غاديا ورائحـا (٥) ... لا يُزلقُ الأعصمَ عن هِضـابهِ

وليس يُعطى أحـدا قيادَه ... أمرٌ، لسـانُ المجد من خُطّابهِ

تيقّنـوا لما رأَوها صـعبةً ... أن ليس للجـوِّ سـوى عُقـابهِ

---

(١) القراب : غمد السيف . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الإهاب : الجلد .
(٤) فى الأصل «ختما» وهو تصحيف . (٥) الأعصم : تيس الجبل يعتصم به .

إن الهلالَ يُرتجى طلوعُه بعد السَّرارِ (١) ليلةَ احتجابهِ
والشمس لا يُوءَس من طُلوعِها وإن طواها الليلُ فى جِلبابهِ
ما أطيبَ الأوطانَ إلا أنها للمرء أحلى أثَرَ اغترابهِ
كم عَودةٍ دلَّت على دوامها، والخُلدُ للإنسان فى مآبه
لو قَرُبَ الدُّرُّ على جالبه ما لجَّجَ الغائصُ فى طِلابه
ولو أقام لازما أصدافَه لم تكن التيجانُ فى حسابه
من يعشق العلياءَ يلقَ عندها ما لقيَ المحبُّ من أحبابه
طورا صدودا ووصالا مرّةً ولذّةُ الوامقِ فى عتابه
وربّما اعتاصَ (٢) الذى تأمُلُه وأصبحَ المخوفُ من أسبابهِ
ما لؤلؤ البحر ولا مَرجانُه إلا وراءَ الهول من عُبابهِ
ذلَّ «لفخر الدولة» الصعبُ الذُّرَى وعلَّم الأيام من آدابهِ
واستخدم الدهرَ فما يأمره إلا أتى الطاعةَ فى جوابه
يكاد من تهذيبه أخلاقَهُ أن يسترِدَّ الغدرَ من ذئابهِ
قد طأطأتْ أيامُه أعناقَها خاضعةً تسير فى رِكابهِ
كأنها عصائبٌ من طالبى ثوابهِ أو خائفى عِقابهِ

---

(١) السرار: آخر الشهر.

(٢) اعتاص: صعب وصار عويصا، وفى الأصل: «اعتاض» وهو تصحيف.

إن أخطأتْ واصلت آعتذارَها وإن أصابت فهو من صـــوابهِ

يا ناشـد الجُود وقـد أضـلَّه مالك لا تبغيـــه فى جَنابهِ؟

حيث أقام أبصرَ الناسُ الندى تُشـــير كفاه الى قِبابهِ

ترى وفودَ الشـكر حولَ بيتـــه كأنها الأوتادُ فى أطنابه

ما ثوَّروا(١) الآمال عن صـدورهم إلا أناخت بفِنـاء بابهِ

وكيف لا يهـــوَى الرجاءُ رَبعَه وليس مَرعاه ســـوى أعشابهِ

قَـلَّد أيدى المكرُماتِ إذنُه فرفَعتْ من طَرَفَىْ حِجابهِ

لا تسئلنَّ عن مدى معروفه أو تســـل الوسميَّ(٢) عن مَصابهِ؟!

يكفيـك ما يبسُـطه من بِشره أن تطلبَ الإذن الى حُجَّابهِ

يطغَى بتكرير السـؤال رفـدُه والدَّرُّ جيَّاشٌ(٣) على آحتـلابهِ

هو الذى أفعـالُه من حسـنِها كأنما آشتُقِقن من ألقابهِ

مَن حسَبُ السـؤددِ فى صميمهِ ونسبُ العليـاء فى لُبـابهِ

كالسمهرىّ عزمُه لو لم يكن ينقُص عنـــه الرمحُ بآضطرابهِ

شـكرا وزير الوزراء تســـترد أضعافَ ما بُلِّغتَ من وَهابهِ

قدِمتَ كالغيث أصاب ظامئا ســـوَّفه الخَـــدَّاعُ من سَرابهِ

كم ساجدٍ لمّـا سموتَ طالعـا كأنه صـــلَّى الى محـــرابهِ

(١) ثوروا الآمال: هاجوها وجعلوها ثائرة. (٢) الوسمى: أوّل المطر. (٣) جياش: متدفق.

وصائم رؤياك قـد أغنته عن طعـامه طِيبـا وعن شرابهِ
ولو أطاق الدَّستُ سـعيا لسعى مســتقبِلا يختـال فى أثوابهِ
كان حشاه قلِقا حتى آحتبى فى صـدره من كان من آرابه
أقمت فى نعماءَ مطمئنَّـةٍ تُحكِّم الفـؤادَ فى إطـرابهِ
تساعد الدنيـا عـلى زينتها وتغلب الدهر عـلى أحقـابهِ
ألقت عصاها وآرتمت ركابُهـا فى سُرَرِ الوادى وفى شِـعابهِ
قد أُعفىَ المـارنُ (١) من خَشاشـهِ (٢) ورُوِّحَ الغـاربُ (٣) من أقتـابهِ (٤)
عـلى يديك المرتجَى إنعـامُها تابَ غرابُ البين من نُعابهِ

* * *

وقال أيضا فيه ، ويذمُّ آبن دارست، ويذكُر مصيرَ هذا الى العراقِ من البلاد العُليا، وهذا من السفلَى :

قالوا : وزيرانِ، هوَى نجمُ ذا ونجمُ هـذا قـد علا طالعـا
كذلك الدهرُ يُرَى خافضـا طورا وطورا قد يُرَى رافعـا
قلتُ : قياسٌ ويحكم زِبْرِجٌ (٥) جوهرُه لا يقبـلُ الطابعـا (٦)

---

(١) المارن : الأنف . (٢) الخشاش : خشبة تعترض أنف البعير . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) أقتاب . جمع قتب وهو الرحل على قدر السنام . (٥) الزبرج : الذهب .
(٦) فى الأصل «الطائعا» وهو تصحيف .

هذا أتى من "آمِدٍ"[1] ساميا وذا أتى من "فارسٍ" خاضعا

كم بين من وُلِّيَ من فوقها فقـــرَّ فى مركزها وادعا،

وبين من رُقِّيَ من تحتها فخـــرَّ من ذِروتها واقعا

نطَّرِحُ الباطنَ ما بيننا ونستفيدُ الظاهر الذائعا

ابنُ "جَهيرٍ" وابنُ "دارسْتِكم" بأىِّ لفظٍ يُعجِبُ السامعا

أليس مطبـــوعا على قلبـــه من ظنَّ تيسا أسـدا رائعـا!

* * *

وقال يمدحُ ولدَه عميدَ الدولة، ويهنئُه بالخِلَع عليه والاستخلافِه على الوزارة :

قـــد بانَ عذرُك والخليطُ مودَّعُ وهوَى النفوسِ مع الهوادج يُرفعُ

لك حيثما سمت الركائبُ لفتـــةٌ أتُرى البـــدورُ بكل وادٍ تَطلعُ!

لله مطـــوىٌّ عـــلى زفَـــراتهِ لم يقضِ من ظمأ ولا هو يَنْقَعُ

قرُبت أمانىُّ النفـوس وعنـدَه أمـــلٌ تُحُبُّ[2] به الركابُ وتوضِعُ

ونأتْ مَطارحُ قلبـه عن سمعـه فالعـاذلون بهنّ حَسرَى[3] ظُلَّـــعُ[4]

ما خاف فى ظُـلَمِ الصبابةِ ضلَّةً إلا ودلَّتْـــه البـــروقُ اللُّمَّـــعُ

فى الظاعنين من الحِمَى ظبيٌ له الـ أحشـاءُ مرعًى والمآقى مَكرَعُ

---

(١) آمد : بلد قديم حصين يحيط بأكثره نهر الدجلة كالهلال . (٢) الخبب والإيضاع : ضربان من السير . (٣) حسرى : معياة . (٤) الظلع : التى فى مشيها غمز يشبه العرج .

ممنوعُ أطرافِ الجمال، رقيبُـــه حِذرٌ عليـه، والغَيـــورُ البرقُـعُ
عهِـدَ الحبـائلَ صائداتٍ شِبهَهُ وآرتابَ، فهو لكلِّ حبلٍ يقطعُ
لم يـــدرِ حامِي سِربهِ أنّى اذا حُرِمَ الكلامُ له، لسـانى الإصبعُ
وإذا الطُّيوف الى المضاجع أُرسِلت بتحيـــةٍ منه فعيـــنى تسـمعُ
ويح الألى آنتجعوا الغمامَ وعندهم بين المحاجرِ ديمـــةٌ[1] ما تُقلعُ
لجـُوا الى عزِّ الخدور وفى الحشا بيتٌ أعزُّ من الخـــدور وأمنعُ
هـــل فى قِبابهم اللواتى رفَّعـوا مبنيَّـــةٌ أطنابُهُنَّ الأضـــلُعُ؟!
لهُمُ مَصيفٌ فى الفؤاد ولو سُـقِي ماءَ الوصـال لكان فيـه مَربَعُ
يا كاسرَ النَّجلاءِ تُرسـل نظـرةً خَطفا كلحظ الريمِ[2] وهو مروَّعُ
لسوى أسنّتك المجنُّ مضـاعَفٌ ولغير أسهمك السـوابغُ[3] تُصنَعُ
لى حيـلةٌ فى كلّ رامٍ مُغرِضٍ[4] لو أنه فى غـير قوسـك ينزِعُ
أطيبْ بأطلالِ "الأراك" ونفحةٍ باتت بمسراها الرجالُ تَضَـوَّعُ
ومواقفٍ لم ألقَ مَولًى راحمـا فيهـا ولم أظفَر بخِـلٍّ يشـفعُ
لولا الذين البيـــدُ من أوطانهم ما كان يملِكنى الفضـاءُ[5] البلقعُ
آنستُ من أطلالهم ما أوحشوا وحفِظتُ من أيّامهم ما ضـيّعوا

---

(١) الديمة: المطرة الدائمة. (٢) الريم — ويهمز — الغزال. (٣) السوابغ: الدروع. (٤) المغرض: الذى يصيب الغرض وهو الهدف. (٥) البلقع: القفر.

ورضيتُ بالمُهـدى إلىّ نسيمَهم ... إن المحب بما تيسَّر يَقنَعُ

ولقد حللتُ حُبَى الظلام بفتيـةٍ ... أَلِفَتْ وجوهَهُم النجـومُ الطُّلَّعُ

قَرَوُا الهمومَ جسـومَهم ونفوسَهم ... وبطونُهـا بسـواهُمُ ما تشـبعُ

وسَرَوا بأشباحٍ تجـاوَزها الردى ... إذ لم يكن فيهـا له مستمتَعُ

لا قتْ بهم خُوصُ(١) المهارَى مثلما ... لاقى بأربَعِهـا الثرى واليَرْمعُ(٢)

فى حيثُ لا زَجَلُ(٣) الحُداة مردَّدٌ ... خوفَ الهلاك ولا الحنينُ مرجَّعُ

قِلِفَت بهـم قلقَ اللديغ كأنمـا ... ظنَّت سياطَهُمُ أراقمَ تلسـعُ

فَتَـل الدُّءوبُ لحومَها(٤) بشحومِها ... فتشابهت(٥) أثباجهـا والأنسُـعُ(٦)

متباريات بالنَّـجاء(٧) كأنمـا ... وضَعت رهونا سُـوقُها والأذرعُ

وإلى "عميد الدولة" اعتسفت بنا ... أنضاؤها(٨) حتى هنـاها المرتَعُ

من عندَه الظلُّ الظليلُ ومنهلُ الـ ... ـعذب المصفَّق والجنـابُ المُمرِعُ

والغـادياتُ الساريـاتُ بريقُهـا ... ولِبانُهَـا يسقى الرجاءَ ويُرضِـعُ

ما زال يُفهمنـا العـلاءُ صنيعَه ... حتى علمنـا ما الأغرُّ الأروعُ

---

(١) خوص : جمع أخوص وخوصاء وهى التى غارت عينها . والمهارى : جمع مهرية وهى الإبل المنسوبة الى مهرة بن حيدان وهى نجائب تسبق الخيل . (٢) اليرمع : حصى بيض تلمع وهى رخوة إذا فتتت انفتت . (٣) الزجل : الصوت . (٤) فى الأصل "فتشابهن" . (٥) أثباج : جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر . (٦) أنسع : جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد ، والساق والقدم (٧) النجاء : السير السريع . (٨) أنضاء : جمع نضو وهو المعيا المهزول من السير .

يخشى سهامَ الذمّ فهو مسالما ومحاربا بنواله يتدرَّعُ

غرسَ الصنائعَ فاجتنى ثمراتِها شكرا، وكلُّ حاصدٌ ما يزرعُ

عيدانُ مجدٍ لا تلين لغامزٍ وجبالُ عزٍّ مَرْوُها(١) ما يُقرَعُ

ومناقبٌ يقضِى لها متعنِّتٌ فى حكمه ويجيزها(٢) متتبِّعُ

كم أزمةٍ خرِسَتْ رواعدُ سُحبِها وسحابةٍ فيها خطيبٌ مِصقَعُ

وإذا المطالبُ باللئام تعثَّرت ظلّت مواهبُه بهنّ تُدَعدِعُ(٣)

تبِعوا مساعيَهُ فلمّا أبصروا بُعدَ المسافة أفردوه وودَّعوا

إنّ المعالىَ صعبةٌ لا تُمتطَى والمأثُراتُ ثنيّةٌ(٤) ما تُطلَعُ

يقِف الثناءُ عليه وقفةَ حائرٍ ممّا تسُنُّ له يداه وتشرَعُ

إن قصَّرت مُدّاحه عن وصفه فعجائب البحرين ما لا تُجمعُ

قلِقُ اللواحظ أو تقرَّ بزائرٍ كالمضرحىِّ(٥) لصيده يتوقَّعُ

فهناك أبلجُ ما وراء لثامِه ملأنُ من ماء البشاشةِ مُترَعُ

هو قِبلةُ المجد التى ما مِلَّةٌ إلا وتسجُدُ نحوها أو تركَعُ

تتناسب الأهواءُ فى تفضيله والقولُ فى أديانها يتنوّعُ

---

(١) المرو : حجارة براقة صلبة، واحدها مروة. (٢) فى الأصل «ويجيرها» وهو تصحيف.

(٣) تدعدع : تقول لها : دع دع وهى كلمة — ساكنة الآخر — تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش، كما يقال : لعا.

(٤) الثنية : طريق العقبة وهى المرقى الصعب فى الجبال. (٥) المضرحى : الصقر، أو النسر الطويل الجناح، وكلاهما مشهور بحدّة البصر.

عِلمًا بأنّ الشمس ما فى عينها ... رمَدٌ ولا ثوبُ السماء مرقّعُ

يا دهرُ لا تعرِضْ لمن آراؤه ... فى مَفصِل الجُلَّى تَحُزُّ وتقطعُ

لُطِفَت وجلَّ فعالها ولطالما ... نزحَ النجيعَ (١) من العروق المِبْضَعُ (٢)

وله عزائمُ ضاق عنها ذَرعهُ ... كالسيل غصَّ به الطريقُ المَهيعُ (٣)

شوسٌ (٤) إذا آستدعتْ أنابيبَ القنا ... أبصرتَها من سُرعة تتزعزعُ

إياك تنحتُ فى جوانبِ كُدْيةٍ (٥) ... بالحارشينَ (٦) ضِبابُها لا تُخدعُ

أنسيتَ إذ قارعتَه عن مجده ... فرجعتَ مفلولا وأنفُك أجدعُ (٧)

أيّامَ جاهدَ فى أبيه بهمّةٍ ... هجعَ الظلام وعينُها ماتهجَع

حتى آطمأنَّ من الوزارة نافرٌ ... وثنى إليه لِيتُها (٨) والأخدعُ (٩)

وآستُرجعتْ عذراءَ لم يَنعَمْ بها ... بعلٌ كما آرتجع الوديعةَ مودِعُ

ومشى أمام جيادهِ مستقبِلا ... من كان أمسِ وراءَهنّ يُشيّعُ

بالرفق تحطُّ الوعولُ (١٠) من الذُّرى ... ويصاد يَربوعُ (١١) الفلا المتقصّعُ (١٢)

هذا أميرُ المؤمنين وظنّه ... بالغيب مِرآةٌ تضىء وتلمعُ

---

(١) النجيع : الدم . (٢) المبضع : المشرط . (٣) المهيع : الواسع .

(٤) شوس : جمع أشوس وشوساء وهو الجرئ على القتال الشديد . (٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب . (٦) الحارش : صائد الضب من كديته التى حفرها . (٧) أجدع : مقطوع . (٨) الليت : صفحة العنق . (٩) الأخدع : عرق فى الرقبة .

(١٠) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (١١) اليربوع : حيوان أشبه بالفأر إلا أنه كبير عنه قصير اليدين . (١٢) المتقصع : الداخل فى القاصعاء وهى جحر اليربوع .

لما تنسّم من شمائلِ عِطْفِهِ ... ارجَ الكفاية فائحا يتضوّعُ،

ناجاه بالوادى المقدّس نابذا ... كَلِمًا تلين لها القلوبُ وتخشعُ

وكساه من حُلل الدِّمَقْسِ(١) جلابيا ... كالروض بل منه أغضُّ وأنصعُ

فكأنها نُسجَت بجنّةِ عبقرٍ(٢) ... أو ظلّ يرقُمها الربيعُ ويطبَعُ

لو أنها دِمَنٌ أقامت بينها ... وُرْقُ الحمائم تستهِلُّ وتسجَعُ

إن أُكملتْ حسنا فقد زُرِّت على ... جسدٍ يكلّل بالعلا ويرصّعُ

وأعاضه من تاج "فارسَ" عِمةً ... إذ عنده تاجُ الأعارب أرفعُ

كالليل إلا أنها قد طُرِّزت ... شفَقا على آفاقها يتشعشعُ

ما أشرقُ الألوان إلا سُودُها ... ولأجل ذا لونُ الشبيبة أسفعُ(٣)

أمثالُها فوق الرءوس وهذه ... فوق الرزانةِ والحصانة توضعُ(٤)

وحباه من قُبّ(٥) العتاقِ بضامرٍ ... كالذئب زعزعَ منكبيْهِ مَطمَعُ

لا تُثبِت العينانِ أين مقرُّهُ ... فى الأرض لولا نقعُه(٦) المترفّعُ

يقظانُ تحسَب سَرجَه ولجامَه ... فى لُجّة أمواجُها تتدفّعُ

يخطو فيختصر البعيدَ من المَدى ... بقوائم مثلِ البليغ تُوقّعُ

بالسبق منفردٌ بلَى فى متنه ... منه الى طُرُق المعالى أسرعُ

---

(١) الدمقس : الحرير . (٢) عبقر : موضع تنسب اليه الجن . (٣) الأسفع : الأسود . (٤) كذا فى الأصل و يحتمل أن تكون «الحصافة» . (٥) قب العتاق : الخيل الضامرة البطن ، واحدها : أقب وقباء . (٦) النقع : الغبار .

إن الخليفـــةَ للزمان وأهـــلِهِ طَودٌ من الحَدَثانِ لا يتضعضَعُ

هو فى الدجى بدرٌ ينير وفى الضحى شمسٌ لها فى كل أفـقٍ مطلعُ

و"بنو جَهـير" دَوحةٌ فى ملكه أفنانُها وغصونُها تتفـرّعُ

بوزيرها وعميـدِها وزعيمِها و"جهـيرها" أبدا يُضَرُّ ويُنفَعُ

القـارحُ(١) المـوفى عليها سابقٌ ورَباعُها(٢) وثَنِيُّها(٣) والمُجـذِعُ(٤)

كلٌّ له يـومَ الفخار مناقبٌ ثمَّ الأكابرُ فضلُها لا يُدفَـعُ

لله أربعـةٌ بهـم هـذا الورى وكذا حكَوْا أن الطبائع أربعُ

"أحمـدُ بن محمـدِ بنِ محمـدٍ" وعُلاكَ منصِتةٌ تجيبُ وتسمَعُ،

لا كان هـذا الدهرُ إن عطاءَهُ بالله يسمُجُ فى العقول ويفظُعُ

ما بال أقـوامٍ به لو أُنصِـفوا رُدّوا على باب النجاح ودُفِّعـوا

ما كان قطُّ لهم على دَرَج العـلا مرقًى ولا عند الصنيعة موضعُ

وأرى المعـايشَ بينهم مقسـومةً كالغُـنم(٥) يُخمَسُ(٦) تارة أو يُربَعُ

وأعابهم نفـرٌ(٧) بلا سببٍ سـوى أن المعـايبَ بين قومٍ تجمَعُ

---

(١) القـارح : من الخيـل بمنزلة البازل من الإبل . (٢) الرباع : — من الخيل — ما استتم السـنة الرابعة . (٣) الثنى : — من الخيـل — ما استتم السـنة الثالثة .

(٤) المجذع : الذى صار جذعا وهو ما قبل الثنى . (٥) فى الأصل « كالغيم » وهو تصحيف .

(٦) يربع ويخمس : يؤخذ ربعه وخمسه . (٧) كذا بالأصل ، والوارد فى المعاجم « عاب » بغير التعدية بالهمزة ، ولعلها « قد عابهم نفر ... الخ » .

أأُذادُ عن بَرْدِ الحياض ومثلُهم ... يُدعَى إلى العَذبِ الزلالِ فيكرَعُ
فٱبذُرْ عـوارفَك الجسـامَ بتُربةٍ ... يزكو بها ثمرُ الجميـلِ ويونعُ
هـذا مقالى إن هززت فعنـده ... ما يَحسُنُ المطبوعُ والمتطبِّعُ
ويدى إذا ٱستخدمتَها وبسطتَها ... حسدتْ أناملَهـا الرياحُ الشُّرَّعُ
ما بى إلى الشفعاء عندك حاجةٌ ... ولسان فضلك شافعٌ ومشفِّعُ

* * *

وقال يودِّعه عند توجُّهِه فى الرسالة إلى خراسان :

من رأَى المجـدَ يُثير القِـلاصا (١) ... والعُـلا تُزجى العِتاقَ (٢) الخِماصا (٣)؟!
والقِبـابَ البيضَ قد وعَدُوهـا ... بالمعـالى فٱسـتطالتْ خِراصا (٤)
"بعميد الدولةِ" الأرضُ تُطوَى ... حين (٥) لا ترجو النجومُ خَلاصا
وبِخِـاجُ السـعى بين يديه ... تشترى الآمالَ منـه رِخاصا
مـذ رأينـاهُ سحـابا عجِبنـا ... كيف يحتـلُّ ويأوى العِراصا (٦)
كرمٌ فاضَ فما ٱختصَّ أرضـا ... دون أرضٍ بنـداه ٱختصـاصا
من يحبّ العزّ يَدأَبْ اليـه ... وكذا من طلب الدُّرَّ غاصا
قـرّت الأعينُ بالقـربِ منـه ... فأراد البعـدُ منها القِصـاصا

(١) القلاص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل . (٢) العتاق : الخيل النجيبة .
(٣) الخماص : الضامرة البطن . (٤) خراص : جمع خريص وهو السحاب . (٥) فى الأصل «حيث» . (٦) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار .

لو ملكنا الأرضَ أو لو أطقنا ... لسددنا برُباها الخَصاصا (١)

وعقلنا الناجياتِ خلاءً (٢) ... وربطنا المُقْرَباتِ (٣) ارتماصا (٤)

فهِمتْ ما حملتْ فى ذُراها ... من جمالٍ فارتقصنَ ارتقاصا

ماجدٌ إن خاف أسهمَ ذمٍّ ... لبس الجودَ عليه دِلاصا (٥)

أدواتُ الفخرِ ألفنَ فيه ... حسَبا عِدًّا (٦) وعِرقا مُصاصا (٧)

رُبَّ عزمٍ إن يُحَكِّمْ [به] (٨) لم ... تجد الأقدارُ عنه مَناصا

ساهرِ القلب اذا رامَ عُظمَى ... إن كرَى النومِ للأعينِ حاصا (٩)

قذفتْ منه الليالى بقِرنٍ ... تنكُص الأبطالُ عنه (١٠) انتكاصا

محسنٌ بالرأى ضربا وطعنا ... يُخجل البيضَ ويُخزِى الخِراصا (١١)

ساحر الألفاظ لوشاء ظبيا (١٢) ... أسر الوحش بهنَّ اقتناصا

كلما أبصرَه حاسدوه ... كُلِّلتْ تلك العيونُ حُصَاصا (١٣)

كشعاع الشمسِ ترجِع عنه ... مَضْرحِيّاتُ العيونِ (١٤) عِماصا

(١) الخصاص : كل خرق أو خلل فى باب أو غيره ، — والمراد : كل ما انفرج من الأرض ، وفى الأصل : «الخضاص» وهو تصحيف . (٢) الناجيات : الإبل تنجو بصاحبها . (٣) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٤) الارتماص : الرص وذلك بأن يكون بعضها بجانب بعض . (٥) الدلاص : الدرع الملساء اللينة وجمعها دلاص أيضا وقيل : دلص — بضم الدال واللام — . (٦) العد : القديم . (٧) المصاص : الخالص من كل شىء . (٨) ليست بالأصل . (٩) حاص : خاط . (١٠) القرن : الشجاع ؛ والانتكاص : الرجوع . (١١) الخراص : الرماح . (١٢) كذا فى الأصل ولو خيرنا لقلنا « صيدا » ليكون المعنى أعم . (١٣) الحصاص : داء يتناثر منه الشعر — والمراد به هنا تناثر شعر أهداب العيون لشدة ما يبهرها من الضوء — . (١٤) المضرحى : الصقر أو النسر — وكلاهما يوصف بحدة البصر — .

ففـــداه كـلُّ جَهـــمِ المُحيَّـا (١) مانـعٌ عســـجدَه والرَّصـاصـا (٢)

كالشَّموسِ الصَّعبِ إن ذلَّـلوه (٣) زادهـم ذُعـرا ولَجَّ قِـماصـا

مســـتهامٌ بالغـــوانى اذا ما (٤) صقَلتْ خـدًّا وأرختْ عِقاصـا

أين تبغى؟ قد زحَمتَ الثريّا (٥) فى مَـــداها وٱنتعلتَ النَّشاصـا

غايةٌ لـــو ذو جَناحٍ اليهـا (٦) طار لٱعتاصت عليـــه ٱعتياصا

أنتُم آلُ "جَهـــيرٍ" عـــديدٌ لا رأتْ فيـــه البنـانُ ٱنتقاصا

كلّمـا قيـل: الرحيـــلُ قريبٌ غَصَّ بالبـارد حَلْقى ٱغتصـاصا

وأرى قلـــبى سيقتصُّ، إمّا سـرتَ، آثارَ المطىِّ ٱقتصاصا

اِقْضِ فى أمرى بمـا أنتَ قاضٍ فبإنعامك أرجـــو الخَـــلاصا

ردَّك الله إلينـا سـليما بـــك أيامُ الزمان تَواصَى (٧)

* * *

وقال يمدحُه عندَ عودهِ من هذهِ السَّفرة، وقد صاهرَ نظامَ المُلك فى شـعبان سنة ٱثنتين وستين [بعد الأربعمائة]:

اذا نثرَ النـاسُ "الهِرَقْليَّةَ" (٨) الصُّـفْرا نثرتُ على عليـائك الحمـدَ والشُّـكرا

---

(١) الجهم: العابس غير الطلق. (٢) العسجد: الذهب. (٣) الشموس: الأبى الممتنع. (٤) عقاص: جمع عقصة — بكسر العين — وهى الضفيرة. (٥) النشاص: السحاب. (٦) اعتاص: صعب واشتد. (٧) يريد: تتواصى أى يوصى بعضها بعضا، ويقال: تواصى النبت أى ٱتصل بعضه ببعض. (٨) الهرقلية: دنانير منسوبة الى هرقل ملك الروم.

وصغتُ(١) من الذهن المصفّى بدائعا ... أقرّط أسماعَ الرُّواةِ بها شَذْرا(٢)

فلا تحسبَنَّ الدُّرَّ فى البحرِ وحدَه ... فقد تُخرِج الأفواهُ من لفظها دُرَّا

ومن كان جسمَ المكرمات وروحَها ... تحلَّى ثناءً لا لجُينا(٣) ولا تِبرا

يُحيَّا بريحان المحامدِ سمعُه ... ويكفيهِ أن كانت مناقبه عِطرا

ولست براضٍ غيرَ وصفك تحفةً ... ولا قاضيا إلا بمدحتك النَّذرا

بلغتَ "عميدَ الدولة" الغايةَ التى ... ركائبُ أبناءِ المنى دونَها حَسرى(٤)

وما زلتَ تُغلى(٥) المجدَ حتى جعلتَهُ ... عليك حبيسا لا يباعُ ولا يُشرى

وكم طالبٍ فيه نصيبا وإنه ... ليَقبِضُ كفَّيه إذا عَرف السِّعرا

تطيعك فى المعروف نفسٌ حبيبةٌ ... إذا سُئلتْ جدواك تستقبحُ العُذرا

أظنُّك فى الدنيا تُريد زهادةً ... فلستَ بمستبقٍ لعاقبةٍ ذُخرا

وقد كانت النَّعماءُ جادت بنفسها ... فأنشأتَها فى عصرك النشأةَ الأخرى

مواهبُ يُعطين الغنىَّ على الغِنَى ... مَزيدا ويتركن الفقيرَ كمن أثرى

يوافين(٦) سرًّا والسحابُ برعدها ... تبوح بما توليه إن أرسلتْ قَطرا

فدًى لك صيفىُّ الغمامة فى الندى ... يَظُنّ سؤالَ السائلين به مكرا

اذا حامت الآمالُ حول حِياضه ... سمعنَ بها من كلِّ ناحيةٍ زَجرا

(١) فى الأصل «وضعت» وهو تصحيف . (٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير وهو أيضا الذهب .
(٣) اللجين : الفضة . (٤) حسرى : كليلة معياة . (٥) فى الأصل « تعلى » .
(٦) فى الأصل « توافيك » وهو تحريف .

ألستَ من القـــوم الذين نداهُـــمُ ... حبائلُهم ، والراغبون بهـا أسرى

يبيتون فى المشتى خِماصًا(١) وعنـدهم ... من الزاد فضلاتٌ تُصان لمن يُقرى(٢)

خشَوا أن يضِلَّ الضيفُ عنهم فرفَّعوا ... من النـار فى الظلماء ألويةً حُمـرا

أفادوا الذى شاءوا وأفنَوه عاجـلا ... فقـد جمعتْ أيديهم العُسرَ واليُسرا

تواليـك حبَّاتُ القـلوب كأنما ... خُلقتَ سرورا فى الضمائِر أو سِرّا

فإن كانت العينان داعيـةَ الهوى ... فقدأبصرتْ من شخصك الشمسَ والبدرا

وإن كان للنفس الطروبِ تتيُّمٌ ... فأجدرُ أن تهـوَى خلائقَك الزُّهرا

فقـد جنَح الأعداءُ للسّـلم رغبـةً ... إليك، وأىّ الناس لا يعشـق البِرّا؟

فأما سَـقام الحاسدين فما له ... شفاءٌ وقـد كادتهُـمُ نِعَمٌ تترَى

تساوت يداك بسـطةً وسماحةً ... فلم تفخر اليمنى بفضـل على اليسرى

ومعترَكٍ للقـوم مزَّقتَ جمعَـه ... بحـدِّ لسانٍ يُحسن الكرّ والفرّا

وفحشاء أدّتها إليـك جهالةٌ ... جعلتَ رتاجَ(٣) الحلم من دونها سِترا

سما بك فوق العـزّ قلبٌ مشيّعٌ(٤) ... اذا ركب الأهوالَ لم يستشر فكرا

وهمّـةُ وثّابٍ على كلّ ذِروةٍ ... يَنال على أكتادها(٥) النَّهىَ والأمرا

ألا ربَّ ساعٍ فى مَـداك كَبَتْ به ... مطاياه أو قالت له رِجـلُه : عَثْرا

(١) الخماص : الجياع . (٢) يقرى : يضاف . (٣) الرتاج : الباب العظيم المغلق، وفى الأصل «رياح» وهو تصحيف . (٤) المشيع : الشجاع . (٥) الأكتاد : الأكتاف .

وملتمِسٍ فى عـــدِّ فضـــلك غايةً ... ومن يَشبُرُ(١) الخضراءَ أو يترِف البحرا؟!

خذوا عن غُبار الأعوجيّات(٢) جانبا ... وإلا فقـــد ضيعتمُ خَلفها الحُضرا

وخلُّوا لهـذا البـازلِ القَرمِ(٣) شَـــولَه(٤) ... فإنكُمُ لم تَحذِقوا الهَـــدْر والخَطْـرا

فتًى سالَبَ الأعداء حِرصا على العـلا ... فأَجلَوا له عنهـا وما عَقَـــد الأُزْرا(٥)

وهـــل يُعجب الروضُ المنوّرُ أعينا ... رعَتْ فى محيّاه الطـــلاقةَ والبِشرا

كأنَّ الحيـاءَ أنهلَّ فى وجَنـاته ... فكانَ لهـا ماءً وكانت له غُـــدْرا(٦)

تحـــدّثه الغيبَ الخـفىَّ ظنـــونُه ... فتحســـبُها قد أودِعتْ صُحُفا تُقرَا

وقالوا : هو الغيث الذى يغمُر الربَى(٧) ... فقلت لهـــم : ما زدتمونى به خُبرا

فقالوا : هـــو الليثُ المعفِّر قِـــرنَهُ ... فقلت : بحـــقّ الله أيُّهـــما أجرا؟(٨)

حلفت بهـا تَهـــوِى على ثِفناتها(٩) ... من الأين(١٠) مرخاةً أزمَّتُهـا صُعرا(١١)،

تجـــرِّر أذيالَ الرياح وراءَها ... إذا كتبتْ سطرا محتْ قبلَه سطرا،

تَنَزَّهُ عن حَمل الأوانسِ كالدُّمى(١٢) ... وتحمِل فى كِيرانها الشَّعثَ والغُبْرا،

إلى حيث لا تُجزَى بحسن صنيعها ... إذا ما قضَوا نُسكا جزَوها به نَحرا،

---

(١) يشبر : يقيس بالشبر . (٢) الأعوجيات : النجائب من الإبل المنسوبة الى أعوج وهو فحل، والحضر : العدو . (٣) البازل القرم : الفحل الكريم . (٤) الشول : جمع شائلة — وهى من الإبل — : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها .
(٥) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٦) غدر : جمع غدير وهو النهر . (٧) فى الأصل : «يعمر» وهو تصحيف . (٨) يريد أجراً . (٩) ثفنات : جمع ثفنة وهى مايقع على الأرض من البعير اذا استناخ . (١٠) الأين . الجهد . (١١) صعرا . مائلة .
(١٢) كيران : جمع كور وهو الرحل .

وبالبيت محفوفا بمن طاف حوله إطافةَ سِمطَىْ لؤلؤ قلّدا نحرا،
تُفاضُ سجوفُ(١) الرَّقم فى جنباته على ماثلٍ تَعرَى السيوفُ ولا يعرى،
حمًى لا يخاف الطيرُ فى شجراتهِ قنيصا ولا تخشى الظباءُ به ذُعرا،
وبالحجرِ الملثومِ سمعا وطاعة ونعلم أنْ ما يملك النفع والضرا:
لأنت إذا صَكُّوا القِداح على العلا أحظُّهمُ سهما وأسرعُهم قَمرا(٢)
وأعلاهُمُ كعبا وأحلاهُمُ جَنًى وأوفاهُمُ عهدا وأرفعُهم ذِكرا
كفاك نجاحُ السعى فى كلّ مطلب همتَ به أن تزجُرَ الأُدْمَ(٣) والعُفرا
بعزمٍ كما أطلقت أُنشوطةَ الحُبَى وجِدٍّ كما نفَّرتَ عن مَربإ صَقرا
رأيتك طودا للخليفة شامخا وسيفا على شانيه يختصر العمرا
إذا عرَضتْ حَوجاءُ كنتَ قضاءَها وإن طرَقتْ غَمّاءُ سَدّ بك الثغرا
دعاك لأمرٍ ليس يُحكِم فتلَه سواك وهِجّيراك(٤) أن تُبرِمَ الأمرا
فأرسلتَها من « بابلٍ » وكأنما تُقلقِلُ من تحت السروج قَطًا كُدْرا
صدمَت بها الأجبالَ والقُرُّ(٥) كالحٌ تجلّلها ثلجا وتُنعلها صخرا
تَذكّرُ مَرعىً « بالعراقِ » وموردا وهل ينفع المشتاقَ ترديدُه الذكرا

---

(١) سجوف الرقم . ستائر الخز. (٢) قمرا : مصدر قمره — بفتح الميم — لاعبه فى القمار فغلبه .
(٣) الأدم والعفر : — من الخيل والنوق والظباء — البيض والتى لونها كلون العفر وهو التراب .
(٤) هجيراك : بمعنى دأبك وشأنك . (٥) القر . البرد .

إذا رَبأتْ (١) فى قُنّةٍ (٢) خِلت أنها ... خُدارِيّةُ (٣) العِقبانِ طالبةً وَكرا

فزاحمن فيها الشُّهب حتى طمعن أن ... يحلّين منهنّ القلائدَ والعُذْرا (٤)

بكلّ منيفٍ يقصُر الطيرُ دونه ... ولا تجد النكباءُ من فوقه مَجرى

وطودٍ بحولىّ الجليدِ معمَّمٍ ... كما زار لونُ الشيب فى هامةٍ شَعرا

كأنا كشطنا عنه جِلدةَ بازلٍ (٥) ... كسا شحمُه جنبيه والمتنَ والظهرا

أقامت به الأنواءُ تُهدى لك القِرى ... ولم تقتنع بالماء فاحتلبت دَرّا

فرشنَ بِكافورِ السماء لك الربَى ... فشابهنَه لونا وخالفنَه قِشرا

اذا خلَصت منها الجيادُ رأيتها ... وما خالطت لونا محجَّلةً غُرّا

وقاسمها بُعدُ المدى فى جسومها ... فأفنى بها (٦) شطرا وأبقى لها شطرا

ولما دَحَت قُود (٧) الهضاب وراءَها ... ورنّحها طولُ القيادِ لها سُكرا،

رمتْ صحصحانَ (٨) "الرّىّ" (٩) منها بأعين ... تردّد فى أعطافه نظرا شَزرا (١٠)

هناك دعا داعٍ من الله مسمِعٌ ... فلبّاك من ضمّتْ معالمُها طُرّا

يحيُّون ميمونَ النقيبةِ ماجدا ... ويَلقون بالتعظيم أعظمَهم قدرا

---

(١) ربأت : اتخذت مربأ . (٢) القنة : رأس الجبل . (٣) الخدارية : العقاب السوداء . (٤) العذر : جمع عذار وهو ما سال من اللجام على خد الفرس . (٥) البازل : الجمل المسن . (٦) فى الأصل «به» وهو غير واضح . (٧) قود . جمع قائد ؛ وهو المستطيل من الجبل على وجه الأرض . (٨) الصحصحان . ما استوى من الأرض . (٩) الرى : بلدة بفارس ، — والنسبة اليها : رازى . (١٠) النظر الشزر : أن يكون بجانب العين كنظر الغضبان .

ولاقيتَ ربَّ التـاج يرفـعُ حُجْبَـهُ ويطرُد ، ما ناجيتـه ، التيهَ والكِبرا
وحاورتَه حـتى شغفتَ فـؤادَه ألا ربّمـا كان البيانُ هـو السحرا
رأى فيـك ما يهواه مجـدا وسؤددا فما كنت إلا فى مجالسه صـدرا
وحسبُك فخرا ان تجَهّزتَ غاديا فقضَّيتَ أوطار النبوّة من "كِسرى"
مليـكٌ حمَى الرحمنُ بيضـةَ مُلكه فمـا فى الورى من يستطيع لها كَسرا
كتائبُـه فى كلّ شرق ومغرب مدرَّعـةٌ فتـحا ، مؤيّدةٌ نصـرا
كَفاه "نظـامُ الملك" أكبرَ همّه وأتعبَ فى آرائه السرَّ والجهـرا
همـامٌ إذا ما هزَّ فى الخطب رأيَهُ فلا عجبٌ أن يُخجل البيضَ والسُّمرا (١)
إذا هو أمضَى نعمةً قـد تعنَّست تخيَّر أُخرى من مواهبه بِكرا (٢)
ومن رأيه الميمونِ عقدُ حبـالِه بحبلك حتى قد شـددتَ به أَزْرا
لئن كنتَ أنت "المشترِى" فى سمائه علوًّا لقد قارنتَ فى أفقهِ "الشِّعْرَى"
فأصـبحتُما "كالفرقدَيْن" تناسُـبًا فأكرِمْ بذا حَمْوًا وأكرم بذا صِهرا
وقضَّيتَ ما قضَّيتَ ثم عطفتَهـا تبارَى كما ينسابُ فى الشَّعَر المِدرى (٣)
وأُبت كما آبَ الربيـعُ الى الثرى يَخيـط على أعطافـهِ حُلَلا خُضرا
ففى كلّ يوم ما أغبَّ مبشِّر يؤدّى إلى "بغدادَ" من قربك البُشرى

---

(١) البيض والسمر : السيوف والرماح .
(٢) تعنست : طال مكثها بلا زواج حتى خرجت من عداد الأبكار .
(٣) المدرى : المشط .

ولما اطمأنّت فى "جَلَوْلاءَ"(١) عالجتْ ... بذاك النسيم الرطبِ أكبادَها الحرَّى

فأقسمتَ لا تنفكّ تحت لُبُودِها(٢) ... إلى أن توافى حَلبةَ(٣) القصْرِ والقصرا

وعُجتَ بها تطوِى منازلَ أربعا ... إلى منزلٍ، يا بعدَ ذلك من مَسرَى!

ولله فينا نِعمةٌ إثرَ نعمةٍ ... وعَوْدك محروسا هو النعمة الكبرى

فلا كان يومٌ لستَ فى صدره ضُحًى ... ولا كان ليلٌ لستَ فى عَجْزه فجرا

* * *

وقال يمدحُه ويهنئه بالنيروز الفارسىّ، وأهدَى إليه كُتُبًا عِوض الدرهم والدينار:

وددتُ التصابى فيك إذ كان عاذرى ... وعاديتُ حلمى إذ غدا عنك زاجرى

ومالى سوى قلبٍ يضلّ ويهتدى ... فإما الهوى فيه وإما بَصائرى

وإنى لأدرِى أنما الغُنْجُ(٤) واللَّمَى(٥) ... وبيضُ الطُّلَى(٦) هنّ(٧) القذى فى المحاجرِ(٨)

ولكنّها نفسٌ تروضُ طباعَها ... بما حملته من عذاب الجآذرِ(٩)

عدِمتُ فؤادى يبتغى الآنَ رشدَه ... فهلّا قُبيل الحبّ كان مشاورى!

---

(١) جلولاء: قرية بفارس على بعد سبعة فراسخ من بغداد. (٢) لبود: جمع لبد، وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج. (٣) الحلبة: محلة واسعة فى شرقى بغداد؛ والقصر: اسم لجملة مواضع؛ فمنها: قصر الأحمرية فى نواحى بغداد؛ وقصر أم حبيب بنت الرشيد من الجانب الشرقى من بغداد.

(٤) الغنج: الدلال. (٥) اللمى: سمرة فى باطن الشفة — وهى مستحسنة عند العرب —.

(٦) الطلى: الأعناق. واحدها: طلية. (٧) القذى: ما يقع فى العين فيوجعها.

(٨) محاجر: جمع محجر وهو ما دار بالعين. (٩) الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية.

فما بالنا نُعطَى الدنيَّة فى الهوى ... وفى الروع لا نعطَى ظُلامةَ ثائرِ

كأنا جميمُ (١) الروض يقطُف نَوْرَه الـ ... ـظباءُ ولا يحلو لأُسْدٍ خوادرِ (٢)

وإنّ آنقيادى طوعَ ما أنا كارهٌ ... يدلُّك أنَّ المرءَ ليس بقادرِ

لواحظُنا تجنِي ولا علمَ عندَها ... وأنفسُنا مأخوذةٌ بالجرائرِ

ولم أرَ أغبَى من نفوسٍ عفائفٍ ... تصدّق أخبارَ العيون الفواجرِ

ومن كانت الأجفانُ حُجّابَ قلبهِ ... أَذِنَّ على أحشائه للفواقرِ (٣)

اذا لم أفز منكم بوعدٍ فنظرةٍ ... اليكم، فما نفعى بسمعى وناظرى؟!

وما زال لى عند الظباء ظُلامةٌ ... تُرَدُّ الى قاضٍ من الحبّ جائرِ

لعمرُك مابى فى الصبابة حَيرةٌ ... تقسِّم فكرى بين ناهٍ وآمرِ

تصامتُ عن عذل العذول لأنه آحـ ... ـتجاجٌ لسالٍ وآعتذارٌ لعاذرِ

وكيف بنسيانى الذى حفِظ الصِّبا ... وبات به طيفُ الخيال مسامرى

بلى إنّ بَردَ اليأس يطفئُ حُرقةً ... ولو سُقيت منه قلوبُ الهواجرِ

وإنّا اذا ضلّت من "الحَزْنِ" نفحةٌ ... فزِعنا الى نِشدانها بالمناخرِ

أصعِّد أنفاسى اذا ما تمرّغت ... على تُربه هوجُ (٤) الرياح الخواطرِ

---

(١) الجميم : النبت الناهض المنتشر .

(٢) الخادر : اللازم لعرينه والمقيم به .

(٣) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تقصم الظهر .

(٤) هوج : جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت .

وأذكرُ يوما قصّر الوصلُ عمرَهُ ... كأنا ٱلتقينا منـــه فى ظلِّ طائرِ

متى غنّت الورقاءُ كانت مدامتى (١) ... دموعى، وزفراتى حنينَ مَزاهِرى

خليلىَّ هذا الحُلمُ قد أطلق الأسَى ... وبثَّ حُبولَ (٢) الشوق بين الضمائر

ولم يبق فى الأحشـاء إلا صُبابة (٣) ... من الصبر تجرِى فى الدموع البوادرِ

فَليًّا بأعنـاقِ المطىِّ فربّمـا ... أصبنا الأمانى فى صدور الأباعرِ

وإن لم يكن فى ربّة الخدر مَطمعٌ (٤) ... قنَعنـا بآثار الرســوم الدوائرِ

مَرابط أفـراس ومَبرك هَجمةٍ (٥) ... وملعب ولدان ومجلس سامرِ

وسُـفعٍ (٦) أثافىٍّ (٧) كانّ رمادَها ... حمـائمُ لكن هنَّ غيرُ طوائرِ

ويا حبّـذا تلك النُّـؤىّ (٨) وليتها ... تروح خلاخيلى وتغدو أساورى

اذا أنتَ لم تحفَظ عهـودَ منازلٍ ... فلستَ لعهـد النازلين بذاكرِ

سقاها الذى أضحت ينابيعُ فضلهِ ... تَمُـدُّ شآبيبَ الغيوثِ البواكرِ

بجودُ «عميدالدولة» العُشبُ والحيا ... ومقـتَرَحُ الراجى وزادُ المسـافرِ

كُفيتَ به أن تطلبَ الرزقَ جاهدا ... على زعمهم بالسـعى أو بالمقـادرِ

---

(١) مزاهر : جمع مزهر وهو العود . (٢) حبول : جمع حبل وهو معروف والمراد الحبائل . (٣) الصبابة : البقية . (٤) الدوائر : البوالى . (٥) الهجمة : قطيع من الإبل ما بين السبعين والمائة . (٦) سفع : جمع أسـفع وسفعاء وهى السـوداء . (٧) الأثافى : جمع أثفية وهى ثلاثة أحجار توضع عليها القـدر . (٨) النؤى : جمع نؤى وهو الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل .

تظَلُّ قَلوص الجُود (١) ترقُص تحتـهُ اذا حُديتْ يوما بنغمة شاكرِ

تحدَّثْ ولا تحرَجْ (٢) بكلّ عجيبـــةٍ من البحر أو تلك الخلال الزواهرِ

فما ذاق طعمَ الريِّ من لم تُسَقِّه أناملُه من صـــوبها المتواترِ

وكم من كسـير للّيالى قد ٱلتقت (٣) عليـــه أياديه ٱلتقاءَ الجبائرِ

ومنتَهب الجـدوى يُريك سحابُه (٤) زمانَ الربيع السكبِ فى شهر "ناجرِ"

يسـابقُ بالفـعلِ المقـالَ كأنه يرى الوعدَ فنًّا من مِطال الضمائرِ

فأنت تراه ماطـرا غـيرَ بارقٍ ولست تراه بارقا غيرَ ماطـرِ

مواهبُ سمّاها العفاةُ صنائعـا وهنّ نجومٌ فى سماء المآثرِ

ملوم على بذل البضائع فى النـدى وما تاجرٌ فى المكرُمات بخاسرِ

قَطوبٌ وأطرافُ القيانِ عوابثٌ ضحوك وأطرافُ القنا فى الحناجرِ

به ٱزدانت الدنيـا لنـا وتلفّتت الينا الليـالى بالخـدود النواضرِ

تعلَّمت الأيامُ منـه بشاشـةً (٥) أعادت إلىّ الدهرَ هَشَّ المكاسرِ

يذيبُ السؤالُ شَحمةَ الرفدِ عنده وهل يجمُد العنقودُ فى كفِّ عاصرِ

أبَى أن تهُـزَّ العُنجُهيَّـةُ (٦) عِطفَهُ يقينًا بأنّ الكبرَ إحـدى الكبائرِ

ولا عيبَ فى أخلاقه غيرَ أنهـا فـرائد دُرّ مالهـا من نظـائرِ

(١) القلوص : الفتية من الإبل . (٢) تحـرج : تأثم . (٣) الجبائر : جمع جبيرة وهى عيدان تجبر بها العظام . (٤) ناجر : الشهر الواقع فى صميم الحر . (٥) المكاسر : غضون الوجه . (٦) العنجهية : الجفاء والكبر والعظمة .

وما النـاسُ إلا كالبحور فبعضُها ... عقـيمٌ و بعضٌ معـدنٌ للجواهرِ

فتعسًا لأقـدام السُّعاةِ و راءه ... ألم ينتهـوا عنـه بأوّل عاثرِ!

يُقـرُّ له بالفضـل كلُّ منازع ... اذا قيل يومَ الجَمع : هل من مُفاخرِ؟

أخو الحزم ليست فى نواحيه فرصةٌ ... لنُهـزةِ مغتالٍ ونَفثـةِ ساحر

اذا ركَضتْ آراؤه خلفَ فائتٍ ... تدارك منـه غائبـا مثـل حاضرِ

مـتى تأتِه مستشـفعا بصنيعهِ ... اليـك فقـد لاقيتـه بأواصرِ

تتبَّـع أوساطَ الأمور مجانبـا ... تورُّطَ عجـلان ووَنيـةَ قاصرِ

وقـد علم النُّزَّاعُ أن ديارَه ... اذا آنتجعـوها نِعم دارُ المُهاجرِ

تسلَّوا عن الأوطان بالأبطح الذى ... يلائم مَرعاه لبـادٍ وحاضرِ

يطاول بالأقـلام ما تبلغ القنـا ... و يفضُل أفعـالَ الظُّبَا بالمخـاصرِ (١)

من العصبةِ الغُرِّ الذين سـعودُهم ... بآرائهـم لا بالنجوم السـوائرِ

فوارسُ هيجاءٍ وقولٍ، ركوبُهـم ... ظهورُ الجيـادِ أو ظهورُ المنـابرِ

يظن الضيوفُ أن دارهمُ "مِنًى" ... ودهرَهُمُ عيـدٌ لعُظم المناحرِ

وما أوقدوا النيرانَ إلا ليفضَحوا ... بها الليلَ إن أخفى مسالكَ زائرِ

وقد علمتْ تلك المكارم والعـلا ... وقـد ولدتهـم أنهـا غـيرُ عاقرِ (٢)

---

(١) مخاصر : جمع مخصرة وهى عصا صغيرة يشير بها الملك .

(٢) فى الأصل : «أن» ، وفى مختارات البارودى «تلك» فرجحناها لوضوح المعنى بها .

أيا "شرفَ الدين" المشرِّف عصرَه ومن حلَّ فيه ، بالعطايا البواهرِ (١)

تناولْ "بنيروز" الأكاسرِ غبطةً تضاحك أفواهَ الأمانى الفواغرِ

هو اليومُ لا فى حُلَّة الصيف رافلٌ ولا فى سرابيل الشتاء بخاطرِ

يكاد لسانَا طِيبِه واعتداله يُبينان أنّ الدهرَ ليس بجائرِ

ولما رأيتُ المال عندك هيِّنا جعلتُ هداياه رياضَ الدفاترِ

فإنك من حمد الرجال وشكرِهم (٢) كثيرُ (٣) الكنوزِ واللُّهَى (٤) والذخائرِ

* * *

وقال يمدحُه، ويشكرُه على تعهّدِه بالعيادةِ من ألمٍ نالَه :

أبَى اللهُ إلا أن تجودَ وتُنعِما خلائقُك اللائى تَفيضُ تكرُّما

لك المَثَلُ الأعلى بكلِّ فضيلةٍ إذا ملأ الراوى بها النَّجدَ أتهما

لآلئُ من بحر الفضائلِ إن بدت لغائصِها صلَّى عليها وسلَّما

ولو ملَكتْها الغانياتُ بحيلةٍ لزنَّ بها جيدا وحَلَّين معصما

وكم لك فى غُمّاتِها من عزيمةٍ تُسابق بالنصر الخميسَ العَرمرَما (٥)

يُفلِّل حدَّاها الحسامَ مصمِّما ويُخجِل عِطفاها الوشيجَ (٦) مقوَّما

وما الجودُ إلا ما قتلتَ به اللُّهَى (٤) فلم تُبقِ دينارا ولم تُبقِ درهما

---

(١) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل : «الطواهر» ولعلها "الظواهر". (٢) فى الأصل : «فان يك» وبها لايستقيم المعنى فرجحنا ماوضعناه . (٣) فى الأصل هكذا « كير» (٤) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٥) العرمرم : الكثير . (٦) الوشيج : شجر الرماح .

فما يتعاطاك السحابُ اذا همى ولا البحرُ يحكى ضَفَّتيك و إن طما

وهل يقدِر الأقوامُ أن يتكلَّفوا مكارمَ قد أعيتْ "سِماكا"(١) و"مِرزَما"

نهضتَ بأثقالِ المعالى ولو دُعِى إلى حملها العَودُ(٢) الدِّيافىُّ(٣) أرزما(٤)

فسيّان من يبغى عُلاك وطالبٌ ليبلغَ أسبابَ السمواتِ سُلَّما

وما المدحُ مستوفٍ علاك و إنما حقيقٌ على المنطيق أن يتكلَّما

ألم ترَ أنّ الأرضَ رحبٌ فسيحةٌ ونحن نولِّيها قلائصَ(٥) سُهَّما(٦)

أتتنى "عميدَ الدولة" المِنَّةُ التى نفختَ بها رُوحا وأحييتَ أعظما(٧)

كأنّ الرسولَ المُسمِعى نَغماتِها رسولٌ تلا وحْيًا من الله مُحكما

فألبستُ منها صِحّةً هى جُنَّتى إذا ما قِسِىُّ الدهرِ فوَّقنَ أسهُما

ودارتْ [بها](٨) كأسُ الشفاء وعُلِّقتْ على رُقًى منها تُداوِى المتيّما

فقد كدتُ فى عَجزى عن الشكرِ أن أرى لسانىَ مجروما(٩) وقلبى مُفحَما

ولكنّها ريحُ الثناءِ إذا جرت بذكرِك لم أملِكْ لسانا ولا فما

وأفضالُك الروضُ الربيعىُّ إن دعا بزَهرته وُرقَ الحمام ترنَّما

---

(١) السماك والمرزم : كوكبان من أنواء المطر . (٢) العود : الجمل الشديد .

(٣) الديافى : منسوب إلى ضرب من إبل قرية بالشام يقال لها دياف ، وأهلها نبط الشام .

(٤) أرزم : صات من ثقل ما يحمله . (٥) القلائص : الفتيات من النوق . (٦) السهم : الهزيلة المتغيرة اللون . (٧) فى الأصل : « أسنى » . (٨) ليست بالأصل .

(٩) المجروم : المقطوع .

فلا ضحِـك الإصـــباحُ إلا نَحلْتَـــهُ ببهجتِـــك الغـــرّاءِ ثغـــرا ومبسِما

ولا دجتِ الظلمـاءُ إلا أعرتَهـا شمـائلَك الغُـــرَّ اللوامـــعَ أنجُمـا

تطيعـك أيام الزمان مصـــيخةً (١) بأسماعِهـا حـــتى تقـــول وترسُمـا

ستأتيك من مدحى قوافٍ بديعـــةٌ ينـافس فيهـا الجـاهليُّ المُخَضرَما (٢)

وإنى بمنثـــورِ الكلام لعـالِمٌ ولكنَّ حســنَ الدرّ فى أن يُنظَّـــما

* * *

وقال يمدحُه :

أبَيْنـا أن نطيعَكُمُ أبَيْنـا فلا تُهـــدوا نصيحتَكُم إلينـا

ركِبنا فى الهـوى خطَـرا فإما لنـا ما قـد كسَبنا أو علينـا

فما تسألُكم عن كلِّ صبٍّ كأنَّ لكم على العشاق دَينـا!

ولـو لم يَرضَ ربُّك ما رضينا لَمـا أنشَا لنـا قلبـا وعينـا

بنفسى راميـاتٍ ليس تفـنَى نُصـولُ سِهامهنّ اذا رمينـا

كأنّهـمُ أعـدوا للـــرزايا (٣) بكلِّ كحيـلةٍ زِيرا (٤) وقَينـا

تعوَّضنَ الخيامَ من المطايا وحسبُك بالخيـام قِلًى (٥) وبَينـا

ولوّينَ البنانَ فقلتُ زجرا بميعـادى وآمالى لـوَينـا

عجـائبُ فى الصـبابة لو عقلنـا نحبُّ محاسنا فتصـير حَيْنَا

---

(١) مصيخة : مصغية . (٢) المخضرم : الذى عاش فى الجاهلية والإسلام. (٣) الزير : الذى يحب مجالسة النساء ومحادثتهن . (٤) القين : العبد . (٥) القلى : البغض .

نسائلُ عن ثُمامات "بُحزَوى" (١) وبانُ "الرمل" يعلم مَن عَنَينا

وقد كُشِفَ الغِطاءُ فما نبالي أصرَّحْنا بذكرِكِ أم كَنَينا

ولو أنى أنادى : يا "سُليمَى" لقالوا : ما أردتَ سوى "لُبَينَى"

ألا لله طيفٌ منكِ يسقى بكاسات الردى زُورا ومَينا

مطيَّته طَوالَ الدهرِ جفنى (٢) فكيف شكا اليكِ وَجًى (٣) وأينا

فأمسينا كأنا ما افترقنا وأصبحنا كأنا ما التقينا

ولولا نُورُ أزهرَ شمَّرِيٍّ (٤) تبلَّج (٥) فى الظلام لما اهتدينا

"عميد الدولة" المعطِى القوافى رُهونَ سِباقهنَّ اذا جَرَينا

فتًى يبنى على الغُلَواء (٦) بيتا اذا نزل المقصِّر بينَ بينا

يقول لإبله : مُوتى هُزالاً ولا ترعَىْ بأكناف الهَوَينَى

إذا ما السُّحبُ بالأمواهِ سَحَّتْ تهلَّل (٧) عسجدا وهَمَى (٨) لُجينا

بكلِّ قرارةٍ وبكلِّ ربعٍ رياضٌ من نداه قد انتشينا

غصونُ مكارم قَيظا وقُرًّا (٩) نُصيب بها ثِمارا يُجتَنَينا

وما سلبَ الشتاءُ الأرضَ إلا تسربلنَ المحامدَ فاكتسَينا

جرَى والسابقُون إلى المعالى فجاء فُوَيقها وأتَوا دُوَينا

---

(١) الثام : نبت ضعيف له خوص . (٢) الوجى : الحفا . (٣) الأين : التعب والنصب . (٤) الشمرى : الماضى فى الأمور المجرب . (٥) تبلج : أضاء . (٦) الغلواء : الغلو فى الشىء . (٧) العسجد : الذهب . (٨) اللجين : الفضة . (٩) القر : البرد .

* * *

وكتب إليه وقد عَرَض عليه تقليدَ عملٍ من أعمالِ العراقِ لم يُرضِـه، ويَزرِى على جماعةٍ من العمال :

قـد حصَلنا من المعـاش كما قيـ ـل قديما : لا عطرَ بعد عَروسِ (١)

ذهبَ القـومُ بالأطايبِ منـه ودُعينـا الى الدّنيّ الخسـيسِ

لا جميـلٌ بمثله يحسُن الذكـ ـرُ ولا عامرٌ خرابُ الكيسِ

واذا ما عدِمتُ فى الأمر هـذيـ ـن فسـيّانِ نهضـتى وجلوسى

عُرِضَت قبلَنـا "تبـالةُ" "للحـ ـجّاج" فاعتافها بوجهٍ عَبـوسِ (٢)

وتولّى أمر "العـراقين" صالٍ نارَحربٍ تُزْرى بحربِ "البسوسِ" (٣)

جلسـةٌ فى الجحيم أحرَى وأولى من رحيـل يُفضِى إلى تدنيسِ

ففـرارا من المـذلّة فى "آ دَمَ" كان الفـرارُ من "إبليسِ"

أتـرانى مزاحمًـا لأناسٍ قُلِّدوهـا بالسـيف والدّبّوسِ

بين ذى عُجـمة وآخرَ منقـو صٍ وذى جِنّـةٍ وذى تنميسِ (٤)

وبطينٍ وأبرصٍ وهمـا دا ءانِ غضّـا من قـدرِ كلّ رئيسِ

---

(١) مثل يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس . (٢) يشير الشاعر الى تولية الحجاج بن يوسف الثقفىّ على تبالة وهى أول عمل وليه فسار اليها ، فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة ؟ فقال : تسترها هذه الأكمة ، فقال : لا أرانى أميرا على موضع تستره عنى أكمة ؛ أهون بها ، وكر راجعا ، فقيل فى ذلك : أهون من تبالة على الحجاج . (٣) أنظر صفحة ٣ شرح ١ (٤) التنميس : التلبيس .

معشر ليس يبـــلغ الذمُّ فيهـــم ... حدَّه إن وصـــفتهم بتيـــوسِ

غايةُ العـلمِ عنـــدهم وتمـامُ الـ ... ـفضل حسنُ المركوب والملبوسِ

ما آفتخار الفتى بثـــوبٍ جديدٍ ... وهو من تحته بعـرضٍ لبيسِ؟ (١)!

والغـــنَى ليس باللُّجين (٢) وبالتِّبـ ... ـر ولكن بعـــزّةٍ فى النفـوسِ

عادة للزمان يَجـــرِى عليهـا ... أن تصـير الأذنابُ فوق الرءوسِ

قد حويتُ الذى به ينجح السعـ ... ـىُ فمن لى بحظىَ المنحـــوسِ

وإذا صحَّ لى هوى "شرف الديـ ... ـن" تولَّى النعيمُ قتـــلَ البـوسِ

قـد توثَّقْتُ يا صروفَ الليـالى ... من أياديه فآحمُقى أو كِيسِي (٣)

لىَ ما شـئتُ روضـــةٌ وغديرٌ ... ومِراحٌ من ربعـــهِ المأنوسِ

* * *

وقال يمدحُه ويهنّئه بعيد الأضحى والمهرجان :

يا صِحـابى وأينَ منِّىَ صَحـــبى ... صرَعتهـــم عيونُ ذاك السِّربِ

يومَ أبدَوا تلك الوجوهَ علمنـا ... أنمـا يُشهَر السـلاحُ لحَـــربِ

لحظـاتٌ أسماؤهنّ آســـتعارا ... تٌ وما هنّ غـير طعنٍ وضربِ

إن أُجبْ داعىَ الهوى غيرَ راضٍ ... فالصـدَى (٤) بالنـداءِ كُرْهًـا يلبِّى

---

(١) اللبيس : الخلق الممزق . (٢) اللجين : الفضة . (٣) كيسى : أى كون كيسة ذات عقل . (٤) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت فيه بمثل صوته .

هل أرى فى السهادِ صُبحًا بعينى ... من أرى فى الرقاد ليـــلا بقلبى

أمـلٌ كاذبٌ : قِطافُ ثمـارٍ ... من غصونٍ ملتفّـــةٍ بالعصْبِ (١)

كلّمـا رنّح النسـيمُ فـروعَ الـ ... ـبان هزّت أعطـافَها بالعُجبِ

إنّ روضَ الخـدودِ ليس لرعيٍ ... وخمـــورَ الثغور ليست لشُربِ

أرِنى ميتَـــةً تطيبُ بهـا النفـ ... ـسُ وقتـــلًا يلَذُّ غـــيرَ الحبِّ

لاتَزُلْ بى عن "العقيقِ" ففيهِ ... وطـرِى إن قضَـــيتُه أو نحبى

أجميـــلُ ألّا أزورَ ديارا ... يوم بانوا دفنتُ فيهـا لـــبّى!

لا رعيتُ السوامَ إن قلتُ للصُّحـ ... ـبةِ : خِفّى عنه، وللعيس : هُبّى

وقفـــةٌ بالركابِ تُجمـعُ فيهـا ... فرحـــةٌ لى وراحةٌ للرَّكْبِ

فى كِناس (٢) "الأَرْطَى" (٣) شبيهةُ لعسا (٤) ... ـءَ حَماهـا العفافُ مثـلَ الحُجْبِ

يُتمـارَى أهـذه من نِتـاج الـ ... ـوحش أم تلك من بناتِ العُربِ؟!

قبلما آستضحكَتْ لنا ما طمعنا ... أن نرى الدُّرَّ فى الزلال العذبِ

طلعتْ وِجهـةً وقابلهـا البـــد ... ـرُ فسوّت ما بين شرقٍ وغربِ

كلُّ شىء حسبتُه من تجنّيـ ... ـها سـوى عدّها الصبابةَ ذنبى

وسـدادُ رأىُ العـذول ولكن ... ليس يُعفِى الغرامُ من قال: حَسبى!

(١) العصب : ضرب من الثياب يصبغ ثم ينسج . (٢) الكناس : بيت الظبى .

(٣) الأرطى : شجر ثمره كالعناب . (٤) اللعساء : التى فى شفتها سواد — وهو مستحسن عند العرب — .

ربّما أقلع المتيّمُ بالعذ ... ـرِ وزاد آستهامةً بالعتبِ

مثلما آزداد فى الندَى "شرفُ الـ ... ـدين" لجاجًا على الملام الصعبِ

مشرق الوجه باذل الفم بالنَّيْـ ... ـل، وحسنُ الغديرِ زهرُ العُشبِ

كاد أن يرفع الموازينَ إعلا ... مًا لَنا أنّ مالَه للنهبِ

واهب الخُرّد العطابيلِ والكو (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) ... ـومِ المطافيلِ والعتاقِ القُبِّ

وبُدورِ (٧) النُّضار أعجلها الطا ... لبَ تبرا عن سبكها والضربِ

شرفٌ صغَّر الذى عظَّموه ... من كرامِ أخبارُهم فى الكُتُبِ

غمَس الشكر فى سلاف أياديـ ... ـه فحيّاه باللسان الرَّطْبِ

لا سقَى الله معشرا وهو فيهم ... لِمَ يَرْجُونَ بارقاتِ السُّحبِ!!

عرفَت فضلَه الرجالُ فألقت (٨) (٩) ... بالمقاليدِ للخُشاشِ النَّدبِ

طبَعوا بَهْرَجَ (١٠) المعالى ليحكو ... هُ وليس النبيُّ كالمتنبِّى

من له رِحلتا "قريشٍ" الى المجـ ... ـد تؤوبان من علاءٍ بكسبِ

كيف لا يملأ الحقائبَ شكرا ... وهو فى متجَر المكارم يُربى

---

(١) خرد : جمع خريدة وهى المرأة الحيية . (٢) عطابيل جمع عطبول : وهى المرأة الجميلة الطويلة . (٣) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٤) مطافيل : جمع مطفل وهى ذات الطفل . (٥) العتاق : الخيل النجيبة . (٦) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٧) بدور : جمع بدرة وهى كيس توضع فيه النقود . (٨) الخشاش : الشجاع ، وفى الأصل «الحشاش» وهو تصحيف . (٩) الندب : الماضى السريع الى الفضائل . (١٠) البهرج : الزائف .

شنَّ غاراتِه على عازبِ (١) السـؤ ددِ ما يقـترِحْ يحـوز ويَسبى

همـمٌ لا ترَى العـلوَّ علوّا أو تُدلَّى على النجـوم الشُّهبِ

طاعنـاتٌ فروعُها فى الدَّرارِى (٢) ضـارباتٌ عروقُهـا فى التُّربِ

سابقاتٌ وفـدَ الرياح اذا يو مُ رِهانٍ أجراهما من مَهَبِّ

شرفٌ دلَّ حاسـدُوه عليـه ودليـلُ القِـرَى نُباحُ الكلبِ

إنّ هـذا الهمامَ قـد عطَّل الرمـ ـحَ وأبدَى كَهامـةً (٣) فى العضبِ (٤)

صـقَل الرأىَ بالتجاربِ حـتى هو أنقى مَتنٍ (٥) وأذلقُ غربِ (٦) (٧)

وحمَى فى رِباعـه غابةَ الليـ ـث بتـدبيره وبيتَ الضبّ

ذو هبـاتٍ يُدنى لمحتلبِ (٨) الخيـ ـرِ لَبـونًا (٩) تدرُّ من غـير عَصبِ (١٠)

من صريح يعطيك زبدًا بلا مخـ ـضٍ ويُغنيك عن تعنّى الوَطبِ (١١)

ومتى يعـترضه محتطبُ الشـ ـرّ يجـدْ عنـده وَقـودَ الحـربِ

أسمرا كالرشاءِ (١٢) يُرسـله الرا مُ (١٣) فى كلِّ طعنـةٍ (١٤) كالجُبِّ

وغَموضَ الحدين من جوهرِ الـ ـموت مُوَلًّى على النفوس لغصبِ

---

(١) العازب : الشارد . (٢) الدرارى : النجوم . (٣) الكهامة : الكل ، يقال : سيف كهام أى كليل غير قاطع . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) المتن : الظهر . (٦) أذلق : أحدّ . (٧) الغرب : الحد . (٨) فى الأصل : « لمجتلب » ، وهو تصحيف . (٩) اللبون : الغزيرة اللبن . (١٠) العصب : شدّ فخذى الناقة لتدر . (١١) الوطب : إناء يحلب فيه . (١٢) الأسمر : الرمح . (١٣) الرشاء : الحبل . (١٤) الرامح : حامل الرمح .

وسَبوحا (١) قَـوداءَ (٢) تحتلب الجـر ... يةَ فى حافرٍ (٣) كمثلِ القعبِ

لوذعىٌّ تهيـج منـــه الأعادى ... قانئَ (٤) الظُّفـر من فـؤادٍ وخِلْبِ

عنـــدَه للأمور أشـفَى دواءٍ ... وعلاجُ الشئون خـــيرُ الطِّبِّ

أبدا حزمُـــهُ برغـــم الليـالى ... غُدَّةٌ (٥) أمسكتْ لَهـاةَ الحَطْبِ

هو إما الذُّعافُ (٦) رقـــرقه الصِّـ ... ـلُّ (٧) لحـاويه أو هِنـاءُ (٨) النُّقْبِ (٩)

تقتضِى المشكلاتُ منـه مقالا ... يتولَّى حـــكَّ القلوب الجُربِ

حِـكَمٌ لو أصابهـا حىُّ "عَدوا" (١٠) ... نَ" آدَعوها "لعامرِ بنِ الظَّرْبِ"

إنمـا أنت يا "محمدُ" للنـا ... س شبيهُ المبعوثِ من "آل كعبِ"

ذاك كان الربيـعَ إذ قَحَط الـ ... ـدِّينُ وأنت الربيعُ عامَ الجـدبِ

أطلـــعَ الله للخـــلافةِ نجمـا ... منك عن سعدك المخلَّد يُنبِى

دولةٌ مذ دُعيتَ فيها "عميدا" ... غَنِيتْ عن عَمودِهـا والطُّنْبِ (١١)

فلهـا السَّـــرحَ بالبسالةِ يحمِى ... ولهـا الفئَ بالأمانةِ يَجـــى

وإذا رايـــةٌ أُمدّتْ بإقبـا ... لك سارت منصـــورةً (١٢) بالرُّعبِ

---

(١) السبوح : الفـرس . (٢) القوداء : المنقـادة الذلول . (٣) القعب : القدح الضخم الغليظ ، و يقال : حافر مقعب أى مدوّر كالقعب . (٤) الخلب : حجاب الكبد أو هو غلاف البطن . (٥) اللهاة : لحمة معترضة فى أعلى سقف الحلق . (٦) الذعاف : السم . (٧) الصل : الثعبان . (٨) الهناء : القطران . (٩) النقب : الجرب .

(١٠) عدوان : قبيـلة من العرب منها عامر بن الظرب — بكسر الراء وسكنت هنا للضرورة — وهو من حكماء العرب المشهورين و يقال : إنه أول من قرعت له العصا . (١١) الطنب : حبـل يشدّ به سرادق البيت . (١٢) كذا فى الأصل ، وفى مختارات البارودى : « صارت » .

كيفَ لم تَلبَس السِّوارَ حُلِيًّا ... فى يدٍ أُولعت بكشفِ الكرب

قَرَّ عينا بمهرجانٍ وعيـــدٍ ... أتحفا بالحبيبِ نفسَ المحبِّ

لم يُطقْ واحدٌ قضاءَ أياديـ ... ـك فوافاك مستغيثا بِتِرْبِ (١)

حَوْلُ هذا مستوفِزٌ لرحيـــلٍ ... وثناءٍ، وطَوْلُ هـذا لقُربِ

جُمعا فى غِـــلالةٍ (٢) نسجِ "أيلو ... لَ" (٣)؛ لها رقّةُ الفؤاد الصبِّ

فتلقَّ السرورَ من كلّ وادٍ ... وتملَّ النعـــيمَ من كلّ شِعْبِ (٤)

كلّما جادت الليالى بمنٍّ ... منه صابت أيامُهنّ بضربِ

لستُ فيـه أُهدِى هديّةَ مثلى ... بل هداياىَ شكرُ عبـــدٍ لربِّ

أنا لولاك لم أحُكْ بُردةَ الشِّعـ ... ـر ولا كان لؤلئى للثَّقبِ

غـــيرَ أنى إذا زجرتُ القوافى ... فيك خبَّت على طريقٍ لَحَبْ (٥)

والمديحُ العتيقُ (٦) للعِـــرض واقٍ ... والمديحُ الهجينُ (٧) بعضُ الثَّلبِ

قلَّ نفعى بما حويتُ فيا ليـ ... ـتَ ذوى الجهلِ يستبيحونَ سَلْبِى

أنظُر المنهـــلَ المصفَّقَ مَورو ... دًا (٨) فأطويهِ جازئا (٩) بالرَّطْبِ

لِمَ يستنزلُ الزمانُ جدودى ... وهى من عزِّك المنيع بهَضْبِ (١٠)

---

(١) التِّرب : من يولد معك فى سنك . (٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .
(٣) أيلول : اسم شهر من شهور السنة الرومية . (٤) الشعب : الطريق فى الجبل . (٥) اللحب : الواسع الواضح . (٦) العتيق : الكريم . (٧) الهجين : غير الأصيل .
(٨) جازئا : مكتفيا . (٩) الرطب : العشب الأخضر . (١٠) الهضب : الجبل .

أتُرانى مثلَ الكواكب، أبطا ... هُنَّ سيرا مادار حولَ القُطبِ!

إنها عَقْبةٌ لضيقٍ تجلّى ... ثم تُفضى الى مجالٍ رَحبِ

* * *

وقال يمدحه :

ما فاز بالحمدِ ولا نالَهْ ... من عشقتْ راحتُه مالَهْ

لا والذى يرضَى لمعروفهِ ... أن يفتح السائلُ أقفالَهْ

تِرْبُ المعالى من له فى النَّدَى ... بادرةٌ تُخرِسُ سُؤّالَهْ

بفاجئ الراجى بأوطارِه ... كأنّه وسوَس آمالَهْ

مُنْيتُهُ للطارق المجتدى ... أن يدرُجَ الأرضَ فتُطوَى لَهْ

مثل "عميدِ الدولةِ" المرتقِى ... بحيثُ أرسَى المجدُ أجبالَهْ

ذو الرأى قد شدَّ حيازيمَهُ (١) ... يصارع الدهرَ وأهوالَهْ

اذا عَرا خطبٌ تصدَّى له ... يوقدُ فى جُنحيْه أجذالَهْ (٢)

مُصيبُ سهم الظنِّ لا ينطوى ... غيبُ غدٍ عنه اذا خالَهْ

كأنَّ فى جنبيه ماويّةً (٣) ... تريه مما غاب أشكالَهْ

بازلُ عامين ارتضَى وخدَه (٤) ... فى طَرْقه العزَّ وإقبالَهْ (٥)

---

(١) حيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر، أو ما يشد عليه الحزام . (٢) أجذال : جمع جذل وهو أصل الشجرة وغيرها . (٣) الماوية : المرآة . (٤) البازل : الجمل المسن .
(٥) كذا بالأصل ، ويحتمل أن تكون « وإرقاله » معطوفة على قوله : وخده ، والوخد والإرقال : ضربان من السير السريع .

لا يشهـدُ المغـنمَ إلا لكى (١) يقسِمَ فى الغازين أنفـالَهْ

إذا زعيمُ الجيش حامَى عـلى (٢) مِرباعـه أنهبَ أمـوالَهْ

فعـادةُ الجـود وإسرافُـه قد كثّرا بالشكر إقـلالَهْ

سامٍ اذا تِهتَ عليه وإن (٣) وادعتَـه طأطأ شِمـلالَهْ

كأنما أقسمَ حبُّ العـلا عليـه : أن يُتعِب عُـذّالَهْ

فلا ينُـوا عنـه عتـابا ولا (٤) أقوالهُـم تزجُـر أفعـالَهْ

كم قد عرَتْه من يدٍ أتلفتْ درهمَـه فيـه ومثقـالَهْ

خرَّفَ حتى حقـروا عنـده (٥) مَنْ وزَن المالَ ومَن كالَهْ

مشتبهُ الأطرافِ ، أعمـامُهُ (٦) يظنُّها القـائفُ أخـوالَهْ

إن جذَب الفخرُ بأبرادِهـم (٧) فكلُّهـم يسحبُ سِربالَهْ

فى كلِّ جمعٍ صالحٍ هـاتفٌ ما يأتـلِى يضربُ أمثالَهْ

أما ترى الرقشاءَ فى (٨) كفِّه (٩) كأنها سمـراءُ (١٠) ذبّالَهْ!

اذا تثنَّتْ فـوق قِرطاسِها رأيتَها بالفضـلِ مختـالَهْ

---

(١) الأنفال : الغنائم . (٢) المرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .

(٣) الشملال : الناقة السريعة الخفيفة ، والمعنى أنه ينيخها كناية عن تواضعه لمن يوادعه . (٤) ينوا : يفتروا . (٥) كذا بالأصل ولعلها « خرق » بمعنى توسع فى العطاء . (٦) القائف : الذى يعرف النسب بفراسته . (٧) أبراد : جمع برد وهو الثوب . (٨) الرقشاء : الحية — والمراد بها القلم على التشبيه — . (٩) يريد بالسمراء قناة الرمح . (١٠) ذبالة : دقيقة .

فتـارةً تشـفِى بدِرياقِهـا وتارةً بالسُّـمِّ قتّـالَهْ

ينفُثُ فى أطرافِهـا رُقيـةً تعـالجُ الـعِىَّ وأغـلالَهْ

قد صيَّرت "سحبانَ" فى "وائلٍ" (١) كأنّـه عجـماءُ صلصالَهْ

لا رجعتْ نُعماه حَسرَى كما راجعَ هـذا القلبُ بلبالَهْ

عاودَه من دائه نَكسُهُ من بعد أن شارف إبلالَهْ

ولو صحا طـورا لعنّفتُـه فى حبّـه بيضاءَ مِكسالَهْ،

أو رشأً قـد لثّمـوا وجهَـه فجاء مثلَ البدر فى الهالَهْ

أبعْـدَ ما عمّم كافورُهُ رأسى وأعفَى الرأسُ صَقّالَهْ؟،

أجيبُ طيفا زار، عن زورةٍ وأسأل الربـعَ وأطـلالَهْ

ويطرُدُ التحصيلَ من خاطرى صهباءُ أو صـفراءُ سلسالَهْ

وليس خِدْنى بالهِـدانِ (٢) الذى هجوعُـه يألفُ آصالَهْ

لا يترجَّى الضيفُ إمراعَـهُ ولا يخـاف الجـارُ إمحالَهْ

لكنّه الأشعثُ (٣) فى سِربِهِ يحـدو إلى العلياء أجمالَهْ (٤)

ببيت ضبِّ القاع من خوفِهِ مستثفرا (٥) دهماءَ شـوّالَهْ

---

(١) العجماء : البهيمة ، والصلصالة : المصوتة .

(٢) الهدان : الوخم الثقيل .

(٣) الأشعث : المغبر شعر الرأس .

(٤) أجمال : جمع جمل وهو معروف .

(٥) مستثفرا : أى واضعا تحت ذنبه ، والدهماء الشوالة : العقرب ، لأنها تشول بذنبها أى ترفعه . وتزعم العرب أن الضب يستثفر العقرب فاذا أدخل الحارش يده فى جحره لصيده لسعته .

أشهَى له من قَينـــةٍ مطربٍ (١) عناقُـــهُ جرداءَ (٢) صَـــهَّالَهْ
قـــد عاشر الوحشَ بأخلاقه وباين الحيَّ وجُهَّـالَهْ
كلٌّ له فى ســـعيهِ مَذهبٌ وكلُّ عيشٍ فـــله آلَهْ
وهذه الأيامُ إن حُقِّقت شرّابَـــةٌ للخـــلقِ أكّالَهْ

* * *

وقال فيه ولم يتمها :

أكرِمْ بوجه الراكبِ المُعنِقِ (٣) يخـــبرُنا : أنّا غدًا نلتـــقِ
حجـابُ قلبى فُـزْ بهِ خلعـــةً فتحفـــةُ البشرَى على الشـــيِّقِ
تُراهُمُ زمّوا بحمـــلِ الصَّـــدَى رسالةَ العـــانى الى المطـــلَقِ؟
واستفهموا الطيف وقالوا له : تعـــلَمَ (٤) من عشّاقِنا مَـــن بقِ؟
أنا الذى ضمّتْ غداةَ "النقا" حبـــائلُ الأسرِ ولم أُعتـــقِ
وكلّما أثبتَ راميهـــمُ أسهمَـــه قلتُ له : فَـــوِّقِ (٥)
ما أحذقَ الطاهى الذى عندكم أنضـــجَ بالنـــار ولم يُحـــرِقِ
ليس الحَمَى إلا بُســـكّانِه والشـــمسُ منها بهجةُ المَشرِقِ

---

(١) القينة : المغنية . (٢) الجرداء : الفرس قصيرة الشعر . (٣) المعنق : الذى يسـير العنق وهو ضرب من السير السريع . (٤) يريد : أتعلم فحذف حرف الاستفهام .
(٥) فوق السهم : سدّده .

على عَقْرِ البُدْن[1] إن أصبحت خيامُهم وهى رُبَى "الأبرقِ"
مثـــل الأَداحىّ[2] و بيضاتُها تُحضنُ بالأبيضِ والأزرقِ[3]
يا ماتحَ الماءِ[4] عِدمتَ الرِّوَى من جَفْرِ[5] هذا القَلبِ كم تستقِى ! !
من شيمة الماءِ انحدارٌ فلِمْ ماءُ فـؤادى أبدا يرتـقِ
تحسبُ فى أجفانىَ السُّحبَ أو جودَ "عميدِ الدولة" المغـدقِ

* * *

وقال فيه أيضا :

لستُ أقضِى إذا رأيتُـك نَذرا غيرَ نثرى عليـك حمـدا وشـكرا
وثنـاءً إذا تلقَّطـه السمـ ـعُ تحـلَّى فى موضع القُـرط[6] دُرّا
مالىءُ قلبَ من يواليـك إطـرا با وأُذنَ الذى يعـاديك وَقْـرا[7]
ليس لى من فضيلةٍ فيـه إلا أننى أُلبِس القـلائدَ نحـرا
أتـلقَّ بحسن أخلاقـك الغُـ ـرِّ شـبيهاتهنّ وجهًا أغرّا
فكأنى إذا تمضمضَ بالمـد ـح لسـانى أديرُ فى الفمِ خمـرا
كلُّ هـذا جَهـدُ المقلِّ وما قـ ـصَّر من يبتنى لمجـدك ذِكرا

---

(١) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدّم للنحر . (٢) أداحى : جمع أدحى وهو مجثم النعامة تبيض فيه . (٣) الأبيض والأزرق : يراد بهما ريش جناحى النعامة . (٤) الماتح : مستخرج الماء من البئر . (٥) الجفر : البئر الواسعة . (٦) القرط : الحلق .
(٧) الوقر : الصمم .

لا يزور الرقادُ عينا إذا سِـــرْ ... تَ ولا يسكن الفؤادُ الصـــدرا

كيف لا تقشعِرُّ أرضٌ إذا أعـ ... ـرضتَ عنها وآستأنستْ بك أخرى

تستطيل الأوقاتَ حتى ترى السا ... عةَ حَوْلا وتحسَب اليـــومَ شهرا

لو أطاقت سعيا إذا زُلتَ عنها ... لغدت فى أوائل الركب حسرى (١)

أنت روحٌ لها ولا يعـمُر الجثـ ... ـمانُ إلا ما دام للروح وَكرا

إنما تعـــدَم البِـــلادُ متى غبـ ... ـتَ ضياءَ الآفاق شمسًا وبدرا

وسحابا للجـود يرعُـــد وعـــدا ... ثم يَنـدَى كفًّا ويَبرُق بِشرا (٢)

فاذا ما أقمتَ أصـــبحنَ خُضرا ... واذا ما ظعنتَ أمسين غُـبْرا

نغفِـرُ الصـــدَّ للحبيب ولا نقـ ... ـبلُ منـــه عـــلى التباعُد عُذرا

يتمنَّى المحبُّ قـــربا ووصـــلا ... فاذا فاتَه فقـــربا وهجـــرا

لا ترُعنا بغُـــربةٍ بعـــدُ، (٣) إنّا ... ليس نُعطَى على التفرّق صـــبرا

إن ســـقانا إيابُك اليـــومَ حُلوا ... فبما أسقت النـــوى أمسِ مُرّا

غـــيرَ أنّا إذا الســـلامةُ حاطتـ ... ـك وسِعنا الزمانَ عفـــوا وغَفرا

---

(١) حسرى : معيية .

(٢) فى الأصـل : « نشرا » .

(٣) فى الأصل « لا شرعنا بعزمة » والسياق بها غير ملتئم .

* * *

وقال يمدحُه، ويهنِّئه بعَوده من خراسان، وهى آخرُ شعرٍ قاله رحمه اللهُ :

ما ذا يَعيبُ رجالُ الحىِّ فى النادى ... سوى جنونى على أُدمانةِ(١) الوادى؟!

نَعْم هى الزادُ مشغوفٌ بهِ سَغِبٌ(٢) ... والماءُ حامت عليه غُلَّة الصادى

يا صاحبى أنتَ يومَ الرَّوع تُنجْدنى ... فكيف يوم النوى حرَّمتَ إنجادى

وما سلكتُ لِفاج الحبِّ معترما ... حتى ضمِنتُ ولو بالنفس إسعادى

من أين تعلَمُ أنّ البينَ وخزتُه ... فى القلبِ أسلمُ منها ضربةُ الهادى(٣)!

لادَرَّ دَرُّك إن ورَّيتَ عن خبرى ... إذا وصلتَ وإن أشمتَّ حُسّادى

قُلْ للقيمين "بالبطحاءِ" إنَّ لكم ... "بالرقمَّتين" أسيرا ما له فادى

بين العواذل تطويه وتنشُره ... مثلَ المريضِ طريحا بين عُوَّادِ

ليتَ الملامةَ سدَّت كلَّ سامعةٍ ... فلم تجد مسلَكا أُرجوزةُ الحادى

أكلِّف القلبَ أن يهوَى وأُلزمه ... صبرا، وذلك جمعٌ بين أضدادِ

وأكتُم الركبَ أسرارى وأسألهم ... حاجاتِ نفسى، لقد أتعبتُ رُوّادى

هل مدلجٌ(٤) عنده من مُبكرٍ خبرٌ ... وكيف يعلم حالَ الرائح الغادى؟

وإن رويتُ أحاديثَ الذين نأَوا ... فعَنْ نسيم الصَّبا والبرقِ إسنادى

---

(١) الأدمانة : الظبية التى أشرب لونها بياضا .
(٢) السغب : الجائع .
(٣) الهادى : العنق .
(٤) المدلج : السائر بالليل ، والمبكر السائر فى بكرة النهار .

قالوا: تعوّضْ بغزلان "النقا" بدلا ... أمقنعى شِـبْهُ أجيادٍ لأجيـاد؟

إن الظبـاءَ التى هام الفؤادُ بهـا ... يَرعَينَ ما بين أحشاءٍ وأكبادِ

سَكَنَّ من أنفس العُشّاق فى حَرَمٍ ... فليس يطمع فيهـا حبلُ صـيّادِ

هيهات لا ذقتُ حُلوا من كلامكمُ ... قـد بان غدركُمُ فى وجه ميعادى

ولا جعلتُ اللّمى وِرْدى وقد ضمنتْ ... غمامةُ الجود إصـدارى و إيرادى

فى "شَرَف الدّين" عن معروفكم عِوضٌ ... كرامةُ الجارِ والإيثـارُ بالزادِ

للطارقِ الحكمُ فى أعناقِ هَجمتِـه (١) ... ولو تقرّاه (٢) ذئبُ الرَّدهـةِ (٣) العادى

نادتْ: هلمَّ الى الشِّيزَى (٤) مكارمُهُ ... فُنُبَن فى الليـلِ عن نارٍ ووقّادِ

يَشفِين من قَرِمِ (٥) الضِّيفانِ عند فتًى ... لا يزجُرالسيفَ عن عُرقوبِ (٦) مِقحادِ

مباحُ أفنيةِ المعـروفِ ليس له ... بابٌ (٧) يعـالجه العـافى بمِقـلادِ

فلا وكاء (٨) على عينٍ (٩) ولا ورقٍ ... ولا رِعاء (١٠) لأزرابٍ (١١) وأذوادِ (١٢)

أجدَى فلم يرَ ذُخرا فى خزائنـه ... إلا قناطيرَ من شكرٍ وإحمـادِ

فى كلّ يومٍ يُرينـا من مواهبـه ... بِرًّا غريبا وفضـلا غيرَ مُعتـادِ

---

(١) الهجمة: من الإبل ما بين الأربعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى "هنيدة".
(٢) تقراه: طلب قراه. (٣) الردهة: النقرة فى الصخرة. (٤) الشيزى: القصعة. (٥) القرم: شدّة النهم الى أكل اللحم. (٦) المقحاد: الناقة العظيمة السنام. (٧) المقلاد: المفتاح. (٨) الوكاء: حبل تربط به القربة.
(٩) العين والورق: الذهب والفضة. (١٠) رعاء: جمع راع. (١١) أزراب: جمع زرب وهو موضع الماشية. (١٢) أذواد: جمع ذود وهى الإبل.

شريعةٌ فى النّدى ضلوا فدلّهمُ ... على مناهجها خِرّيتُها(١) الهادى

قاضى اللُّبانةِ لم يفطِن لها أملٌ ... كأنّه لهوى العافى بمرصادِ

له قِبابٌ بطيب الذكرِ شيّدها ... فما دُعِمنَ بأطنابٍ وأوتادِ

يا بحرُ إن شئتَ أن تحكى مواهبَهُ ... فدع مَخُوفَيْكَ من هَيْج وإزبادِ

قد ساجمَ(٢) العارضَ(٣) الهامى وزايدَه ... حتى آستغاث بإبراق وإرعادِ

لله أىّ زلالٍ فى مزادتِهِ(٤) ... والظِّمءُ يَخلِطُ فُرّاطا بُوُرّادِ

أُنظر اليه ترى من شأنِهِ عجبا ... زِىَّ الملوك على أخلاقِ زُهّادِ

إن قال قومٌ : له مِثلٌ، يقلْ لهُمُ ... من ماثلوه به : جئتم بإلحادِ

لا تكذُبنَّ فهذا الشخصُ من نفرٍ ... لم يخلُقِ اللهُ منهم غيرَ آحادِ

شرائطُ المجد كلٌّ فيه قد جُمعتْ ... جمعَ حروفِ النهجّى فى "أبى جادِ"

أرِحْ بنانَك من حُسبانِ سؤدده ... إن الكواكبَ لا تُحصَى بأعدادِ

وهل يفوت المعالى من أحاط بها ... بنفسه وبآباءٍ وأجدادِ؟

اذا الفخارُ رمَى الفُتيَا الى حَكَمٍ ... وافَى ينافر أمجادا بأمجادِ

على المهابةِ قد زُرّت بنائقُه(٦) ... كأنّه لابسٌ لِبداتِ آسادِ

---

(١) الخريت : الدليل . (٢) ساجمه : عارضه فى انسجامه . (٣) العارض : السحاب المعترض . (٤) المزادة : وعاء يحمل فيه الماء . (٥) فراط : جمع فارط وهو الذى يتقدم القوم الى الورد لإصلاح الحوض . (٦) البنيقة : زيق القميص الذى ينفتح على النحر .

لذاك صُـــعِّر خـــدٌّ غيرُ منعفرٍ ... له وخرَّ جبينٌ غـــيرُ سجّادِ

تطأطأ المجـــدُ حتى صار فارسَـــه ... ثم اشمخرّ فـــلم يلطأ لصـــعّادِ (١)

فكيف لا ترهبُ الأعداء نقمتَه ... و بطشُها كصنيع الريح فى "عادِ"

صوارمٌ من صواب الرأى يطبعها ... وصانعُ المكرِ يكسوها بأغمادِ

اذا انتُضِينَ وما يَظهرنَ من لَطَفٍ ... فرّقن ما بين أرواح وأجسادِ

وللكايد ســـيفٌ غـــيرُ منثلمٍ ... وللخـــدائع رمحٌ غـــيرُ منآدِ (٢)

فى أيِّما جانبٍ من حزمِه نظـروا ... لم يجـــدوا مطلعا فيـــه لأفنـادِ (٣)

تخافُ عزمتَه الإبلُ التى خُلقتْ ... أخفافُهنَّ لتهجـــيرٍ وإسآدِ (٤)

وتتقيـــه العِتـاق القُبُّ سـائمةً ... تطويحَها بين أتهـامٍ وأنجادِ (٥)

أليس ناظمها عِقـــدا له طَرَفٌ ... "بالرىّ" والطرفُ الأقصى "ببغدادِ"

مكلّفات بسـاطَ الدوّ تمسَحه ... بأســـؤقٍ و بأعنـاقٍ وأعضـادِ (٦)

كأنّ آثارَ ماداست حوافرُها ... دراهمٌ بَدَدٌ فى كفِّ نقّادِ (٧)

طورا تَسـامَى على يافوخِ شاهقةٍ ... بها السمواتُ ظُنّتْ ذاتَ أعمادِ (٨)

---

(١) يلطأ : يلصق بالأرض . (٢) المنآد : المثنى . (٣) أفنـاد : جمع فنـد وهو الكذب . (٤) التهجير : السـير فى وقت الهجيرة ، والإسآد : السـير بالليـل . (٥) القب : الخيل الضامرة البطون ، واحدها أقب وقباء . (٦) الدوّ : المفـازة . (٧) بدد : متفرقة . (٨) اليافوخ : الموضـع الذى يتحرك من الطفل فى أعلى الرأس .

وتارةً ترتمى فى صفصفٍ (١) قُـذُفٍ (٢) للآلِ (٣) يُكذَب فيـــه كلُّ مُرتادِ

حتّى شَتَيْنَ "بنيسابورَ" باليـــةً إلا عِظـاما مُواراةً بأجـــلادِ

فى شَـتوةٍ شَمِطَ الليـلُ البهيمُ بها تُضاحِك الريحَ ماهبَّتْ بصَـــرَّادِ (٤)

كأنَّ فى أرضها أنْسَـاجَ قِبْطِيَـــةٍ (٥) أو السماءَ آســتعارت بَرْسَ نَجَّادِ (٦)

يا من يشاوِرُ فى قُربٍ وفى بُعُـدٍ ومن يُعَـــدُّ لإصلاحٍ وإفسـادِ،

إن الامامَ مذ آسترعاك دولتَـهُ غَنِى برأيك عن تجهيزِ أجنـادِ

إن مرِضَتْ ليـلةً عُمِّى كواكبُها قـدحتَ فيها بزَندٍ غيرِ صَـلَّادِ (٧)

فهذه الأرضُ قد عَجَّت بدعوتِه، فى كلِّ قُطرٍ خطيبٌ فوق أعوادِ

عـونٌ من الله لم يَشهد وقيعتَـه إلا كتائبُ توفيـقٍ وإرشادِ

وحسنُ تدبـيرك المُردِى أعاديَهُ مقـرَّنين (٨) بأغـــلالٍ وأصـــفادِ

فأىُّ فـــظٍّ عليهـا غيرُ منعطفٍ وأى صعبٍ حرونٍ غيرُ منقادِ

وفى "خراسانَ" قد شِيدتْ مآثره أرَّخَهـا صيتُها تاريخَ ميـــلادِ

بين الخليفـةِ والمَلْكِ المطيعِ له أبـرمتَ وصـــلةَ أولادٍ لأولادِ

---

(١) الصفصف : المطمئن من الأرض . (٢) قذف : بعيد يتقاذف بمن يسلكه .

(٣) الآل : السراب ، وفى الأصـل « الأهل » وهو تحريف ؛ و يكذب : يسوء سـيره .

(٤) الصراد : الريح الباردة . (٥) القبطيـة : ثياب من كتان تنسـج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس . (٦) البرس : القطن . (٧) الصلاد : — من الزناد — غير الموري . (٨) مقرنين : مشدودين بالقرن وهو الحبل .

شمسٌ وبدرٌ لويتَ العَقـدَ بينهما ... لولا الشريعـةُ لم يـوثَق بإشهادِ

فليس كالصِّهر فى سهلٍ ولا جبل ... وليس كالحمـو فى حَضْرٍ ولا بادِ

فياله شـــرفا أحرزتَ غايتَـــه ... فلم تدع فضـــلةً فيـــه لمرتادِ

وما بلوغُـــك فى العليـاء آخرَها ... بمـانعٍ كَرَّةَ المســـتأنِف البادى

تسومنى أن أُنـير(١) القولَ فيك وما ... يُغنى المرقَّشُ(٢) من تفـويف(٣) أبرادِ

بل كلُّ مدحِك أمرٌ ليس من حِيلى ... وكُنهُ وصفك ثِقلٌ(٤) ليس فى آدى

إنَّ القوافى و إن جاشت غواربُها(٥) ... لا يُستطاع بها تحـويلُ أطوادِ

فإن رضيتَ بميسـورى فهاءِ حُلًى ... مَصُوغة بين أفكارى و إنشادى

فلن تعوزَ يدَ الغوَّاص من صدفى ... فـريدةٌ وُسِّطتْ فى سِلك عقَّادِ

أُعابُ بالشـعر لا أبغى به عِوضا ... ولا يُعـاب أناسٌ غيرُ أجـــوادِ

لكنّنى فى أناسٍ إن سألتُهُـمُ ... لم يعرفوا الفرق بين الظاء والضادِ

ما دمتَ سمعا وعينا فى الزمان لنا ... فكلُّ أيامِـــه أيامُ أعيـاد

* * *

وقال يمدحُ زعيمَ الرؤساء أخاه وهو يتولَّى الديوان :

صـبَّحها الدمـعُ ومسَّاها الأرقْ ... هل بين هـذين بقاءٌ للحَـدَقْ؟!

لا متعـةً بالظـبى عَنَّ غاديا ... ولا خِداعا بالخيـال إن طَـرَقْ

---

(١) أنير : أجعل له نيرا وهو هدب الثوب ولحمته ، فاذا نسج من نيرين كان أصفق . (٢) المرقش : المزخرف . (٣) التفويف : تخطيط الثوب . (٤) الآد : القوة . (٥) الغارب : معظم الماء .

إن ضحك البرقُ من "الحَزْنِ" رنا ... أو فاحت الريحُ من "الغور" نشِقْ

كم ذا على التعليل تحيا مهجةٌ ... بمُديتَيْ بينٍ وهجرٍ تُعترَقْ (١)

ليت الذى عذّبَ إذ لم يُعفِه ... من مسّه بالضُّرِّ وانَى ورَفَقْ

ميّالةَ الأعطافِ، ما فاتكِ من ... غصونِ بانات "الحمى" إلا الورَقْ

لو ثبتَ السهمُ الذى أرسلتِه ... فى القلبِ وافقتُكِ لكن قد مرَقْ

جمعتم السرّاءَ والضرّاءَ لى ... فأنتمُ كالماءِ رِىٌّ وشَرَقْ

كان اتفاقا ولَعى بسربكم ... وشرُّ أحداثِ الليالى ما اتفقْ

لم أدرِ أنّ من حُداة ظُعْنِكم (٢) ... أو سائقيهنّ غرابا قد نغقْ

هبْ أنّ طَرفى أسرَته بينكم ... حبائلٌ، فانظر عُيَيْناتِ الخَرِقْ (٣)

وخُذْ لمن عَنَيْتُ منّى سِمةً ... لألأةَ البدر إذا البدرُ اتسقْ (٤)

ولا تعرَّضْ لعلاجى إنما ... يَشفِى من الحبِّ الذى يَشفِى الوَلَقْ (٥)

علَّ الغرامَ نازلٌ عن صهوتى ... إن لِمّتى الدهماءُ شِيبت بالبَلَقْ (٦) (٧) (٨)

يصنَعُ لونُ الشَّيبِ بالشباب ما ... يصنع بالجلدةِ توليعُ البَهَقْ (٩) (١٠)

---

(١) تعترق : يؤخذ ما عليها من اللحم نهشا . (٢) ظعن : جمع ظعينة وهى الإبل التى يحمل عليها . (٣) الخرق : ولد الظبية . (٤) اتسق : انتظم واستوى . (٥) الولق : الجنون . (٦) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٧) الدهماء : السوداء . (٨) البلق : سواد وبياض . (٩) التوليع : البرص . (١٠) البهق : بياض يظهر على بشرة الجسد .

قلتُ : ظـلامٌ طلعتْ أنجُمُـهُ فما آعتذارى إن بدا ضوءُ الفَلَقْ (١)

أليس بَردُ اليأسِ لو وَسـعتُه أطفأَ من تسـويف آمالى حُرَقْ (٢)

مهلا فما دون الأمانى هَضبةٌ تزداد بالحِرص آرتفاعا وزَلَقْ

لو جُلتَ حولَ الفلَك الدّوّار لم يزددْ نقـيرا فوق ما اللهُ رزَقْ (٣)

عش بطفيفِ القوتِ سَدّ جَوعةً والقطرةِ الكدراء والثـوبِ المِزَقْ (٤)

وساوِ ربَّ التـاج فى سـلطانهِ من يُعتِـق الأطماعَ منهنّ عَتَـقْ

وعاشر النـاسَ بلا تصـنُّع لا جفوة الهَجرِ ولا زُور المَـلَقْ

وآدعُ "زعيمَ الرؤساء"، يستجِبْ أروعُ نهّـاضٌ بما جلَّ ودقّ

لا تطمع الأنفـالُ (٥) أن تؤودَه (٦) والدرُّ فى اللُّجـة لا يخشَى الغـرَقْ

أضحت صروفُ الدهر فى سطوتهِ ملزوزةً (٧) لـزَّ البِطان (٨) بالحِـلَقْ (٩)

معتـدل الشيمة حتى إبْـلُه سِيرتُها بين الرسـيم (١٠) والعَنَـقْ

لا شَـيبة الحـلم كسته ونيـةً (١١) ولا شبابُ السنّ أعطاه التّرَقْ

---

(١) الفلق : الصباح — والمراد من كل ما تقدّم وصف آشتعال الرأس بالشيب .

(٢) وسعته : أطقته . (٣) النقير : النكتة فى ظهر النواة . (٤) المزق : جمع مزقة وهى القطعة من الثوب ، و يقال : ثوب مزق باعتبار أجزاءٍ . (٥) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن تكون "الأثقال" ؛ والأنفال : جمع نفل وهو ما يفعل مما لا يجب فعله من العطاء .

(٦) تؤوده : تثقله . (٧) ملزوزة : ملاصقة . (٨) البطان : حزام القتب يجعل تحت بطن الدابة . (٩) حلق : جمع حلقة وهى كل ما استدار . (١٠) الرسيم والعنق : ضربان من السير . (١١) الونية : الفتور والضعف .

قُضِى لـــه بالســـبق فى وِلاده ... والمهرُ بالعِـتق يُرى فيـه السبَقْ

رقَى المعـالى رتبـــةً فرتبـــةً ... كالعِقـد يعلو نظمه على نســـقْ

يبسِم بِشـــرا مازجتْه هيبـــةٌ ... تطلُّعَ النَّصلِ (١) من الغِمد الخَـــلَقْ

لم تُمطر السحبُ ولكن خجِلتْ ... من جوده حتى نضحن بالعَـــرَقْ

وأينَ منها راحـــةٌ مَصيفُها ... مثـلُ الشتاء يهمُر الماءَ الغـدِقْ

كالخمـر للشارب كيف شاءها ... تصـــرَّفت مصطبَحا ومغتبَـق

ما زال يُفنى الحمـــدَ بآبتياعه ... حتى غلا فى كلّ ســـوقٍ ونفَقْ

وكلّما أســـرف فى صِفاته ... مادحُه ، قالت معاليه : صـدَقْ

شـــمائلٌ وبهجـــةٌ (٢) مموقـــةٌ ... والحسنُ بالأخلاقِ ثم بالخِـــلَقْ

نصرا "أبا القاسم" قد تبرَّجَتْ ... أمُّ اللُّهيْم (٣) حـاملا بنتَ طَبَـــقْ (٤)

فى مثلها رأيُك أذكَى زَنَدُه (٥) ... أو تنجلى عنها دُجُنّات (٦) الغَسَـــقْ

ســـهلٌ على رأيك وهو ساحرٌ ... تقويمُ ما آعوجّ ورتقُ ما آنفتقْ

قد أمكنتك فآنتهزها فرصـــةٌ ... بالشكر، والشكرُ لذيذُ المعتنَقْ

"بنى جَـــهيرٍ" أنتمُ دِرعى، إذا ... رمَى الزمانُ بدواهيـه رشَـقْ

رميتُ من دون الأنام مِقودى ... إليكمُ طوعا وقطَّعتُ العُـلَقْ

---

(١) النصل : حد السيف . (٢) مموقة : محبوبة . (٣) أم اللهيم : الداهية .
(٤) بنت طبق : الداهية أيضا — والمعنى أن الداهية تستتبع الداهية . (٥) أذكى : أنار .
(٦) دجنات الغسق : ظلمات الليل .

فلا أكون بينكم "عُطاردا" لقربه من كُرة "الشمس" آحترقْ

لا رعَت الأحداثُ فى حِماكُمُ ولا رأت نجومُها ذاك الأفُقْ

إن حزتم العليـاء عن آخرها بسعيكم فهو دُونَ المستحقّ

* * *

وقال يمدحُه أيضا، ويهنئه بالنيروز :

وعيشِكم لا وردَ الحُـوَّمُ مناهلا غُدرانُها تبسِـمُ

ولا رعت هُمَّـلُ[1] أبصارِهم فى روضـةٍ نُوارُها أسـهمُ

رويدكم إن الهوى مَعرَكٌ يُعـدَم فيـه الأجرُ والمغنمُ

وإنما تأويلُنا أنّـه يحِـلُّ للمضـطرّ ما يحـرُمُ

إنّ أبيّاتِ النفوس، التى أحلَى مناها الحادثُ الأعظمُ

نفوضُها فى غَمـراتِ الهـوى لأنّـه ينـدُرُ فيها الدَّمُ

من ذا الذى أفتَى عيونَ المها بأنّ ما تُتلِف لا يُغـرَمُ!

ساروا بقلبى دون جسمى فما تنفعنى الجـلدةُ والأعظُـمُ

وآستعذبوا ظلمى فمن أجلهم أستغفر اللهَ لمن يظلِمُ

ما ضرّهم لو سـفَروا ريثما يَقْبَـل عُذرى فيهـم اللـوّمُ

قال لىَ الأحـورُ من بينهـم وما بـه الأجـرُ ولا المـأثمُ: ،

---

(١) الهمل : جمع هامل وهو المتروك فى المرعى ليلا ونهارا .

داؤك هذا مَن جناه ومَن ... يُـبرئه؟ قلتُ : الذى تعـلَمُ!

كم فى خيام البَـدوِ من ظبيةٍ ... سِـوارها يُشـبعه المِعصمُ

حاذرت العَينَ فما إن تُرَى ... وخافت السـمعَ فما تَبـغِمُ (١)

لو فاخرتْ فى الليل بدرَ الدجى ... لكان بالفضل لها يُحكَمُ

لأنها قـد فتنَتْ قومَها ... والبـدرُ لم تُفتَن به الأنجمُ

ما أصـعبَ الإذنَ على منزلٍ ... بوّابُه الخَطّـىّ (٢) واللّهْـذَمُ (٣)

لا بِرِح الوسمىّ (٤) عن أرضهم ... ولا نأَى عن جوّها المِـرزَمُ (٥)

أو أُبصرَ الكُثبانَ (٦) قد ظُلِّلتْ (٧) ... رَقْـما (٨) كما يصـطنع المُحـرِمُ

وبلّـغ اللهُ المـنَى فتيـةً ... نديمُهم فى الصـبح لا يندمُ

عاطيتهـم صهباءَ (٩) داريّةً (١٠) ... قالوا : وأين الصابُ والعلقمُ

عزُّوا فلو تفقِـد أذوادُهم (١١) ... حاميَهـا خفَّرها (١٢) المِيسـمُ (١٣)

---

(١) بغمت الظبية : صاتت . (٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين واليه تنسب الرماح لأنه مبيعها لا منبتها ، يقال رماح خطية على الوصـف ، و رماح الخط على الإضافة — . (٣) اللهذم : القاطع من السيوف . (٤) الوسمى : أول المطر .

(٥) المرزم : كوكب من أنواء المطر . (٦) كثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل .

(٧) فى الأصل « طلت » وهو تحريف . (٨) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز .

(٩) الصهباء : الخمر . (١٠) الدارية : منسوبة الى دارين وهى فرضه بالبحرين يحمل اليها المسك من الهند . (١١) الأذاود : الإبل . (١٢) خفرها : آمنها وحماها . (١٣) الميسم : العلامة يعلم بها الحيوان .

وهى على عزّتها بينهـــم ... يُبغَتُ(١) فيها الفـــذُّ(٢) والتوأمُ

ما تبرح الأكوارُ(٣) معمورةً ... بهم ونيرانُ الوغى تُضرَمُ

سقيًا لهم لو أنّ أُمّاتِهم ... لا تُطعَم الثُّكلَ ولا تُعقَمُ

تودُّ ذاتُ الحمـــل لو أنها ... يـــوما بأمثالهم تُتـــئِمُ(٤)

فلست أدرى أُنجبوا شيمـــةً ... أم شِنشِنٌ(٥) ورّثَهم "أخزمُ"؟!

بل من "زعيم الرؤساء" آقتنوا ... مكارمَ الأخلاق لا منهـــمُ

إن تُسئل العلياءُ عن نفسهـا ... تقلْ : "أبو القاسم" بى أعلمُ!!

قـد أَنزلتْ فيه العلا سُـورةً ... دقّت معانيها فما تُفهـــمُ

كأنّما فى صـــدر ديـــوانه ... "داودُ" فى محرابه يحـــكُمُ

بلاغةٌ من حسن إيضاحهـا ... لا تُشـكل الخطَّ ولا تُعجِمُ

والفصـلُ أن يُنشَرَ قرطاسُـهُ ... وتَنْبَـــهَ المُـــرّيّةُ(٦) النُّـــوَّمُ

إذا تحـــدَّى الغيبَ أفكارُه ... فليس بابٌ دونها مُبهَـــمُ

كُفيتِ يا سُحْبُ(٧) فلا تنصَبى ... حسْبُ الثرى تيّارُه الخضِرمُ(٨)

---

(١) فى الأصل "يعيث" والمعنى بها غير واضح . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) الفذ : الفرد ، والتوأم : ما ولد مع آخر . (٣) أكوار : جمع كور وهو الرحل . (٤) تتئم : تأتى بتوأمين فى بطن . (٥) الشنشن : العادة ، والمثل « شنشنة أعرفها من أخزم » .

(٦) المرية : منسوبة الى مرة بن ذهل أحد أجداد الممدوح لقوله فى موضع آخر :

يابنى مرة بن ذهل أبوكم ... ما أبوكم وجدكم أى جد

— والمراد بهذه النسبة الأقلام — . (٧) تنصبى : تجهدى . (٨) الخضرم : العظيم .

قد علِمَ العُشبُ وضيفُ القِرَى ... أيُّكما فى الأزمةِ الأكرمُ

تطاولى يا هضَباتِ المُنَى ... فهـو الى ذِروتك السُّلَّمُ

محسَّدٌ يغبِط أقلامَه (١) ... على يديه الرمحُ والمِخذَمُ

وما الذى بينَهما جامعٌ ... هذان بؤسَى ، وهما أنعمُ

ليس بمحتاجٍ إلى شِكَّةٍ (٢) ، ... سلاحُه من ذاته الضيغمُ (٣)

إنّ قِداح النَّبع مبرّيةً (٤) ... لغير مَن وقْصَتُه شَيْهَمُ (٥) (٦)

وهو إذا هزَّ قنَا كيدِهِ (٧) ... شاطَ عليها البطلُ المعلَمُ (٨)

وقالت الدرعُ لمُجتابها (٩) : ... ما هُزَّ إلا القدرُ المبرَمُ

وما كُلوم الدهر محذورة (١٠) ... ورأيُه الأعلى لها مِرهَمُ

ولو تشاءُ اصطنعت خيلُه ... وليمةً يَشهدُها القَشعَمُ (١١)

قد صُبغتْ بالنقع ألوانُها (١٢) ... فاشتبه الأشهبُ والأدهمُ (١٣) (١٤)

من أُسرةٍ بيت معاليهمُ ... يزوره الكافرُ والمسلمُ

مستلَمُ الأركان ، طُوّافُهُ ... بحمدهم لبَّوا كما أنعموا

---

(١) المخذم : السيف القاطع . (٢) الشكة : السلاح . (٣) الضيغم : الأسد .

(٤) النبع : شجر تتخذ منه السهام . (٥) الوقصة : دق العنق وكسره . (٦) الشيهم : القنفذ الذى عظم شوكه . (٧) شاط : هلك . (٨) المعلم : المميز بعلامة تبينه .

(٩) المجتاب : اللابس ، وفى الأصل : « لمحتابها » وهو تصحيف . (١٠) كلوم : جمع كلم وهو الجرح . (١١) القشعم : النسر الكبير . (١٢) النقع : غبار الحرب .

(١٣) الأشهب : الجواد الأبيض . (١٤) الأدهم : الجواد الأسود .

شُـــيِّد بالإحسان بنيانُهُ فكلُّ بيتٍ غيرَه يُهـــدَمُ

يزدحِم الوفـــدُ بأرجائه فعامُهـــم أجمعـــه مَوسِمُ

لـــو نحتَتْ صخـــرتَه آلةٌ لاستُنبِطتْ فى تُربهِ "زمزمُ"

يا خاتم الأجواد قولى الذى به الكلامُ المصطفَى يُختَمُ

بـــدُرِّ أوصافِك أمددتَنى فيـــه فما بالِى لا أنظِـــمُ؟!

تحيّـــة "النيروز" مفروضة بقـــدرِ ما يملِكه المعـــدِمُ

تُهدَى إلى مثلك فى مثله الـ ـأشـــعَارُ لا الدينارُ والدرهمُ

* * *

وقال يمدحُه فى العيدِ والمِهرَجان :

نظرتُ ولم أبغ إلا شـــفائى فداويتُ سُـــقما بداءٍ عَيـاءِ

تراءت وبرقُعها كفُّها لعينٍ مبرقَعـــةٍ بالبكاءِ

فكانت لنـا فتنـةً ضوعفت بحسن المغطَّى وحسنِ الغِطاءِ

تقـــول وقـــد لُمتُهـا فى البعا دِ: هل تسكن الشمسُ غيرَ السماءِ؟

وما زال تَسبى - وما إن ترا كَ - قلوبَ الرجال جسومُ النساءِ

وما زلتُ أجزَع من بينهـــم فعلَّمنى الصـــبرَ طولُ الجفاءِ

وإنّىَ من لاعجـاتِ الهـوى (١) على مثل صدرِ القناة انثنائى

(١) اللاعجة : الحرقة .

أصـــومُ وما ماؤكم للـــورودِ وأعشـــو وما ناركم للصِّـــلاءِ

ومن يَصْدَ(١) يخدعْه لمعُ السرابِ ويَغـــرُرْهُ خُلَّبُ برقٍ خَـــواءِ(٢)

ولله موقفُنـــا ، والعتـــا بُ يُنبتُ فى الخدِّ وردَ الحياءِ!

وقد أترع الحسنُ فيـــه غديرا إليـــه ورود العيـــون الظِّماءِ

وطَـــرفٍ يتبعُ هُوجَ(٣) الرياحِ عساهنَّ يرفعن سِجْفَ(٤) الخباءِ(٥)

أتنجو بجسـمك فوق الركاب وتنبِـــذُ قلبَك بين الظِّباءِ؟

وعهـدى بحلمك لا يُستطار برسمٍ مُحيـــلٍ وربعٍ قِـــواءِ(٦)

تَلَفَّتُ عن لَعَسٍ "بالحمى" وتُعرِضُ عن كَحَلٍ "بالحواءِ"

ولولا خيـانة لونِ العـــذارِ لبعتُ عُلوقَ(٧) الهوى بالغـــلاءِ

وربَّ ليـالٍ سحبتُ الشبابَ بأعطافهنَّ كسَحْبى ردائى

فلو كنتُ أملِك أمرى اشتريـ ـتُ ذاك الظلامَ بهذا الضياءِ

وقالوا : أصبتَ بعصرِ الصِّبا ومن لم يشِـــبْ لم يفُز بالبقاءِ

وما منبِتُ العـزِّ إلا ظهـــورُ نواعجَ(٨) منعَـــلةٍ بالنَّـــجاءِ

يخلِّفن خلفِىَ دارَ الهوان مُناخا ومضْطَرَبا للبِطاءِ

---

(١) يصدى : يعطش . (٢) الخواء : الخالى من المطر . (٣) هوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٤) السجف : السّتر . (٥) الخباء : البيت من وبر وصوف . (٦) المحيل والقواء : العافى . (٧) علوق : جمع علق وهو الشىء النفيس . (٨) نواعج : جمع ناعجة وهى الناقة البيضاء ، والنجاء : السرعة فى السير .

أفـــرُّ بعرضِيَ عمّن ترى (١) من النافقاءِ إلى القاصعاءِ

ولستُ وإن كنتُ ربَّ القريضِ كمن يستجيب القِرى بالعُواءِ

عدمتُ مَعاشرَ لا يفرِقو (٢) ن بين الصّهيلِ و بين الرُّغاءِ

إذا صافحتنى أكفُّ اللئامِ لطمتُ بهن خَدودَ الرجاءِ

وقِدما عصرتُ وجوهَ الرجالِ فلم أر فيهنَّ وجها بماءِ

ولولا الجنابُ "الزعيميُّ" ما مشَى الوعدُ فى طُرُقاتِ الوفاءِ

ولكن بجود "أبى قاسمٍ" عُمرنَ المكارمَ بعد العفاءِ

له فى المعالى انتساب الصريحِ إذا غيرُه عُدّ فى الأدعياءِ

أغرّ تضىء به المكرماتُ وتفترُّ عنه ثغورُ العَلاءِ

وترعَى العيونُ إذا لاحظتْ هُ فى روضِ رونقِهِ والرُّواءِ

إذا شِمتَ بارقَه فالتّلا (٣) عُ تشرق مثلَ حلوق الإضاءِ

من القومِ قد طُبعوا فى الندى على سِكّة الغادياتِ (٤) الرِّواءِ

يعُدُّ ابتياعَ يسيرِ الثناء بجزل العطاء من الكيمياءِ

تدِرّ يداه بلا حالبٍ إذا التمس الزُّبدَ مخضُ السِّقاءِ

---

(١) النافقاء : آخر جحر اليربوع الذى يحفره ولا ينفذه ولكنه يرققه حتى اذا أحس بصيده مرق منه والقاصعاء : أوّل جحره الذى يحفره ، وكان الأحق أن يقول الشاعر : من القاصعاء الى النافقاء .

(٢) الصهيل : صوت الخيل ، والرغاء : صوت الإبل . (٣) الإضاء : الغدران واحدها : أضاة .

(٤) الغاديات : السحب التى تنشأ غدوة .

ويهتزُّ عند هبوبِ السؤال آهـ ـتزازَ الأراكةِ بالجربياءِ (١)

فتُضحي مكارمُه كالمطيّ ونغمةُ سائله كالحُداءِ

خلائقُ من منـدلٍ مُثِّلتْ وزِيدَ عليها بخورُ الثناءِ

يكاد المدامُ وصفوُ الغما مِ يُعصَر من طِيبها والصفاءِ

كأنّ الحُبَى يومَ تَعقادِها عليه، على "يذبُلٍ" أو "حِراءِ" (٢)

يلاقى الخطوبَ اذا مارستْه بباعٍ رحيبٍ وصدرٍ فضاءِ

وعزمٍ كما صفّقت بالجَنا ح شَغواءُ مصبوبةٌ فى الهواءِ (٣)

تراه فتنظرُ عزما وحزما وحلما قد ائتلفتْ فى وِعاءِ

وما أسرَ الطَّرفَ مثلُ امرئ يبارزُ لامحَه بالبهاءِ

عليه شواهدُ منه اغتدتْ عن الشاهدين له فى غَناءِ

وفى رونق السيف للناظرين دليلٌ على حدّه والمَضاءِ

وقد يُعرفُ العِتقُ قبلَ الفرار ويُحكَم بالسَّبق قبلَ الجراءِ (٤)

وما رغبة الركب يهديهمُ ضياؤك فى رايةٍ أو لواءِ

لك الخيرُ من قائلٍ فاعلٍ بنَى بالمكارمِ أعلَى بناءِ

نذرتَ اذا نلتَ هامَ الأمو ر أن لا تُوشِّح بالكبرياءِ

---

(١) الجربياء: ريح الشمال الباردة. (٢) يذبل وحراء: جبلان. (٣) الشغواء: العقاب.

(٤) الفرار: — مثلثة — الكشف عن أسنان الدابة ليعرف كم سنها، وفى الأمثال «إن الجواد عينه فراره» يعنى تعرف الجودة فى عينه كما تعرف سن الدابة اذا فرت أسنانها.

فلو رِزقُ نفسِك أمسى اليك ... لما زدتَها فوق هذا السَّناءِ

ففى كلّ شىء وجدنا مِراءً ... ولم نر فيك لهم من مِراءِ

لذلك حنَّت قَلوصى (١) إليـ ... ـك حتّى أناخت بهذا الفِناءِ

ولولاك كانت كأُرجوحةٍ ... تَقلقَلُ بين الضّحَى والمَساءِ

إذا زمَّها نجمُ ذا بالشُّعا ... ع تخطَّمها شمسُ ذا بالهَباءِ

وكم لى "ببغدادَ" من كاشح ... يسائل فى ربعكم : ما ثَوائى؟!

فقلت : مقيمٌ يجيبُ المنَى ... ويجمع بين الغِنى والغَناءِ

لدى ماجدٍ دلوُه فى السما ... ح تتْبعُها يدُه فى الرِّشاءِ (٢)

إذا خاضت النِّقسَ (٣) أقلامهُ ... كَفَيْن الذوابلَ (٤) خوضَ الدّماءِ

دعا الرؤساءُ زعيمًا به ... فكان لشدّتهم والرَّخاءِ

وبعدَ التجارب قد أحمَدوا ... سجاياه، والحمدُ بعد البلاءِ

سقَى اللهُ دارَك ماءَ النعيـ ... ـم وطرَّزها برياض البهاءِ

ودارت عليك كئوسُ السرو ... ر يَغرِفنَ من مُترَعاتٍ مِلاءِ

وهُنئتَ بالعيدِ والمِهرجانِ، ... وسعدُهما سائقٌ بالهناءِ

وجَدناهما فَعَلا ما تحبُّ ... وما تبتغى بخُلوصِ الدُّعاءِ

---

(١) القلوص : الشابة من الإبل . (٢) الرشاء : حبل الدلو . (٣) النقس : الحبر .
(٤) الذوابل : الرماح .

⁂

وقال وقد سأله بعضُ رؤساء العصرِ نظمَ قصيدةٍ تتضمَّن مدحَ نظامِ المُلك أبي عليّ الحسن بن إسحاق، وأغراضا له :

ليتَ الهوى يصرِفه الراقى (١) إما بحَيْنٍ أو بإفراقِ (٢)
رشفُ الثنايا والتزام الطُّلَى (٣) — إن أمكنا — أخلاطُ درياقى (٤)
يا قارعا بالعذل سمعى ومِن ورائهِ قلبٌ بأغلاقِ
من أوجب التوبةَ من خمرةٍ يعصِرها من لحظه الساقى؟
كم "بالكثيب الفَرْدِ" من نابلٍ (٥) أسهمهُ ليست بأفواقِ (٦)
وقامةٍ تحسبُها غصنَها الـ ـوَرقاءُ لو كانت بأوراقِ
وظبيةٍ تنطح قَنَّاصها (٧) من فاحمٍ جَعدٍ بأرواقِ (٨)
من كُنْسها صدرى ومن روضها (٩) قلبى ومن غُدرانها ماقى (١٠)
مأسورةٍ بالصون فى خِدرها تَحكُمُ فى أسرٍ وإطلاقِ
منّاعةٍ بالحسن أجفانَنا أن يتقاربن لإطراقِ

(١) الحين : الهلاك والموت . (٢) الإفراق : الإفاقة من المرض . (٣) الطلى : الأعناق، واحدها : طلية . (٤) الدرياق : الدواء . (٥) النابل : الرامى بالنبل . (٦) أفواق : جمع فوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . (٧) الفاحم الجعد : الشعر الأسود المتقبض الملتوى . (٨) أرواق : جمع روق وهو القرن . (٩) كنس : جمع كناس وهو بيت الظبية . (١٠) الماق : طرف العين مما يلى الأنف .

كأنما الأعين إذ أُبرزت ... من خِدرها ليست بأطباقِ

أغفلتُ ماحازته من مهجتى ... مخافةً أن تذكُرَ الباقى

وليلةٍ بالهجرِ مُدّتْ فما ... يُفنِى مداها سعىُ مشتاقِ

كان شرابى وقِيانى بها (١) ... دمعى ووُرقا ذات أطواقِ

حتّى محا الصبحُ سوادَ الدُّجَى ... كلِمّةٍ (٢) فى يدِ حلّاقِ

قلتُ وأطرافُ القنا شُخّصٌ ... ترمقنى عن زُرق أحداقِ:

لا أطلبُ الهدنةَ فيها ولو ... قامت بها الحربُ على ساقِ

ومِن "نِظام المُلك" لى جُنّةٌ (٣) ... حصينةٌ ما مثلُها واقِ

نِعْم الحِمَى إن عَرضَت خُطّةٌ (٤) ... قد لفّها الليلُ بسوّاقِ

يعتصم الخائفُ من أمنِهِ ... فى قُلّتَىْ (٥) عهدٍ وميثاقِ

لا يهجُم السخطُ على حِلمِهِ ... إن عَثَرَ الأخمَصُ (٦) بالساقِ

ولا يهُزُّ الكبرُ أعطافَهَ ... وهو على طُودِ العلا راقِ

فى لفظه والخطِّ مندوحةٌ ... عن صارم الحدَّين ذَلّاقِ (٧)

مثلُ سلاح الليث مستودَعٌ ... فى الكفّ أو ما بين أشداقِ

---

(١) قيان : جمع قينة وهى المغنية . (٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٣) الجنة : كل ما وقى من السلاح . (٤) الخطة : الأمر المشكل العظيم الذى لا يهتدى له .

(٥) القلة : أعلى الجبل . (٦) الأخمص : باطن القدم . (٧) الذلاق : الماضى .

أبلـــجُ فضّاحُ ســـنا نورِه ... لسُـــنّة(١) البـــدر بإشراقِ

ذو بهجـــةٍ غرّاءَ ميمـــونةٍ ... زيّنها ديباجُ أخـــلاقِ

يَحُلُّ ما يبـديه من بِشره ... عَقْـــدَ لسان الهـائب اللاقي

أبوابهُ للوفـــد مفتوحـــةٌ ... كأنها أجفانُ عُشّـاقِ

تســـتغلق الرهنَ أفاويقُـــهُ(٢) ... إن جُعـــلَ القَمْرُ(٣) لســـبّاقِ

مسافةُ العليـاء إن أُقصيتْ ... فهو بهـا "عَمْـرُو بن برّاقِ"(٤)

والعيس عيسٌ(٥) فاذا زرنه ... فإنهـا أســبابُ أرزاقِ

كم عنده للحمـــد والشكر من ... مواســـمٍ قُمْنَ وأســـواقِ

يأنَفُ أن يُمطـر شـــؤبُوبُه ... إلا بأذهاب(٦) وأوراقِ

تهـــلُّلٌ وَسْمِيُّـــه(٧) موعـــدٌ ... يُولِي بهامى الجودِ غَيـــداقِ(٨)

والسُّحبُ لا تعطيك معروفَها ... إلا بإرعادٍ وإبـــراقِ

ليس يخيبُ الظنُّ فيـــه ولا ... يعـــودُ راجيـــه بإخفـــاقِ

أضحت صروفُ الدهر مأسورةً ... "للحَسَن القَـرْمِ(٩) آبن إسحاقِ"

---

(١) السنة : الوجه ، وقيل : دائرته ، وقيل : صورته ، وقيل : الجبهة والجبينان . (٢) الأفاويق : السحاب يمطر ساعة بعد ساعة . (٣) القمر : الغلبة فى لعب القمار . (٤) عمرو بن براق . من العدائين المشهورين بالعدو والسبق . (٥) فى الأصل : « والعيش عيش » وهو تصحيف . (٦) أذهاب : جمع ذهب . وأوراق : جمع ورق وهى الفضة . (٧) الوسمى : أول المطر ، ويليه الولى . (٨) الغيداق : الكثير المتدفق . (٩) القرم : السيد العظيم .

قد صـــيَّر المـالَ على حبِّـه طُعمـــةَ إتلافٍ وإنفـاقِ

إذا صروفُ الدهر زعزعنه صـادفنَ قلبـا غيرَ خفَّـاقِ

أوامرٌ تمـــلؤها طـاعـــةً أهـــلُ أقالـيم وآفاقِ

مابين "جَيْحونَ" "فقالي قَلا" وبين إشـآم و إعراقِ

وعزمةٌ عنها صدورُ القنـا تهـتزُّ من خوفٍ وإشـــفاقِ

تُضحى قسيُّ "التُّرك" من ثِقلها (١) تئنُّ فى نزعٍ وإغراقِ (٢)

والسـيفُ ممّـا كلَّفتْ حدَّه يكمُنُ فى أغمادِ أعنـاقِ

قـد حصَّن الملكَ بآرائه فى شاهقِ الأقطارِ مِزلاقِ

فى كلّ يومٍ بأراضى العـدا سَجْـلُ (٣) دمٍ بالطعن مُهـراقِ (٤)

مثل "بنى الأصفر" (٥) أودى بهم أروعُ يُردى كلَّ مرَّاقِ

من تُلَّ (٦) منهـم فلذئبِ الفلا ومن نجا فـرَّ بأرماقِ

بوقعـةٍ أُطعِمَ فيهـا الردى أرواحَ كُفّارٍ وفُسّاقِ

كم من يدٍ بالقـاعِ (٧) مبريَّةٍ وهامةٍ بالشِّـعبِ (٨) أفـلاقِ (٩)

---

(١) النزع : جذب وتر القـوس . (٢) الإغراق : استيفاء حد القـوس .

(٣) السجل : الدلو . (٤) مهراق : مصبوب . (٥) بنو الأصفر : الروم .

(٦) تل : صرع . (٧) القاع : المطمئن من الأرض . (٨) الشعب : الطـريق فى الجبـل ، أو هو ما انفرج بين الجبلين . (٩) أفلاق : جمـع فلق وهو الجزء من الشيء المشقوق .

ذاق مليكُ "الروم" من صابها (١) ما لم يكن قبلُ بذوّاقِ

إن لم تكن لاقيتَ أبطالَها كنتَ بإقبالك كاللاقى

والشمسُ لا يمنعها بُعدُها من فعل إنماء وإحراقِ

أيا "قِوامَ الدّين" دعوى امرئ (٢) لسانُه ليس بمذّاقِ

اللهَ فى غرسك لا تُذوِه من بعد إثمارٍ وإيراقِ

بك استقامت عُوجُ أفنانه (٣) ومَدَّ فى النُّعمَى بأعراقِ

وعبدِ قِنٍّ (٤) لك لم يلتمس من رقِّهِ (٥) راحةَ إعتاقِ

مذ سار عن رَبعكَ، أحشاؤه والقلبُ أُثْفيّةُ (٦) أشواقِ

ما اعتاض من عزّك إلا كما يُعتاضُ عن سيفٍ بمِخراقِ (٧)

تلطّف الحسّادُ فى سِحرهم حتى رأوا بالنأى إقلاقى

إن سرّهم فَرْى فمن بعدِه يسوءهم كرٌّى وإعناقى (٨)

ما كنتُ من قبلهمُ خائفا بينَ غرابٍ غيرِ نغّاقِ (٩)

---

(١) الصاب : نبات مر الطعم ، أو هو عصير شجر مر . (٢) المذاق : الكذاب .

(٣) الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن . (٤) القن : الخالص العبودة ، وهو الذى ملك هو وأبوه ، أو هو الذى ولد عندك ولا تستطيع إخراجه عنك ، و يقال : عبد قن — بالنعت — ، وعبد قن — بالإضافة — . (٥) فى الأصل : «رقة» وهو تصحيف . (٦) الأثفية : أحد الثلاثة الأحجار التى توضع عليها القدر ، وفى الأصل هكذا : «أهمة» . (٧) المخراق : منديل يلف و يضرب به . (٨) الإعناق : السير السريع الفسيح . (٩) النغاق : النعاب الصائح ؛ مثل النعاق — بالمهملة — .

مَن فيهـــمُ يبلغُ شأوى ومَن يحمِـل إن حُمِّـلَ أوساقى؟ (١)

أشـعتُ إحسـانك لى أوّلا فاجعل بثانى الطَّولِ تَصداقى (٢)

حاشـا أياديك وما خَوّلتْ أن أكتسى أثوابَ إملاقِ

* * *

وقال يمدحُ أبا القاسم بن رضوان :

تفيض نفـوسٌ بأوصابهـا وتكتم عوّادُها ما بِهـا

وما أنصفتْ مهجةٌ تشتكى هواها إلى غـير أحبابهـا

ألا أرِنى لوعـةً فى الحشا وليس الهوى بعضَ أسبابها

ومن شرفِ الحبِّ أن الرجا لَ تشرى أذاه بألبـابها

وفى السِّرب مُثْرِيةٌ بالجمـالِ تُقسِّـمه بين أترابها (٣)

فللبـدر ما فوق أزرارهـا وللغصن ما تحت جِلبابهـا

كأنّى ذَعرتُ بهـا فى الخِبا (٤) ءِ وحشيّةً (٥) عنـد محرابهـا

أتبِّعـها نظـرا معجَلا يعـثِّر عينـى بهُدّابهـا (٦)

متى شاء يقطِف وردَ الخدود وقَتْـهُ الأكُفُّ بعُنّابهـا

---

(١) فى الأصل « أوثاقى » وهو تحريف .

(٢) فى الأصـل هكذا "ثناى" .

(٣) أتراب : جمع ترب وهو من ولد معك فى سنك .

(٤) الخباء : بيت يتخذ من صوف أو وبر .

(٥) الوحشية : الظبية .

(٦) الهداب : الخيوط التى تبقى فى طرفى الثوب من عرضه دون حاشيته ، أو هو طرف الثوب مما يلى طرته .

كفانىَ من وصـــلها ذكرةٌ تمـــرُّ على بَرْد أنيابهـا

وأن تتلالا بروقُ "الحمى" وإن أضرمتنى بإلهابها

وكم ناحلٍ بين تلك الخيا م تحسَـــبه بعضَ أطنابهـا (١)

فمن مخبرٌ حاســدى أننى وهبتُ الأمانى لطُلّابهـا؟

فإن عرَضتْ نفسَها لم تجد فؤادىَ من بعض خُطّابهـا

يُســـرُّ الغطارفةَ الأكرميـ ـن قَرعُ مديحى لأبوابهـا

فهاهى من قبل رفع الحجاب يضاحكنى بشـــرُ مُجّابهـا

أنزِّه قَعْبىَ (٢) عن خَلّها وآنَفُ من مخض أوطابهـا (٣)

وأعلم أن ثيـابَ العفا ف أجمـــلُ زِىٍّ لمُجتابهـا (٤)

عدلتُ السرابَ بأوراقها (٥) ولمـــعَ البروق بأذهابهـا (٦)

ولو شـئتُ أرسـلتُها غارةً تعـــود الىَّ بأســـلابها

ولكننى عائفٌ شهدَها فكيف أنافسُ فى صابهـا (٧)

تذِلُّ الرجالُ لأطماعها كذلِّ العبيـد لأربابهـا

فلا تقطفنّ ثمارَ المُـــنى فبئسَ (٨) عُصارةُ أعنابهـا

---

(١) أطناب : جمع طنب وهو حبل الخيمة . (٢) القعب : إناء يحلب فيه . (٣) أوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللبن . (٤) المجتاب : اللابس . (٥) أوراق : جمع ورق وهو الفضة . (٦) أذهاب : جمع ذهب . (٧) الصاب : شجر مر ، أو هو عصير شجر مر . (٨) فى الأصل : « فيأس » وهو تحريف .

وعُجْ بالأجلِّ "أبي قاسمٍ" لتأتى المكارمَ من بابها

فنعمَ الرياضُ لمرتادِها ونعمَ الديارُ لمنتابها

وأوديةٌ من يَرِدْ ماءَها يرَ السُّحبَ من بعض شُرّابها

الى كعبة الجود من راحتيه تُشدّ الرحالُ بأقتابها (١)

مناقبُ مثلُ عِدادِ الرمالِ تكُدُّ أناملَ حُسّابها

وتُتعبُ ألسنَ دُرّاسِها وتُفنِي قراطيسَ كُتّابها (٢)

تجاوزتَ حدّ صفاتِ البليغ فمادحُها مثلُ مُغتابها

يذُمُّ البضائعَ ما لم يُعِدَّ من الشكر أوفرَ أكسابِها

تظُنُّ بأفواه مُدّاحِه عُقارا تدارُ بأكوابها (٣)

تُصافَحُ منه أكفُّ الرجاء برطبِ الأنامل وَهّابها

كأنّ السؤالَ على رِفده قِداحٌ تفوز بأنصابها

إذا اشتكت الأرضُ داءَ المحو لِ داوَى رُباها بإخصابها (٤)

من العصبة المدركين العُلا بأحسابها وبأنسابها

أجاروا على الدهر من صَرفِه وجاروا على الأُسْد فى غابها

وساسوا ولاءَ قلوبِ الرجال بإرغابها ثم إرهابها

(١) أقتاب : جمع قتب وهو إكاف (برذعة) على قدر سنام البعير (٢) القرطاس : الصحيفة .

(٣) أكواب : جمع كوب وهو قدح لا عروة له . (٤) فى الأصل : « باحصابها » وهو تصحيف .

كنوزُ محامِدها والثنـاءِ عليها ذخائرُ أعقابها

ولم تلبَس الرَّيْطَ(١) إلا رأيتَ محاسـنَها نقشَ أثوابها

تعجَّبُ من حُسن بهجاتها الى أن ترى حسنَ آدابها

وإنَّ مكارمَ أخلاقها تقـوم مقاماتِ ألقابها

تمَـلَّ بأيّام هـذا الزمان تجـرُّ ذلاذلَ(٢) جِلبابها

مقـامَ السواد لأبصـارها ومثـلَ النُّخاع لأصـلابها

إذا أنت أفنيتَ أيّامَها توالت عليـك بأحقابها

* * *

وقال يمدحه أيضا :

النجاءَ النجاءَ من أرضِ "نجدِ" قبـلَ أن يعـلَق الفؤادُ بوجدِ

إنّ ذاك الثرى لَيُنبتُ شوقا فى حشَا ميِّت اللُّباناتِ(٣) صَـلدِ(٤)

كم خلىٍّ غـدا إليـه وأمسَى وهو يهذِى "بعلوةٍ" أو "بهندِ"

وظبـاءٍ فيـه تُلاقِى المُـوالى والمُعادى من الجَمال بجُنـدِ

بشتيتٍ من المباسم يُغـرى وسَـقامٍ من المحاجر يُعـدى

وبنانٍ لولا اللطافـةُ ظُنَّتْ لِحنـاياتها براثنَ(٥) أُسْـدِ

---

(١) الريط : جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست ذات لفقين . (٢) الذلاذل : جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل . (٣) اللبانة : الحاجة والمأرب . (٤) الصلد : الصلب .

(٥) براثن : جمع برثن وهو من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان .

وحـــديثٍ إذا سمعناه لم ند ـرِ بخمرٍ نضَحتنَا أم بشهـــدِ ؟

أنِفتْ من براقـع الخـــزِّ والقـ ـزِّ خدودٌ قـــد برقعوهـا بوَردِ

وغَنُـوا عن خدورهم مذ تغطَّـوا عن محبّيهم ببعـــدٍ وصـــدِّ

أمُقـاما "بعـالجٍ"، والمطـايا عَرضَ "يبرينَ" بالظعائن تَخدِى ؟ (١) !

لا "الحمَى" بَعـدكم مُناخٌ ولا ما ءُ "اللوى" إذا هجـرتمـوه بوِرْدِ

والفـــؤادُ الذى عهـدتم جَموحا راضـه طولُ جَـوْركم والتعـدّى

ما تُريدون من دلائـلِ شـــوقٍ غيرَ هـــذا الذى أُجِنُّ وأُبدِى

كبِدٌ كلّمـا وضعتُ عليهـا راحتى، قيلَ : أنت قادحُ زَندِ

وجفونٌ جرينَ مدًّا، وماءُ الـ ـبحـــر يرتاحُ بين جزرٍ ومدِّ

يا بنى "مُرّةَ بن ذُهـــلٍ" أبوكم ما أبوكم وجَدُّكم أىّ جَدِّ

غُررٌ فى وجوهِ "بكرٍ"، و"بَكرٌ" شامةٌ عمّمت رءوسَ "مَعَـــدِّ"

من شـبابٍ فى الحِلم مثلِ كُهول وكُهـــولٍ نزّاقـــةٍ مثـــلِ مُردِ

أنا منـكم إذا ٱنتهينا إلى العـــر ق ٱلتففنا ٱلتفـافَ بانٍ برَنْدِ

نسبٌ ليس بيننا فيـــه فـــرقٌ غـــير عيشَىْ حضارةٍ وتبـــدِّى

لكم الرمْحُ والسِّـــنانُ وعنـــدى ما تحبُّـــون من بيانٍ ومَجـدِ

خلِّصـونى من ظَبيـكم أو أنادى بالذى يُنقـذ الأسارَى ويفـدى

---

(١) الظعائن : الهوادج فيها النساء . وتخدى : تسرع .

"بأبى القاسم" الذى غرس الأفـ ـضال فى ربوتَىْ ثناءٍ وحمـدِ

كلّما هبّ للسـؤال نسـيمٌ فـوق أغصانه آنتثرنَ برِفـدِ

فى بديه غمامتان لظـلٍّ ولقَطرٍ من غير برقٍ ورعـدِ

أَذِنَ البشـرُ للعُفـاة عليـه حين ناداهم القُطـوبُ بردِّ

وآصطفى المكرُماتِ حتى لقلنـا: أبِـرِقٍّ إنتـاجُها أم بعَقـدِ؟!

فَـرْقُ ما بينَـه وبين سـواه فَـرْقُ ما بين لُجِّ بحـرٍ وثَمْـدِ(١)

أىُّ عُشبٍ فى ذلك الأبطحِ السهـ ـل وماءٍ لمَـرتَـعٍ ولـوِردِ؟

لا تـراه إلّا على كاهل العـز مِ يسـوق العُـلا بجَـدٍّ(٢) وجِدِّ

كم عـدوٍّ أماتـه بوعيـدٍ وَولىٍّ أحياه منـه بوعـدِ

لستَ تدرى أمن زخارف روضٍ صاغـه اللهُ أم لآلئِ عِقـدِ؟!

وبحسن الفعـال ينتسب القـو مُ إلى المجـد لا بقَبْـلٍ وبَعدِ

مُطلِـعٌ، فى دُجى الخطوبِ إذا أظـ ـلمنَ، من رأيـه كواكبَ سَـعدِ

عـزماتٌ لا تستجيب لراقٍ وحـلومٌ لا تُستثار بحِقـدِ

ومَضاءٌ لو أنه كان للسـيـ ـف لما هوَّمَتْ(٣) ظُباه بغِمـدِ

قـد رأينا فيـه عجائبَ منهـ ـنّ ثمارٌ يُجنَيْن من عُودِ "هِنـدِ"

---

(١) الثمد: الماء القليل. (٢) الجد — بالفتح —: الحظ، — وبالكسر —: الاجتهاد فى الأمر. (٣) هومت: نامت.

أســـرَ الناس بالعوارف، والنُّعـ ـمَى على الحرِّ مثـــلُ رِبقةِ قِـدِّ (١) (٢)

ليس يَرضَى من الملابس إلّا ما يُنـير الثناءُ فيـــه ويُســـدى (٣)

أبدا تســـأل النواظرُ عنـــه أبشـــكرٍ قد اكتسى أم بـــبُردِ!!

أحصِ ما شئتَ من حصًى وقُطارِ فمعاليـــه ليس تُحصَى بعَـــدِّ

وعيونُ الحسّادِ إن نظـــرَته فبصُـــورٍ من المساءة رُمْـــدِ (٤)

يا أعاديه لو عُدِدتم "كيأجو جَ" رماكم من كيده خَلفَ ســدِّ

وســـواء إذا جرى فى مَـــداه أبأخلاقـــه جرى أم بُجُـــردِ (٥)

قَصَـــبٌ للســـباق ليس يُصَلِّيـ ـها خوافى النســـور إلا بكَدِّ (٦)

زادك الله ما تشـاءُ مَزيدا ســـيلُه غيرُ واقفٍ عنـــد حدِّ

فى ربيعٍ نظيرِ جنّاتِ "عَدنٍ" وديارٍ جميعُها دارُ خُـــلدِ

إن أغِبْ عنك فاللسانُ بشكرى غـــيرُ ناءٍ ولا الفـؤادُ بجمـــدِى

وهما الأصغران لولاهمـــا كا ن البرايا أمثالَ صُحْـــرٍ ورُبْدِ (٧) (٨)

أُخبُرُ النـاسَ تَقْلِهُم أو تصِلْهـم هـــل يحـاز الدينـار إلا بنقـــدِ؟! (٩)

(١) الربقة : العروة . (٢) القد : قيد يقد من جلد يشدّ به الأسير . (٣) أنار الثوب : جعل له نيرا ، وهو ما اجتمع من خيوطه ، وأســداه : جعل له سدى وهو ما مد من خيوطه .

(٤) الصـــور : المـائلة . (٥) الجرد : الخيل قصيرة الشعر ، واحدها : أجرد وجرداء .

(٦) يصليها : تأتى ثانية لها . (٧) الصحر : ما اغبر لونها فى حمرة ، واحدها أصحر وصحراء . يقال : حمار أصحر وأتان صحراء . (٨) الربد : ما اســود لونها مع تنقيطه بحمرة ، واحدها أربد وربداء .

(٩) تقلهم : تبغضهم وتجفوهم من : قلا يقلو وقلى يقلى ، وهو من حديث أبى الدرداء : "وجدت الناس أخبر تقله" أى جرب الناس تبغضهم ، والهاء فى "تقله" للسكت .

* * *

وقال يرثي أبا منصور بن يوسف ، ويعزّي عنه أبا القاسم بن رضوان صهرَهُ :

لا قَبِلنا فى ذا المصابِ عـــزاءَ ... أحسنَ الدهرُ بَعـدَها أو أساءَ

إن نهينا فيـــه عن الدمـــع مَأقا (١) ... أو خفَضنا النحيبَ كان رياءَ

حسراتٍ يا نفسِ تفتُـك بالصبـ ... ـر وحزناً يقلقـــلُ الأحشاءَ

ووجيباً (٢) ملءَ الضـــلوع إذا فا ... ض إلى المقلتين صار بكاءَ

فزفـــيرا بين الجـــوانح يفتضُّ متى شاء عَـــبرةً عـــذراءَ

وحنينـــا يشـــوقُ فاقـــدةَ النِّيـ (٣) ... ـبِ فتنسَى صريفَها (٤) والرُّغاءَ (٥)

ومُناخا من لوعـــةٍ واكتئاب ... يستجيبُ الحمامـــةَ الـــوَرقاءَ

ودموعا يخجَلن من شَـــبَه المـا ... ءِ فيُصبَغنَ بالحياءِ دماءَ

من عيونٍ قد كنَّ قبلُ عيونا ... ثم صارت بفقـــده أنـــواءَ (٦)

ملقياتِ العُـــوَّار (٧) فيهنّ سَجْـــلا (٨) ... جاعلاتِ القـــذَى لهنَّ رِشاءَ (٩)

وإذا ما الأُسَى (١٠) أشرنَ على القلـ ... ـبِ بيأسٍ فاستفهموا البُرَحاءَ (١١)

يَفقِد الناسُ — قدعلمنا — عظيما ... وخطيرا منهـــم وليسوا سَـــواءَ

---

(١) المأق : طرف العين مما يلى الأنف . (٢) الوجيب : خفقان القلب . (٣) نيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٤) الصريف : صرير ناب البعير . (٥) الرغاء : صوت ذوات الخف . (٦) الأنواء : الأمطار . (٧) العوار : ما ينزع من لحم العين بعد ما يذر عليه الذرور . (٨) السجل : الدلو . (٩) الرشاء : حبل الدلو . (١٠) الأسى : جمع أسوة وهى القدوة . (١١) البرحاء : شدة الحزن .

كيف نسلو من فارقَ المجدَ والسّوء ... دَدَ والحزمَ والنـدَى والعَـلاءَ

والسجايا الذى إذا آفتخر الـدُّ ... رُ آدّعاها مَلاسـةً وصـفاءَ

والمحيَّـا الذى له تشـخص الأبـ ... ـصارُ حُسنا وبهـجةً وضِيـاءَ

والأيادِى البيضَ المصافِـحةَ الإعـ ... ـدامِ حـتّى تُحيـلَه إثـراءَ

والمعـالى المحلِّقـاتِ مع النَّسـ(١)ـرَيْـن يُشرقنَ بُكرة ومَسـاءَ

ووقارا لـو أنه أدَّبَ الهُـو(٢)ـجَ من العـاصفاتِ عُدنَ رُخاءَ(٣)

خَرِسـتْ ألسن النُّعـاةِ(٤) وودّت ... كل أُذْنٍ لو غـودرت صمّاءَ

جهلوا أنهـم نعَوا مُهـجةَ المجـ(٥)ـدِ المصفَّى والعـزّةَ القَعسـاءَ

حين قالوا — وليتَهم كتَموا الحا ... دث عنّا أو جمجموا الأنباءَ — :

ظعنتْ "بآبن يوسُفٍ" قُلُص الأ(٦)ـيّا م تطـوِى الإدلاجَ(٧) والإسـراءَ(٨)

ليس تَلوِى على مُناخٍ ولا تطـ ... ـلُبُ وِردا ولا تطيـعُ حُداءَ

بعد ما كنّ كالعبيدِ من الطـا ... عـةِ والسـمع، والليـالى إماءَ

زينـةُ الدِّين عُرّىَ الدينُ منها ... وحُـلِىُّ الدنيا جفـا الأعضاءَ

لو أرادت عِرسُ المكارم بعـلًا ... عدِمتْ بعـدَ فقـدِه الأكفاءَ

---

(١) النسران : كوكبان ، يقال لأحدهما : النسر الطائر، وللآخر : النسر الواقع . (٢) الهوج : الرياح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت ، واحدها : هوجاء . (٣) الرخاء : الريح اللينة .
(٤) فى الأصل "البغاة" وهو تصحيف . (٥) القعساء : الثابتة الممتنعة . (٦) قلص : جمع قلوص وهى الفتية من الإبل . (٧) الإدلاج : السير آخر الليل . (٨) الإسراء : السير أول الليل .

من إذا ما الحقـــوق لله نادت قاضيـا راعيـا أجاب النـداءَ

وإذا ما إليـــه مُدَّتْ يـــدُ البـ ـرِّ أهان البيضاءَ والصفـــراءَ (١)

من تردَّى بهيبـةٍ رأت التصـ ـريحَ عَجـــزا فـأومأت إيمـاءَ

يُوقِـد القـــومُ نارهم فى جدالٍ فاذا قال أخمـــدوا الضوضـاءَ

من يكن أيتمَ الذرارِى اذا ما ت فهـــذا قد أيتمَ الفقـــراءَ

ما درى حامـــلوه أنهـــمُ عنـ ـهمْ أزالوا الأظـــلالَ والأفيـاءَ

أدرَجوا فى الرِّداء نَصـــلا (٢) ولفُّوا فى السَّـــحولىِّ (٣) صَـــعدةً (٤) صمّاءَ

يُودِعون الثرى — كما حَكَمَ الـ ـله — بكُرهٍ غمـامةً غرّاءَ

ولو آن الخيـارَ أضحى إليهـــم ما أحلُّوا الغـــمامَ إلا السماءَ

يا لهـا من مصيبـــةٍ عمّت العـا لَم طـــرّا وخصَّت العظـــماءَ

ما علمنـا الضَّرّاءَ أحيت فعاشت فى الورى أم أماتت السـرَّاءَ؟

غـــرَ أنّا نرى لهـا كلَّ نفْس لِهفـاتٍ تَنفَّـسُ الصُّـــعَداءَ (٥)

ما رأينـا يوما كيوم تولَّيـ ـتَ يـــؤمُّ الأمواتَ والأحيـاءَ

يَتبَـعُ النـاسُ ذلك النورَ أرسـا (٦) لًا كما يتبـــعُ الخميسُ (٧) اللّـــواءَ

---

(١) البيضاء والصفراء : الفضة والذهب . (٢) النصل : السيف . (٣) سحول : موضع باليمن تنسج فيـه الثياب ، يقال : ثياب سحولية بالفتح والضم — والفتح أشهر — . (٤) الصعدة الصماء : قناة الرمح المستوية الصلبة . (٥) الصعداء : تنفس طويل من هم أو تعب . (٦) الأرسال : الجماعات واحدها : رسل — بكسر الراء — . (٧) الخميس : الجيش — لأنه خمس فرق — .

أرجُلٌ فى الصَّـــعيد تنتعلُ التِّر ... بَ وهامٌ(١) تعـــمَّمُ الحصْباءَ(٢)

فتظَـــنَّى(٣) الحِمامُ أنّـــك أزجيـ ... ـتَ إليـــه كتيبةً(٤) شهباءَ

أو مشتْ نحـوه القبـائلُ يطلُبْـ ... ـن إليه بأن يكنَّ الفِـــداءَ

أنت من معشرٍ أبَى طيِّبُ الذكـ ... ـر عليهم أن يُشمتوا الأعداءَ

فهـــمُ كالأنام يبلُون أجسا ... مًا ولكن يخلَّدون ثناءَ

لم يُطيقـوا أن يدفعوا نوب الأيّـــامِ عنهـــم فســـيَّروا الأسماءَ

عُقِلتْ فـوق تُربك السحبُ إما ... ماخضًا(٥) بالقُطـارِ أو عُشَراءَ(٦)

تارةً بالضَّريبِ(٧) ترغُـــو وطـــو ... را بزُلالٍ يفجِّـــرُ الأطْبَاءَ(٨)

فاغراتِ الأفواهِ تحسَبها طـا ... لَ سُراها فأكثرتْ ثُؤَباءَ(٩)

فهى تَســـقِى ثراك قَطـرا ومن زا ... رك يَســـقى ترحُّمـا ودُعاءَ

كلُّنـا للتردى ولم تُخـــلَق الأَعـ ... ـلالُ إلّا ما ببننـا ســـفراءَ

واذا كانت الحيـاةُ هى الدا ... ءَ المعـــنَّى فقد عدِمنـا الشفـاءَ

إنمـا هـــذه الأمانىُّ فى النَّفْـ ... ـس سَرابٌ لا يَنقَـــعُ الأظماءَ

---

(١) هام : جمع هامة وهى الرأس . (٢) الحصباء : الحصى . (٣) تظنى بمعنى ظن .
(٤) الكتيبة : الفـرقة من الجيش ، و يقـال : كتيبة شهباء لبياض سيوفها وكثرة سلاحها .
(٥) الماخض : — بغير هاء — هى التى دنا ولادها . (٦) العشراء : التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٧) الضريب . اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء . (٨) أطباء : جمع طبى — بكسر وسكون — حلمة الضرع . (٩) الثؤباء : التثاؤب .

وأسـودُ الأيامِ لا ترتضى الأجـ ـسامَ قوتاً وتأكلُ الحَـوْباءَ (١)

كم بُزاةٍ شُهْبٍ تحصَّنُ بالجـ ـوّ فتهـوِى إلى الثرى أصـداءَ (٢)

غبرَت هـذه الليـالى فلو يُسـ ـئلن أنكرن ما دها "الأذواءَ" (٣)

نحن فى عَتبها الذى ليس يُجدى مثـلُ من حكَّ جِـلدةً جَرباءَ

كلَّما كُرِّر المـلامُ عليهـا فى الإساءات زادها إغراءَ

جَـلَدًا أيُّها الأجلُّ أبو "القـا سم"، والعَـوْدُ (٤) يحمِـل الأعباءَ

أبدا أنت فى النوائب لبّـا سٌ من الصـبر نَثرةً حَصـداءَ (٥)

خُلُقٌ فيك أن تُنجِّى من الكر ب نفـوسا وتكشِفَ الغَمّاءَ

ما كرهتَ الأقدارَ قـطُّ ولو جا ءت ببؤسَى ولا ذممتَ القضاءَ

ولك العـزّة التى دونها السيـ ـف نفـاذا (٦) وجُرأةً ومضاءَ

وفَعـالٌ (٧) اذا وزنَّاه بالوعـ ـدِ اذا قلتَ لم نجـد إقـواءَ (٨)

أحرُسِ الأقربين يحرسُـك اللّـ ـهُ وراعِ الأهلينَ والأبنـاءَ

فالجيـادُ العِتاقُ لا تَبـلغُ الغـا يةَ حتّى تستصحبَ الأفـلاءَ (٩)

---

(١) الحوباء : النفس . (٢) أصـداء : جمع صدى وهو الجسد بعـد الموت .

(٣) الأذواء : ملوك اليمن — لإضافة "ذو" فى الغالب الى أسمائهـم وهى تلزم الإعراب ؛ يقال : مرذويزن ، ورأيت ذايزن ، وسيف بن ذى يزن . (٤) العود : الجمل المسن .

(٥) النثرة الحصداء : الدرع المحكمة السرد . (٦) فى الأصـل « نفادا » وهو تصحيف .

(٧) الفعال : الكرم . (٨) الإقواء : الاختلاف ، وأصله — فى الشعر — اختلاف حركة الروى . (٩) أفلاء : جمع فلو وهو المهر اذا فطم أو بلغ السنة .

وظباءُ الفـلاةِ إن راعهـا القـا ... نصُ زفَّت فاستدنت الأطلاءَ (١)

وجـديرٌ بمن شرَى عُنُقَ المجـ ... ـد فأعـلَى أن يُحـرِزَ العلياءَ

* * *

وقال يرثى أبا نصر بن حميلة صاحب الديوان :

كلّ يومٍ خِلٌّ يُرحَّـلُ عنّـا ... وديارٌ معطَّلاتٌ ومَغْـنَى (٢)

وحبيبٌ فريسـةٌ للمنـايا ... نجتـويهِ (٣) كأنه ليس منّـا

أعْلَمتْنَـا مَصـيرَنا حادثاتٌ ... لو عملنا يوما بمـا قد علِمنـا

هـذه الأرضُ أمُّنـا وأبونا ... حملَتْنا بالكُرهِ ظَهرا وبطنا

إنمـا المرءُ فوقها هو لفـظٌ ... فاذا صار تحتهـا فهْـو مَعنى

لو رجَعنا إلى اليقـين علِمنـا ... أنّنـا فى الدُّنا (٤) نُشـيِّدُ سجنا

إنمـا العيشُ مـنزلٌ فيـه بابَا ... ن، دخَلنا من ذا ومن ذا خرَجنا

مثلَمـا تسرَحُ السَّوامُ الى المر ... عَى وتُثْنَى عنـه غَدونا ورُحنا

وضروبُ الأطيار لو طِرن ماطِر ... نَ فلا بدَّ أن يراجِعنَ وَكْنا (٥)

يحسَبُ الهِمُّ (٦) عمـرَه كلَّ حولٍ ... فاذا استكثر الحسابَ تمنَّى

---

(١) زفت : أسرعت فى عدوها ، وفى الأصل «رقت» وهو تصحيف ؛ والأطلاء : جمع طلى وهو ولد الظبية . (٢) المغنى : المنزل . (٣) نجتويه : نجفوه . (٤) الدنا : جمع الدنيا وهى واحدة فاذا جمعت فباعتبار أقسامها . (٥) الوكن : العش — كالوكر — .

(٦) الهم : الشيخ الفانى .

كلُّ شيء يُحصيه عدٌّ ولو كا ن كثيبا من رملِ "يبرينَ"(١) يفنى

والليالى لنا مطايا إذا خـ ـبّـ ـت بنا نحـو غايةٍ بلّغتنا

مبتـدانا ومنتهانا سَـواءٌ فلماذا من الأخـير عجِبنا

فوُجِدنا من بعـد ما قد عُدِمنا وعُدمنا من بعدِ ما قد وُجدنا

والأريبُ اللبيبُ من وعظتْـه ألسنٌ فى مواضع الموتِ لُكّا(٢)

قد رأينا وقد سمعنا لو آنّ الـ ـنّـ ـفسَ ترضَى عينا وتأمن أُذنا

وكأنّا لغـير ذاك خُلقنا أو سـوانا بغـير ذلك يُعنَى

كلّما حُقّق الشفاءُ لفنٍّ من سَـقام الأيام أحدثنَ فنّا

ليس ندرِى متى نُقاد لعَقـرٍ فبما تَعـرِفُ الحُشاشاتُ أَمْنا

كلُّنا نجعـلُ الظنونَ يقينا ويقينُ الأمور يُجعَـلُ ظنّا

خُـدَعاتٌ من الزمان إذا أبـ ـكين عينا منهنّ أضحكن سنّا

كلُّ يومٍ تأتى به يومُ نحـرٍ و"مِنًى"(٣) حيثُ شاء سهلا وحَزنا

ليس يُغنى عن النفوس فداءٌ فضَـياعٌ نَعُقُّ(٤) عنهنّ بُدْنا(٥)

والمليـكُ الهمامُ بالجحفـلِ المجـ ـر لسمعِ الردَى يُقعقِـع شَـنّا(٦)(٧)

---

(١) يبرين : موضع مشهور بكثرة رماله . (٢) لكن : جمع ألكن وهو العى الذى ثقل لسانه .

(٣) الحزن : الوعر من الأرض — وهو ضد السهل — . (٤) نعق : نذبح عنها فداء لها .

(٥) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدم للنحر . (٦) الجحفل المحر : الجيش العظيم بكثرته .

(٧) الشن : القربة البالية .

لو درتْ هـذه الحمـائمُ ما ند ... رى لمـا رجّعتْ على الغصن لحَنا

طابِـع الأسهم الصوائبِ لم يخـ ... ـلُقْ لأهـدافهنّ عَمـــدا مِجَنّا (١)

نتـــوارى بالسـابرى (٢) وننسَى ... من وراء الضلوعِ ضربا وطعنا

غَشِيَ الدهرُ أهـــلَه بجنـودٍ ... أسَرتْهُ وليس يعـــرِفُ منّـا

بين بُلقٍ (٣) منـه يُغير بهـا الصبـ ... ـحُ وأخرَى دُهْمٍ (٤) توافيك وَهْنا

هو إما روحُ الحيـاة وإلا ... فحيـاةٌ تظـلُّ فيهـا مُعـنّى

وكأنّ المنـونَ حادى ركاب ... ردّ ظُعْنـا عنـــه وقدّم ظُعْنا (٥)

مَوردٌ غصّ بالزحـامِ فـلولا ... ســبقُ من جاء قبلَنا لوردنا

وأرَى الدهرَ مُفردا وهو فى حا ... لٍ يشُنّ الغـاراتِ هَنًّا وهَنّـا

كصَفاةِ (٦) المسيلِ لا ترهَبُ الليـ ... ـثَّ ولا ترحم الغـزالَ الأغنّا

ما عليهِ لو أنه كـان أبـقَى ... من "أبى نصرٍ" المهذبِ رُكنا!

والدا للصـــغير بَرًّا وللتِّـــر ... بِ (٧) أخًا مشفقا وللأكبر آبنا

غُصُنٌ إن ذوَى فقد كان منه ... ثمـراتُ الخـلائق الغُـرّ تُجنَى

---

(١) المجن : كل ما وارى من سلاح . (٢) السابرى : الثوب الجيـد — منسوب الى سابور على غير القياس — وسابور بلدة مشهورة بعمل الثياب الجيدة . (٣) بلق : جمع أبلق وهو — من الخيل — : الذى فيه سواد و بياض . (٤) دهم : جمع أدهم وهو الأسود من الخيل . (٥) ظعن : جمع ظعينة وهى البعير يعتمل و يحمل عليه . (٦) الصفاة : الصخرة الصلبة . (٧) الترب : الذى يولد معك فى سنك .

إن أَملناهُ بالمقالِ تلوّى (١) أو هززناه للفَعال تثنّى

من ذيولِ السحاب أطهرُ ذيلا (٢) وقميصِ النسيم أطيبُ رُدْنا

ما مشتْ فى فؤاده قَدَم الغـ ـشِّ ولا أسكن الجوانح ضِغْنا

إن يكنْ للحياءِ ماءٌ فما كا (٣) ن له غيرُ ذلك الوجه مُزْنا

لهفَ نفسى على حسام صقيلٍ (٤)(٥) كيف أضحت له الجنادلُ جَفنا

وعتيقٍ أثار بالسَّبقِ نقعا (٦) فغدا فوقه يُهال ويُبنَى

ونفيسٍ من الذخائر لم يؤ مَن عليه فاستُودِع الأرضَ خَزْنا

أودعوا منه فى الضرائح كافو (٧) را ومِسكا ومندَلِيًّا (٨) ولُبْنَا

أغمِض العينَ بعده، فغريبٌ أن ترى مثلَه وأين وأنّى

أىّ نورٍ أطفأتَ يامُهَريقَ الـ (٩) ـماء فوق الجسم المكلَّل حُسنا

ختمَ الضُّمَّر العِتاقَ وخلّى (١٠) فى الأَوارىِّ مُقرَفات (١١) وهُجْنا

عرفوا قدرَه كما تُعرفُ الشـ ـمسُ ومقدارُها اذا الليلُ جَنّا

ما رأينا طودَ الخلافةِ إلّا (١٢) ووجدناه عادمًا منه رَعْنا

---

(١) الفعال : الكرم . (٢) الردن : الكم . (٣) المزن : السحاب . (٤) الجنادل : الحجارة . (٥) الجفن : غمد السيف . (٦) النقع : الغبار . (٧) المندلى : العود — منسوب الى مندل وهى بلدة فى الهند — . (٨) اللبن : الكندر وهو معروف باللبان . (٩) المهريق : الذى يصب الماء ويريقه . (١٠) الأوارى : جمع آرى وهو محبس الدابة ، أو هو حبل تشد به الدابة فى محبسها . (١١) المقرف — من الخيل — ما كان أبوه غير عربى والهجين ما كانت أمه غير عربية . (١٢) الرعن : أنف يتقدّم الجبل .

فالقصورُ المشيَّداتُ تُعـــزَّى والقبـــورُ المبعـــثراتُ تُهنَّا

ما عجِبنا كيفَ آشترته الليـالى بل عجِبنا كيف آختُدِعنا فبِعنا

ليتَه حين كان دَينـا مع الفقـ ـر إليـــه بقبضـــه أجَّلتنـا

وآستبدَّتْ بمن أرادت فداءً وآعتزاما وإن أحبَّت فرَهْنـا

لو علِمنا أنَّ التفجُّعَ يُدنيـ ـك بكينا دون النساءِ ونُحْنـا

وآختضبنا دمَ المحاجرِ صِرفًا إن أماطَتْ بنـانُهن اليَرَنَّا (١)

ونزحنا الدمـوع سَحًّا ووبلًا وأقمنـا الضلوعَ وجدا وحُزنا

غير أنّ الدارَ التى أنت فيهـا منزلٌ من به أناخ أَبَنَّـا (٢)

لاخَطَا تُربَك السحابُ المصرَّى (٣) أو تؤدَّى فروضُـــه وتُسَنَّا

كلَّما أوسعتْ خُطاه النُّعـامَى (٤) أثقلتـــه أوساقُـــه فأُعنَّـا (٥)

حسِبَ القَطرُ رعدَه نقرَ دُفٍّ فتعاطَى على البسيطةِ زَفْنـا (٦)

وقليـلُ الجدوَى مقالَى يا أطـ ـلالُ، حتى سُقيتِ رَبعًا ومَغنَى

وعزيزٌ علىَّ أن صِرتَ فى نظـ ـم القوافى تُسْمَى لنَدْبٍ وتُكنَى

---

(١) اليرنا : الحناء . — وفيها لغات يرجع اليها فى المعجمات — . (٢) أبن : أقام .

(٣) المصرى : الذى آجتمع ماؤه ، وأصله : ضرع الناقة لا يحلب حتى يجتمع اللبن فيه . (٤) النعامى : ريح الجنوب . (٥) أعن : حبس بالعنان . (٦) الزفن : الرقص .

* * *

وقال يعزّى أبا القاسم بن أيّوب عن زوجةِ أبيه أبى المعالى بن عبد الرحيم :

لامِرئٍ فى الردَى ولا جدَلُ ... العمر دَيْنٌ قضاؤه الأجلُ

للمرء فى حتفِ أنفه شُغُلٌ ... فما تريد السيوف والأسلُ؟ (١)

يَفرِى الدجَى والضّحى بأسلحةٍ ... سيّانِ فيها الدروعُ والحُلَلُ (٢)

فأنجمُ الليل كالأسنةِ والصُّـ ... ـبحُ حسامٌ له الورى خِلَلُ (٣)

ياليت عمرَ الفتى يُمَدُّ له ... ما آمتدّ منه الرجاءُ والأملُ

موارِدٌ هذه الحياةُ وما ... نصدُرُ عنها إلّا بنا غُلَلُ

نكرَعُ فى حَوضها ونحن كما ... تُذاد من بَعد خمسها الإبلُ (٤)

كأسٌ أدرَّت على لذاذتها ... عُدّل فيها الزُّعافُ والعسلُ (٥)

كلٌّ إلى غايةٍ يصير ولا ... تمييزَ إلا الإسراعُ والمَهَلُ

والناسُ ركبٌ يَهوِين حثّهمُ ... ولا يُسَرُّون أنّهم نزلوا

وسوفَ تُطوَى مسافةٌ ذَمَلتْ ... بقاطعيها ركائبٌ ذُلُلُ (٦) (٧)

كيف يَعُدُّ الدنيا له وطنا ... من هو ينأَى عنها و ينتقلُ؟

---

(١) الأسل : الرماح . (٢) يفرى : يشق و يقطع . (٣) الخلل : جمع خلة وهى غمد السيف ، أو هى بطانة يغشى بها غمده . (٤) الخمس : من أظماء الإبل وهو ورودها الماء فى اليوم الرابع بعد رعيها ثلاثة أيام . (٥) الزعاف : السم القاتل . (٦) ذملت : سارت الذميل — وهو ضرب من السير — . (٧) الذلل : المنقادة .

نسْخوا بأعمـارنا ونبخـل بالـ ـمال فتَبًّ السخاءُ والبَخَـلُ

ونبتغى البرءَ عند من يُسرع السـ ـسُّـقمُ اليـــه وتَصرَع العِلـلُ

أضاع راقى الداءِ العضـالِ كما ضُيِّـع فى سمـعِ عاشقٍ عذَلُ؟!

ولو نجـا الهائبُ الجبانُ من الـ ـحتف تحامَى إقدامَه البطلُ

ما أسلموا هذه النفوسَ إلى الـ ـأجداث إلا إذ ضاقت الحيلُ

ضرورةٌ ذلّت القُـــرومُ(١) لهـا وقد تقودُ المَصاعبَ(٢) الجُـدُلُ(٣)

وخفّف الخطبَ بعـد شدّته أَنْ كُلُّ حىّ لأمّه الهَبَـلُ(٤)

ومن حِذارٍ تبـوّأَ الكُدْيَةَ(٥) الـ ـضـبُّ(٦) وأوفَى فى الشاهقِ الوَعِلُ(٧)

لا الجوّ يُنجِى الشغواءَ(٨) حائمـةً ولا سبوحٌ فى لُجّـةٍ يئـلُ(٩)

يُقتـادُ فى عزّه الخُبَعْثِنةُ(١٠) الـ ـضـارِى ويُدهَى فى ذلّه الجُعَـلُ(١١)

والحافظو عَورةِ العشـيرةِ لا الـ ـدّهر إذا شنّ غارةً عُزُلُ(١٢)

أىّ ديارٍ تُحمَى وقـد راع "تا جَ الدِّين" خطبٌ أنيابُه عُصُلُ(١٣)

---

(١) قروم : جمع قرم وهو الفحل العظيم من الإبل . (٢) مصاعب : جمع مصعب وهو الفحل لا يركب لكرامته . (٣) جدل : جمع جديل وهو الزمام المجدول من أدم . (٤) الهبل : الثكل .

(٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها جحرا . (٦) الشاهق : الجبل العالى .

(٧) الوعل : تيس الجبل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل "الشعواء" وهو تصحيف .

(٩) يئل : ينجو . (١٠) الخبعثنة : الأسد . (١١) الجعل : ضرب من الخنافس . (١٢) عزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه ، وفى الأصل "عذل" وهو تحريف .

(١٣) عصل : عوج ، واحدها : أعصل .

مستلبا من يديه لؤلؤةَ الـ ـغوّاصِ أدنَى أصدافِها الكِلَلُ (١)

ما كان يُدرَى من قبلِ ماغرَبتْ أنَّ الثريّا إلى الثرى تصِلُ

يابؤس للنائبات كيفَ أرت أُخوّة الفرقـدينِ تنفصِلُ

وإن عجِبنا منها فلا عجبٌ للشمسِ وارَى جبينَها الطَّفَلُ (٢)

لم يرتد المجدُ إذ أصيبَ بها ولا مشى العزُّ وهو منتعِلُ

سليلةٌ من سوابق درَجوا أمامَها فاستخفَّها العجَلُ

من الخدورِ التى بها احتجبوا إلى القبور التى بها نزلوا

تُنحرُ فى "مكّة" العِشارُ ولا (٣) تُنحرُ إلا عليهم المُقَلُ

مهلا فما يربح الحزينُ ولا يخسرُ إلا غناءَه الجَذِلُ (٤)

وهل يردُّ الأحبابَ إن رحلوا على محبٍّ أن يُندَب الطَّلَلُ ؟

حُوشيتَ من جلسةِ العزاءِ وأن يُضربَ فى أسوةٍ لك المثلُ

كم قد هوَى من سمائكم قمرٌ وغار فى الأرضِ منكمُ جبلُ

فما سكبتم له ذَنوبا من الـ ـدمع ونارُ الأحزانِ تشتعِلُ (٥)

ودّعتموه كأنكم شُمُتٌ أو العِدَى عنكمُ قد ارتحلوا

إذا مَراثى أحبابكم تُليتْ سمعتموها كأنها غَزَلُ

---

(١) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٢) الطفل : حمرة الأفق قبل غروب الشمس .

(٣) العشار : الإبل التى مر على حملها عشرة أشهر ؛ واحدها عشراء . — مثل نفساء ونفاس ولا ثالث لهما — . (٤) الجذل : المسرور . (٥) الذنوب : الدلو .

فليس ندرى من صخرةٍ نُحتتْ قلوبُكم أم دموعُكم وَشَلُ؟ (١)

وأنتمُ هَجْمَةٌ (٢) تقاربتِ الـ ـأسنانُ فيها فكلُّها بُزُلُ (٣)

فظاعنٌ (٤) عنكُمُ له خَلَفٌ وذاهبٌ منكُمُ له بدلُ

للدهر نُعمى ومنّةٌ ويدٌ ما قام فى الناس منكُمُ رجلُ

وقال يمدُح عفيفا القائمىّ :

لأىِّ مَرمًى تَزجُرُ الأيانِقا (٥) إن جاوزتْ «نجدا» فلستَ عاشقا

وإنما كان بكائى حاديا ركبَ الغرام وزفيرى سائقا

مذ ظعَنوا (٦) علمتُ أنى منهمُ أشيمُ فى أعلى السحابِ بارقا

أيا غرابا قد نعقتَ بهمُ فكن على آثارهم بى ناعقا

سائلْ شمُوسا ضربتْ حُمولها من شُقّة البين لها سُرادقا

لِمْ جَعلتْ أعيننا مَغاربا وآتّخذت خُدورَها مَشارقا

وكيفَ لاتحرُسها خيامُها وكل طَرفٍ قد أتاها سارقا

قُلّدت الدرَّ فما شككتُ أن قد نُظِمتْ ثغورُها مَخانِقا (٧)

واستهدت الحصورُ من بَنانها خواتما تلبَسها مَناطقا

رميتم القلبَ وظنّى أنكم تُخطون إذ ترمون شيئا خافقا

(١) الوشل : الماء القليل فى مستنقع . (٢) الهجمة : القطيع من الإبل دون المائة .

(٣) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل . (٤) الظاعن : الراحل ، وفى الأصل « فطاعن » وهو تصحيف .

(٥) الأيانق : جمع ناقة . (٦) ظعنو : رحلوا . (٧) المخنقة : القلادة .

فلم يكن أوّلَ ظنٍّ كاذبٍ؛ من يدفعُ الأمرَ أتى موافقا؟!

جراحةُ الأنصلِ (١) إنْ سبرتها (٢) تشهدُ أن السهمَ كان مارقا

أحبِس دمعى فينِدُّ شاردا كأننى أضبِطُ (٣) عبدا آبقا

ومن مُحاشاةِ الرقيب خِلتُنى يومَ الرحيل فى الهوى مُنافقا

كم لىَ فى الظّلماء من وقائعٍ أسَرتُ فيهنّ الخيالَ الطارقا

لما أتانى فى عجاجةِ (٤) الدّجَى مارسَ منّى فارسا مُعانقا

ما آستوقفتنى الدارُ عن طِلابهم وإن جلَتْ للعين مَرأًى رائقا

إذا رأيتَ القَطرَ يُحيي عُشبَها أبصرتَ مخلوقا بها وخالقا

يُنبِتُ فى هامِ الربى ذوائبا يُضحى لها خدُّ المَصيف حالقا

فاشتملت تِلاعُها (٥) رَفارفا (٦) وأتزرتْ أهضابُها نَمارقا (٧)

وغنّت الحمامُ فى عيدانِها تُحسَبُ فى أفنانها « مُخارقا » (٨)

وهبَّ نجدىُّ الصَّبا تحسَبهُ فارةَ (٩) مِسكٍ فى ثراها فاتِقا

فما رأيتُ الركبَ إلا لامسًا أو ناظرا أو سامعا أو ناشقا

بُعدًا لدهرٍ إن قَرَى أضيافَه سقاهمُ ماءَ الأمانى ماذقا (١٠)

---

(١) الأنصل : جمع نصل وهو حديدة السهم . (٢) سبرتها : خبرت غورها .

(٣) الآبق : الهارب . (٤) العجاجة : الدخان والعفار ، — والمراد بها الظلمة — .

(٥) تلاع : جمع تلعة وهى ما آرتفع عن الأرض . (٦) الرفرف : ثياب خضر — وهى مجاز — .

(٧) نمارق : جمع نمرقة وهى وسادة يتكأ عليها . (٨) مخارق : مغن مشهور . (٩) فارة المسك : وعاء المسك — ويسمى النافجة أيضا — . (١٠) الماذق : المشوب المخلوط .

قد كَسَد الفضلُ به فما تَرى ... فى ســـوقِهِ للفضلِ عِلْقا(١) نافقـا

ومعجزٌ أنَّ لسـانى ناطق ... عند زمانٍ أخرَسَ الشَّقاشِقـا(٢)

أكثرُ من تَخـــبُرُه من أهـــلِهِ ... يَظهَر فى دِينِ الوداد فاسقـا

غدرٌ يغطِّى الذئبُ منـــه وجهَهُ ... ويُخجِلُ الخِلَّ الودودَ الواثقا

مَعـاشرٌ قـــد حَفـــرَ اللؤمُ على ... حريم أمـــوالِهِمُ خنَـادقا

سيّان إن عُرِضتُ طِرْفا(٣) صاهلا ... عليهِمُ أو عُدتُ عَيرا(٤) ناهقـا

طلبتُ منهم بَيْعةً على [يدى](٥) ... فلم أجِدْ منهم لكفِّى صافقـا

إلا «جمال الدولةِ» المعطى الندى ... على ٱنتهـابِ رِفده مَـواثقـا

لو أمسكتْ بنـانُه معروفَه ... لأصبحتْ من كفِّه طَوالقـا

من حَســـدٍ ظَلَّ الغمامُ باكيا ... بقَطـــره وبالرعود شـاهقا

لقَّنـــهُ الطبعُ الكريمُ صُحُفـا ... من مذهب الجودِ بفـاء حاذقا

ماإن رأينـا قبـلَه ولا نرى ... من بعدِهِ وعدَ الأمانى صـادقا

إن تُلقَح الآمالُ من ميعـادِهِ ... فعن قليـل ستراها فارقـا(٦)

مكارمٌ تُسكِنه فى جَنّـةٍ ... قد غرَس الشكرُ بهـا حدائقا

---

(١) العلق : الشىء النفيس . (٢) الشقشقة : لهاة البعير . (٣) فى الأصل «أعرضت» . والطرف : الجواد . (٤) العير : الحمار . (٥) ليست فى الأصل ، ولعلها أقرب الى ما يتطلبه الصواب . (٦) الفارق : من الدواب التى أخذها المخاض فندت فى الأرض أو هى الناقة التى تفارق إلفها فتنتج وحدها .

من عاش كان ناطقا بحمده (١) ومن توى أودعه المهارقا (٢)

إن قلتَ : ما أحسنه شمائلا قلتَ : وما أكرمه خلائقا

مُكرِّرٌ (٣) للمكرمات قائلا بكأسها (٤) وصابحا (٥) وغابقا

لا يحسُن المديحُ عنده غيره ولا تراه بسواه لائقا

جدَّد فى سُبْل المعالى طُرُقا وزاد فى حدِّ الندَى طرائقا

يوماه إما لِطرادٍ يَصطفِى الرِّجالَ والسلاحَ والسوابقا (٦)،

أو طَرْدٍ (٧) جمَّعَ من أداتِهِ (٨) الـ ـفهودَ والكلابَ والسَّواذقا (٩)

فتارةً يصرَعهم فوارسا وتارةً يصيدها خَرانقا (١٠)

لو لم تكن تُطربُه الحربُ لمَا كان لِسربال العَجاج خارقا (١١)

لولاه ما كان السِّنانُ طاعنا يوم الوغى ولا الحسامُ فالقا

إذا الكماةُ لبِسوا دروعَهم أقاحيا (١٢) أعادها شقائقا (١٣)

لو هَزّ فى يمينه مخَاصرا (١٤) أرسلها ببأسه صواعقا

---

(١) توى : مات . (٢) المهارق : الصحف البيضاء يكتب فيها ، واحدها : مهرق — بضم فسكون ففتح — فارسى معرّب . (٣) القائل : الشارب فى نصف النهار أى فى قائلته . (٤) الصابح : الشارب صباحا . (٥) الغابق : الشارب عشية . (٦) السوابق : الخيل . (٧) الطرد : الصيد . (٨) فى الأصل «اذاية» وهو تصحيف . (٩) السوذق : الصقر ، وقيل : الشاهين . (١٠) الخرنق : — بكسر الخاء — . الفتى من الأرانب . (١١) العجاج : غبار الحرب . (١٢) الأقحوان وجمعه أقاح : نبات أبيض . (١٣) الشقائق : نبات أحمر . (١٤) المخصرة : عصا صغيرة يأخذها الملك فى يده .

لا يقتنى إلا حساما جاهـــلا ... ولا يُعِـــدُّ الرمحَ إلا مائقا (١)

إن شئتَ أن تعـــلم ما فِعلاهمـــا ... فاستخبر الضـــلوعَ والمَفـــارقا (٢)

ليس يبـــالى بالأعادى بعـــد ما ... يَعُـــدُّ ذؤبانَ (٣) الفلا أصادقا (٤)

إن أَعضـــلَ الأمرُ فنـــاطوهُ به ... كان المصـــلِّى (٥) والنجاحُ السابقـــا

لذا ارتقى عنـــد الإمام ذِروةً ... وحلَّ من رأيِ المليـــك شاهقـــا

لاحطَّتِ الأيّام عنـــك رتبـــةً ... ولا أراك الدهرَ إلا سابقـــا

تدوم مادام الزمانُ آمرا ... أو ناهيـــا وفاتقـــا وراتقـــا

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

رأيت الحُبَّ ليس يُنـــال إلا ... بحـــظٍّ من جَمـــالٍ أو نوالِ

وأنت من القباحةِ ذو نصيب ... حقيـــق بالتصارم والتقـــالى (٦)

وما سَتَرتْ عيوبَك عن عيونٍ ... بَصيراتٍ يداك ببـــذلِ مالِ

فأيّة خَـــلّةٍ غرّتك حـــتى ... خطبتَ بها مَودّاتِ الرجالِ

---

(١) المائق : الأحمق الغبى . (٢) مفارق : جمع مفرق — كمجلس ومقعد — وسط الرأس . (٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) أصادق : جمع صديق .

(٥) المصلى : الجواد الثانى فى الحلبة ، والأول : المجلى وهو السابق . (٦) التصارم : التقاطع ، والتقالى : البغض .

* * *

وقال فى مثله :

أثَرَوْا فما عـلِم امرؤٌ إثراءهم ... فلو آملقوا لم يعـلم الإملاقُ

سِيَّانِ إثراءُ اللئـيم وعُدمُه ... إن الدراهمَ عَرفُها الإنفاقُ

* * *

وقال فى الخمر :

وسـلافةٍ بُزلت فأبرزَ دَنُّها (١) ... ذهبًا يُرصَّـعُ عَسجدا إبريزا (٢)

خَبرَ النَّـدامى فعلَها فإذا بِهِ ... كالمـال يرجِعُ بالذليل عزيزا

فتناهبوها غـيرَ شكّ، إنهـم ... وجدوا بها مِلءَ الدِّنان كنوزا

* * *

وقال فى الغزل :

بدا ضاحكا لا لأحظَى بما ... تُسَرُّ به النفسُ من بِشره

ولكن رأى وجهَه مقمرا ... فأبدَى كواكبَ من ثغره

* * *

وقال فى مثـله :

أضـدَّانِ فى جسـدٍ واحدٍ ... مقيمان قد جعـلاه قَـرارا

دموعٌ من العين فيّاضـةٌ ... ووَقدٌ من القلب يَرمِى شَرارا

كأنّى من السُّـحُبِ السار يا ... ت يَحمِلنَ فيهنَّ ماءً ونارا

---

(١) الدن : إناء كبير توضع فيه الخمر كالراقود، وجمعه : دنان .

(٢) العسجد الإبريز : الجوهر الخالص — كالدر والياقوت — .

* * *

وقال لبعض الرؤساء :

شُـدُّوا على ظهر الصِّبا رَحلى ... إن الشبابَ مطيَّـةُ الجهلِ

إن أُحرِزتْ نفسى إلى أمدٍ ... دبَّرتُهـا فى الشَّيبِ بالعقـلِ

إن المغـرَّبَ فى مواطنـه ... من عاش فى الدنيـا بلا خِلِّ

وإذا الفـؤاد ثوى بلا وطر ... فكأنه ربعٌ بلا أهـلِ

من للظباء سـواى يقنِصُها ... إن أسكرتنى خمرةُ العـذبِ؟

أوغلتُ فى خوض الهوى أنَفًا ... للقلب أن يبـقَ بلا شُـغلِ

وحذِرتُ سُـلوانا فسُمتُهُـمُ ... أن يحـرِمونى لذّةَ الوصـلِ

فضَلَتْ دموعى عن مدَى حزَنى ... فبكيتُ مَن قتَـل الهوى قبلى

ما مرّ ذو شَجنٍ يكتِّمـه ... إلا أقـول : متيَّم مثـلى

يُخفى — ولا يَخفَى على نظرى — ... عَـلَمَ الخضوع ومِيسَم الذلِّ

يا فاتكا أضـراه (١) أنَّ له ... قَتْـلَى بلا قَوَدٍ (٢) ولا عَقْـلِ (٣)،

لِمَ لا تُريقُ دَمًا وصاحبُـه ... لك جاعلٌ فى أوسع الحِـلِّ؟

بُعـدًا لغِزلان الخدور لقـد ... خُلَتْ محاجرُهنَّ بالخَتْـلِ (٤)

يرمين فى ليـلِ الشبابِ لكى ... تَخـفَى علىَّ مواقعُ النبـلِ

---

(١) أضراه : أغراه .
(٢) القود : القصاص .
(٣) العقل : الدية .
(٤) الختل : الخداع .

لو لم يُرِدْ بى الســـوءَ خالقُها ما ضمَّ بين الحسن والبخلِ

اِقذف عدوَّك، إن أردتَ به دهياءَ، بين الأعين النُّجل

يبلُغنَ كلَّ العُنفِ فى لَطَفٍ ويَنلنَ أقصى الجِـــدِّ بالهزلِ

هبْهم لَوَوْا وعـدِى، فطيفهُمُ من ذا يجسِّره عـــلى مطـــلى؟

قـــد كدتُ أُنهِكُهُ معاقبـــةً لولا آدّ كارى حُرمةَ الرُّسْـــلِ

وعهودُكم "بالرَّمل" قد نُقضتْ وكذاك من يبـــنى على الرملِ

إن ازمعوا صرما فلِمْ عقَـــدوا يومَ "الكثيب" بحبلهم حبلى؟

لا يوثِق الأُســـراءَ بينهُـــمُ إلا رِشاءُ(١) الفـاحِمِ(٢) الرَّجْـــلِ

كيف الخلاصُ ومن قدودهِمُ وخدودهم ونهـودهم عقـــلى(٣)

وإذا الهوى ربَط النفوسَ فما يُغنيـك حَلُّ يدٍ ولا رِجْـــلِ

صحبى الألى أزجَـوْا مطيَّهُـمُ حتى أناخوها "بذى الأَثْلِ"

من يطَّلِـعْ شَرَفا فيعلمَ لى هـــل روَّح الرُّعيانُ بالإبلِ؟

أم قعقعَتْ عَمَدُ الخيام أم آر تفعَتْ قِبابُهمُ(٤) عـــلى البُزْلِ(٥)؟

أم غرَّد الحـادى بقافيـــةٍ منها غرابُ البين يستملى؟

إنى أحاذر من رحيلهـــمُ ما حاذَرَتْ أُمٌّ من الثُّكلِ

---

(١) الرشاء — فى الأصل — : حبل الدلو — والمراد به هنا الغدائر — . (٢) الفاحم الرجل : الشعر الأسود الكثيف . (٣) العقل : الربط . (٤) فى الأصل « قيامهم » وهو تحريف . (٥) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل .

إن كان ذاك ، فصادَفوا لقَماً (١) يعمَى الدليـلُ به عن السُّبْلِ

رِنقا فلست أُطيق أحمـلُ ما حَمَلَ "الأجلُّ" لنـا من الثِّقلِ

وهو الذى كلٌّ يُقـرّ لـه يومَ الفخار عليـهِ بالفضلِ

أَغلتْ مكارمُه المهـورَ على تزويج بِكرِ القـول بالفعـلِ

وحبـا العفـاةَ وهم بدارهمُ حـتى دَعَوه جامعَ الشمـلِ

يعطيـك فى عُسُر وفى يُسُرٍ ويُنيـل من كُثْرٍ ومن قُـلِّ

مثل السـحابةِ ما تُغبُّك فى الـ ـحالاتِ من وبل ومن طـلِّ

فكأنما أوحَى إلى يده أن تقتـلَ الإملاقَ بالبـذلِ

شجـر من المعـروف أنبتهـا تختال فى ثمـر وفى ظـلِّ

ومناهـلٌ إن يرضَ واردها بالنَّهْـل (٢) يجـبُرْهُ على العَـلِّ

ظنًّا بأن الفـرضَ ليس له حمـدٌ وأن الشكرَ (٣) للنَّفلِ

لعـدوّه ما للصـديق به والغيثُ رزقُ الحَزِن (٤) والسهلِ

وإذا السماء غدت كأنّ على أبوابها قُفـلا من المحَـلِ ،

وجدوا الغمامَ (٥) قلائصا (٦) غَرِضتْ بالسير من جهـد ومن هُزْلِ (٧)

---

(١) اللقم : معظم الطـريق .
(٢) النهـل : أول الشرب ، والعـل : ثانيه .
(٣) النفل : ما يفعل مما لم يجب فعله .
(٤) الحزن : الوعر من الأرض ضد السهل .
(٥) قلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل .
(٦) غرضت : ضجرت وملت .
(٧) الهزل . الضمور .

وٱستحسن الكرماءُ من سَغَبٍ (١) أن يبعثوا بذخائر النمـلِ

فى شَتـــوةٍ شمـطاءَ عانسـةٍ عزَّ الرَّضاعُ بها على الطفـلِ،

بكَرت انامـلهُ بغـاديةٍ (٢) تكسو البـلادَ مَلاحفَ البَقْلِ

وكأنما الأنـــواءُ حائلةٌ (٣) عجفـاءُ (٤) تَرمُحُ (٥) حالبَ الرِّسْـلِ (٦)

بلغَ المدى، والتابعون له متعثرون بزَلّة النعـلِ

لوقَلّد الشجعانُ عزمتَـه لغَنُوا عن الهِندىِّ ذى الصقلِ

حُنِيتْ أضالعُـه على همـم مخـلوقة للعَقـد والحَـلِّ

لا يدّعِى إقـدامَه أحـدٌ وإن ٱدعاه فوالدُ الشِّبلِ

ما يذعَرُ الخصماءَ من فُطُـمٍ (٧) ترميهـمُ (٨) بشقـاشقٍ تغَـلى؟!

أبدا يفِـرُّ صريعُ منطقـه منـه إلى الخَطّىّ (٩) والنَّصـلِ (١٠)

يرنو الزمانُ إلى معـانده حنَقًا عليـه بأعينٍ قُبْـلِ (١١)

فى كفِّـه صَمّاءُ (١٢) ضـامرةٌ سرَقَتْ شمائلَها من الصِّلِّ (١٣)

---

(١) السغب : الجوع . (٢) الغادية : السحابة تمر فى الغدوة . (٣) الحائلة : التى لم تحمل . (٤) العجفاء : المهـزولة غير السمنية . (٥) ترمح : تدفع . (٦) الرسل : اللبن . (٧) فطم : جمع فطيم وهو ما فصل عن الرضاع . (٨) شقاشق : جمع شقشقة وهى لهاة البعير يهدر بها . (٩) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى بلدة تباع فيها الرماح ولا تنبت بها — يقال : رماح خطية — على الوصف ، ورماح الخط — على الإضافة — . (١٠) النصـل : السيف . (١١) قبل : جمع قبلاء وهى العين التى أقبل سوادها على الأخرى . (١٢) الصماء : الحية ، — والمراد بها هنا القلم على التشبيه — . (١٣) الصل : الثعبان .

سـمُّ الأساودِ (١) فى نواجذها (٢) وإن آغتذت بمُجاجةِ النحـلِ

ما حُكِّمتْ فى أمرِ مُشكلةٍ إلا أتت بقضـيَّةٍ فَصـلِ

من مثـلُه لقـراع نائبـةٍ فيهـا فراق العِرْس للبَعـلِ!

هيهات أن تلقَ مشابَه ، أمُّ الصقـورِ قليلةُ النسـلِ

* * *

وقال وكتب بها الى الشريف أبى جعفر بن البَيَاضىّ (٣) يداعبه :

مرضٌ بقلبك ما يعـادُ وقتيـلُ حب لا يقادُ (٤)

يا آخـر العشّـاق، ما أبصرتَ أوّلهم يذاد؟ (٥)

يقضِى المتـيَّم منهـمُ نحبا ولـو رُدُّوا لعـادوا

ملكوا النفوسَ فهل لنـا من بعـدها ما يستزادُ

أبدا جنـاياتُ العـيو ن بحَـرِّها يَصلَى الفـؤادُ

ما خلتُ غِزلان "اللِّوى" كظباءِ "مكَّةَ" لا تصادُ

يقظـان تَنصـلُ أحبُلى (٦) عنهـا ويقنِصها الرقادُ

بالعـذلِ تُوقَـد لوعتى وبقَـدحِه يُورَى الزِّنادُ

لم يسـتطعْ إطفاءَها دمعٌ كما آنخـرقَ المَـزادُ (٧)

---

(١) أساود : جمع أسود وهو الثعبان . (٢) النواجذ : الأنياب . (٣) نسبة الى « بياضة » بطن من الأنصار، أو نسبة الى جماعة نسبوا الى لبس الثياب البيض ببغداد .

(٤) لا يقاد : لا يدفع قوده وهو الدية . (٥) يذاد : يدفع . (٦) تنصل : تنفصل .

(٧) المزاد : وعاء يوضع فيه الزاد .

لا تنكرا جُرحى فلا ... عذّال ألسنةٌ حِدادُ

طمعٌ وأنتَ "برامةٍ" ... فيمن تضمّنه النِّجادُ؟ (١)

والحىّ قد هبطَتْ خيا ... مُهُمُ وقعقعت العمادُ

والوَردُ من زَهر الخدو ... د كِمامهُ الكِلَلُ الوِرادُ (٢) (٣) (٤)

لو يسمحون بوقفةٍ ... أبَت المطايا والجيادُ

ظعنوا بأقمارٍ عليـ ... ـها تُحسدُ الكومُ الجِلادُ (٥)

ولأجلها غَبَطَ الغَبيـ ... ـطَ حجابُ قلبي والسوادُ (٦)

فيقول : أىّ الحالتيـ ... ـن أشدُّ، هجرٌ أم بعادُ؟

تعفو المنازلُ إن نأَوا ... عنها وتغبرُّ البلادُ

والحىُّ أولَى بالبِلى ... شوقا إذا بَلِىَ الجمادُ

ما ضرَّهم، والحسنُ لا ... يبقَى، لو آمتنُّوا وجادوا !

أتُرى حرامٌ أن يُرَى ... فى الناس معشوقٌ جوادُ؟!

لعبٌ مفاتيحُ الهوى ... والحرب أوّلُها طِرادُ

أوَ ما رأيت فتى قريـ ... ـشٍ" وهو للجُلَّى عَتادُ،

وله المعانى المستدقّةُ والكلامُ المستفادُ،

---

(١) النجاد : حمالة السيف . (٢) الكمام : جمع كم وهو ما يغطى الزهر من الورق الأخضر .
(٣) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٤) الوراد : الحمر كالورد . (٥) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٦) الغبيط : الرحل يشد عليه الهودج .

وأَصالةٌ فى الرأى بالـ ـسِّحر الموشَّى لا تُكادُ،

وشواردٌ فى القول قد قُرِنتْ بها السَّبعُ الشِّدادُ،

"كالهرقليَّاتِ"(١) النوا صعِ ليس يَنفيها آنتقادُ،

فكأنه "قسٌّ"(٢) "وها شمٌ"(٣) حولَ منطقِهِ "إيادُ"،:

كيف آرتعَى زَهرَ الصبا بةِ، والغرامُ له قيادُ

بعد التخيُّل والمِرا حِ ونَى وذلَّلهُ القيادُ

نشوان لا فى عطفه بطرٌ(٤) ولا فى الرأس صادُ(٥)

فبه فلانٌ أو فلا نٌ لا "سُلَيمى" أو "سعادُ"

يرضَى بطيفٍ قال : مو عدُنا الحشيَّةُ(٦) والوِسادُ

وتُحَلُّ عُقدةُ نُسكهِ بالشىء لفّفه البِجادُ(٧)

يا مُصعَبا(٨) جرّته فى أرسانها(٩) اللُّمُ(١٠) الجِعادُ(١١)

وآستهدفته رواشقُ الـ ـلحظات مثنَى أو أُحاد

---

(١) الهرقليات : النقود المسكوكة باسم هرقل — بفتح الراء وسكون القاف — وسكنت هنا الراء وفتحت القاف لضرورة الوزن . (٢) يشير الشاعر الى قس بن ساعدة الإيادى وهو من أفصح العرب .

(٣) يشير الى بنى هاشم بن عبد مناف القرشى جد أسرة الممدوح . (٤) بالأصل : نظر وهو تصحيف ، والبطر الآستخفاف ، يقال : جر إزاره بطرا . (٥) الصاد : التكبر .

(٦) الحشية : الفراش المحشو . (٧) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به ، وفى الأصل "النجاد" وهو تصحيف . (٨) المصعب : الفحل لا يركب لكرامته . (٩) أرسان : جمع رسن وهو الحبل تقاد به الدابة . (١٠) لمم : جمع لمة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(١١) جعاد : جمع جعد وهو الشعر الذى فيه التواء وتقبض .

وآســـتعطفته روادفٌ كُثبانها[1] نِعـــمَ المِهادُ
ولَمَى رضابُ النحل يشـ ـهد أنّ ريقتَه شِهادُ[2]
ولربما خار الجـلـيـ ـدُ وغُلِّطَ الرأىُ المرادُ
قـد كان قبـلك فى سبيـ ـل الحبّ لى أبدا جِهادُ
حتى خبا ذاك الضـرا م، وغاية النـار الـرَّمادُ
وإذا رأيتَ الكون فآء لمْ أن سيتبعُهُ الفسـادُ
وآعجب لقـومٍ فى الزما ن على السفاهة كيف سادوا!!
لا عنـدهم كَلِـمٌ تَغـ ـرُّ ولا نُضـارٌ يستفـادُ
أســتغفر الله العـلـ ـىَّ لقـد تذأّبت[3] النِّقادُ[4]

* * *

وكتب إليه أيضا وقد عتب عليه بسبب أبيات كانت فى هـذه القصيدة فأسقطها :

عَتَب الشريفُ لأن نشرتُ محاسنا مرموقةً من خُلقِـه وجلالِهِ
وزعمتُ حقّا أنّ بدرَ جَماله زانت مطالعَـه نجـومُ خِصالِهِ
بمحاسنٍ لو كان يمكن صوغُها أغنتْ غزال الإنس عن خَلخالِهِ

---

(١) كثبان : جمع كثيب وهو تل الرمل ؛ — ويشبه الردف به — . (٢) شهاد : جمع شهد وهو عسل النحل . (٣) تذأبت : صارت كالذئاب . (٤) النقاد : صغار الغنم .

صِـفة الهـــلال بدا أوانَ طلوعه أن لا يشـــعِّثَه زمانُ كمالِهِ

فضلُ الملاحةِ عنـــد كلّ مصوِّرٍ فى الناس ليس إليـــه نقصُ مثالِهِ

عتبٌ لعمرُك ليس يَعتِب مثـــلَه إلا حبيبٌ شـــاءَ(١) قطعَ حبـاله

فامسح جفونَك عن عقابيلِ(٢) الكرى وانظر وصـــلِّ على النبىّ وآلِهِ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى سعد بن المطّلب فى غرض :

أىُّ لبيبٍ بك لم يُخـــدَع وأىُّ عين فيك لم تدمَع؟!

لا أمدح اليـأسَ ولكنه أروحُ للنفس من المطمع

أفلحَ من أبصـرَ عُشْبَ المنَى يُرعَى فـــلم يَـــرْعَ ولم يرتَع

يا ليتَ أنّى قبـلَ وَقْرِ(٣) الهوى أذِنتُ للعـــذل على مسمعى

هل ما مضَى من عيشةٍ راجعٌ؟ وانُحلفُ كلَّ الخلف فى المرجِـع!

أين بدورٌ من بنى "دارمٍ" تبخل أن تُسـفر فى مطلع

لا فى سِرار(٤) الشهر تبـــدو لنا ولا ليالى العشـــر والأربـع

لو لم تكن أعينُهم أسهما ما خرَقَت فى جانب البرقـع

كيف تَخَطَّينَ إلى مَقتـلى وما درَى تُرسى ولا أدرعى

---

(١) فى الأصل "ساء" وهو تصحيف .

(٢) العقابيل : البقايا ، — كعقابيل المرض والعشق وغيرهما — .

(٣) الوقر : الصمم .

(٤) السرار : — بالفتح والكسر — آخر ليلة فى الشهر .

أودعتُهم قلبى وما خِلتُهم ... يستحسنون الغدرَ بالمودعِ

صار بأيديهم وحاكمتهم ... فالحقُّ حقّى وأنا المدّعى

لو زارنى طيفُهمُ ما درى ... من الضنا أنىَ فى مضجعى

أقول للركبان قد أزمعوا ... حجًّا إلى الأطلال والأربُع: ،

لَبُّوا بذكرِى فى "عقيق الحمى" ... وذلك المصطافِ والمَربَع

وأخبروا عنّى بما شئتُمُ ... فإنه دون الجوى الموجِع

دَرَتْ على مرعاهُمُ ديمةٌ(١) ... تحنو على أطفاله الرُّضَّع

غرّاءُ لو يَنبُتُ شَعْرٌ بها ... لأنبتت فى جبهةِ الأقرع

كلُّ سحابٍ أمطرتْ أرضَهم ... حاملةٌ للماء من أدمعى

وكلّ ريحٍ أزعجت تُربهم ... فإنها الزفرةُ من أضلعى

أتشفع الخمسون لى عندَهم؟ ... هيهاتَ والعشرون لم تَشفع!!

إن أمطرتْ عيناى سُحْبا فعن ... بوارقٍ(٢) فى مَفرِقى لُمَّع

تُريد عُمْرا وشبابا معًا ... أشياءُ(٣) للإنسان لم تُجمَع

سيّان عند الغانيات آكتسَى ... رأسُ الفتى بشيبه أم نُعِى!!

يُصبَغُ رأسُ الدهر من ليلهِ ... وصبحِهِ بالجَوْنِ(٤) والأسفع

---

(١) الديمة: المطرة الدائمة. (٢) مفرق - كمجلس ومقعد - : وسط الرأس حيث يفرق الشعر، والبوارق اللع: كناية عن الشيب. (٣) لذا فى مختارات البارودى وفى الأصل شيئان. (٤) الجون: الأبيض، والأسفع: الأسود.

نوائبٌ أضعافُ عدِّ الحصى ... تجمعُ بين الضبِّ والضِّفْدَعِ

تصطلمُ (١) العفراءَ (٢) فى قفرها ... وتفجأ العذراءَ فى المخدَعِ

كم مرَّ بى من صرفه حاصبٌ (٣) ... لو مرَّ بالورقاء لم تسجعِ

رفعتُ من أمواجه منكبى (٤) ... حيث يشير الجون بالإصبعِ

من لم يخُض غمرتها لم يشِدْ ... قواعدَ المجد ولم يرفَعِ

دون المعالى مرتقًى شاهق ... فطِرْ إلى ذروته أو قَعِ

قل للصعاليك (٥): أرى دينكم ... دِينى ودِينَ الأسَد الأفدعِ

إمّا قرَى بُرثُنُه (٦) نابَهُ ... أو ماتَ طيَّانَ (٧) ولم يَصرَعِ

متى أرا كم كذئابِ "الغضا" ... شممنَ ريح المَعِزِ الرُّتَّعِ

فى فتيةٍ (٨) أكثرُ تهويمهم ... إسناد هاماتٍ إلى أذرُعِ

إن عرَّسوا (٩) لم يعقِلوا إبلَهم ... إلا بوفراتٍ (١٠) مع الأنسُعِ

مثل نجوم الليل يُهدَى بهم ... من ضلَّ فى الدَّيمومةِ (١١) البلقَعِ

---

(١) تصطلم : تستأصل . (٢) العفراء : الظبية البيضاء . (٣) الحاصب : الريح تثير الحصباء وتحملها . (٤) الجون : الأسود — وهو من الأضداد — ويريد به الليل ، ويحتمل أن يكون محرفا عن "الجو" ، والمراد بالإصبع الهلال . (٥) الأفدع : الذى اعوج رسغ يده أو رجله . (٦) قرى : أطعم ؛ والبرثن : — من السباع — بمنزلة الإصبع من الإنسان . (٧) الطيان : الجائع . (٨) عرسوا : نزلوا آخر الليل ، وفى الأصل «غرسوا» وهو تصحيف . (٩) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس . (١٠) الأنسع : جمع نسع وهو الحبل من أدم . (١١) الديمومة البلقع : المفازة القفر .

يخضبُ أيديهم نجيع الطُّلَى (١) إن خضبَ الأقوامُ بالأَيدِع (٢)

قلتُ وهم من نَشَواتِ الكرى مـــوائلٌ كالسُّـــجَّد الرُّكَّع ،

حُثُّوا مطاياكم فكم غاية قد بُلِغَتْ بالأينق الظُّلَّع (٣)

وادعوا "أبا سعدٍ" يساعِدْكُمُ مثلَ سنانِ الأسمرِ (٤) المشرَعِ

باعٌ طويلٌ ويدٌ طَلقةٌ ومنطق يختال فى المجمع

إذا ارتقتْ أقلامُه كفَّه تهزّأت بالخاطبِ المِصقَع

غُدرانهُ بالفضل مملوءةٌ متى يَرِدْها حائمٌ ينقَع

يكشِفُ منه الفَرُّ (٥) عن قارحٍ (٦) قد أحرز السبق ولم يُخدَع

ليس جمالُ المرءِ فى بُرده، جمالُهُ فى الحَسَب الأرفع

يشير إيماءً إليه الورى إن قيل : منَ يُعرَفُ بالأروَع ؟!

يريك ما ضَمَّت جلابيبُه محاسنَ العالَم فى مَوضع

يُوكَسُ من لا أدبٌ عنده وكْس الدنانيرِ ولم تُطبع

أيا أخى ، والودّ أرحامُه إن تُقطَع الأرحامُ لم تُقطع ،

ما بيننا من أدبٍ جامع أقربُ من والدةٍ مُرضِع

---

(١) الطلى : الأعناق ، واحدها : طلية .

(٢) الأيدع : الزعفران .

(٣) الظلع : جمع ظالع وهو الذى به غمز يشبه العرج .

(٤) الأسمر : الرمح .

(٥) الفر : الكشف عن أسنان الفرس وغيره لتعرف سنه .

(٦) القارح — من الخيل — بمنزلة البازل من الإبل .

لُبـانةٌ لى هى إن تَقضِهـا صنيعةٌ فى موضـــع المصنـع

ورائدٌ مثـــلك مســـتودِعٌ أهليـه فى أحفظِ مســتودَع

ألا آبلغا عنّى الذى شكـره صريرُ (١) رحلِ الراكب المُوضِع (٢)

مَن تَصدُر الآمالُ قد أُترِعتْ مَزادُها من حوضهِ المـــترَع

لا خُلَّبٌ بارقُ معـــروفهِ ولا سحـابُ البيد بالمُقشِـع

إن أنتَ شبّهتَ به غـــيرَه ســـوّيت بين النَّبع (٣) والخروع (٤)

ما بالُ أعـــدائى ملَّكتهـــم عِنـانَ رأس السـابحِ الأتلع (٥)

يرمون حبّى بحصى زُورهم رمَى حِمارِ الجِّ باليَرمَـــع (٦)

كلُّ فمٍ يَنفُثُ بى قـــولةً أسلمُ منهـا لسعةُ الشَّـبْدَع (٧)

علىَّ صاروا عنـد نُصحى ولو عملتُ بالغِشّ لكانوا معى

واستعطفِ الرأى ليرجِـعْ به من رجَعَ الشمسَ الى "يُوشَع" (٨) (٩)

فأنتَ أهدَى فى طريق العلا من القَطـا فى اللاحبِ المَهيع

واظفَرْ بها لو أدركت "ثعلبا" أنسته مايُروَى عن "الأصمعى"

أمسِ رأينـا قائـــلا سامعا واليوم قـــد أعوزنا من يعى

---

(١) الصرير : صوت الباب وغيره . (٢) الموضـع : الذى يسير الإيضاع وهو ضرب من السير السهل السريع . (٣) النبع : شجـر ينبت فى أعالى الجبال تتخـذ منه القسى . (٤) الخروع : كل نبت ضعيف . (٥) الأتلع : الطويل العنق . (٦) اليرمع : حصى بيض رخوة . (٧) الشبدع — بكسر الدال وفتحها — : العقرب . (٨) اللاحب : الطريق الواضح . (٩) المهيع : الواسع .

* * *

وقال يعاتبُ بعضَ رؤساءِ العصر فى نَبْوةٍ جرَت بينَهما :

أَوَمل بعدَ هـــذا الأسرِ حَلًّا ... وجِـــدِّ نوائب الأيام هَزلا

وأعلم أنّ جَور الدهرِ طوعا ... سيُعقب بعـــدَه بالكُرهِ عدلا

يقولُ لى اصطبارى : قف رويدًا ... فأىّ سحائب الغَمرات تُجلى

ليـالٍ خابطاتٌ فى سُـــراها ... وما تَدرِى أصبنَ القَصدَ أم لا !

وأيامٌ تَراكضُ فى مَـــداها ... كأنّ وراءها طَرْدا وشَـــلّا

فمَن راغَمنَـــه رجَع الهُوينا ... ومن أخطأنه بلغ المحَـــلّا

فكم أفقرن بالبؤسَى غنيًّا ... وكم أغنين بالنُّعمى مُقِـــلّا

تُراها خُـــيِّرت فيما لديها ... فما اختارت سواى لهنّ شُغلا ! !

سهامٌ مؤلماتٌ كلَّ يـــومٍ ... تُصيب ولا أرَى ريشًا ونَصلا

ولو كانت نبالُ "بنى هُذَيْلٍ" ... لبِستُ لهن سابغَـــةً (١) رِفَـــلّا

وما ذنبى إليها غـــير أنّى ... جمعتُ محاسنا وحويتُ فضلا

فـــلولا أننى أرعِى فـــؤادى ... بأوديةِ الأمانى متُّ هُـــزلا (٢)

أَعُدُّ ذنوبَهـــا بيدى، ومَن ذا ... يُعَدّ "بعالجٍ" و"الخبتِ" (٣) رملا

---

(١) السابغة الرفل : الدرع الطويلة . (٢) الهزل : الضمور . (٣) عالج والخبت : موضعان مشهوران بكثرة الرمال فيهما .

إذا ما شئتَ أن تحيا سعيدا ... فقل : لا تؤتنى يا ربِّ عقلا

فما عيشُ الوحوش بخير عيشٍ ... به طابت به حُمقا وجَهلا

نُبُثُّ لها الحبائلَ وهى وهْمَى ... تجاوِبُ باغِما(١) وتَرُبُّ(٢) طِفلا

وما للمرء خيرٌ فى حياةٍ ... إذا أمسى على الإخوان كَلَّا(٣)

لقد خلعَ التصابى مستجدٌّ ... نُصولُ عذاره غِمدًا مُحلَّى

تقِلُّ عن الغرام وأنتَ طِفلٌ ... وتكبَرُ عن طلابِ اللهو كهلا

وفيما بين ذاك وذا شبابٌ ... تمانعك الأحبَّةُ فيه وصلا

فأىّ زمانك الحُلوُ المُهنَّا ... وأىّ قِداحك القِدحُ المُعلَّى(٤)

لذاك بدأتُ بالهجران «هندا» ... كما عاجلتُ بالسلوان «جُملا»

وصرتُ إذا رأيتُ الظبى يرنو ... كأنّى ناظرٌ ليثاً مُدِلّا

إذا ما هزَّ فى بُرديْه عِطفا ... هززتُ عليه من كفّىَّ نَصلا

طروبٌ للوشاة إذا أعادوا ... علىَّ ملامةً فيه وعَذلا

وأحسنُ من قدودِ البيضِ تهفو ، ... قدودُ السُّمر فى الهيجاء تُجلَى

فلا تُبرِقْ لىَ الحسناءُ ثَغرا ... ولا تُرسِلْ على المتنينْ جَثْلا(٥)

ولا تنفُثْ بسِحرٍ فى جفونٍ ... حلَلْتُ عقودَها كَلَّا وكُلّا

---

(١) الباغم : الظبى . (٢) ترب : تربى . (٣) الكل : الثقل .

(٤) المعلى : سابع سهام الميسر . (٥) الجثل : الشعر الكثيف .

على أنّ الهـوى فى كلّ قلبٍ ألذُّ من المنَى طَعما وأحـلَى

فلا يغـرُرْك من ينجو سليمًا ولا تحسبْ عِلاجَ الحبّ سهلا

ولكنّى آستعنتُ على فؤادى بأصـنافِ الرُّقَى حتى أبَلّا (١)

وحذّرنى من الأحبابِ أنّى رأيتُ دَمًا «لعُروةَ» (٢) كيف طُلّا

أقلنى من ظبـاء "بنى عَدىّ" فمـا أخشى ظباءَ الإنس كلّا

فهنّ إذا غَزَوْنَ إلى قبيلٍ أسرن مُعاهِـدا وقتلن خِلّا

وما أهوَى سوى البَيداء دارًا وأفراسًا تَضـيعُ (٣) بهـا وإبلا

وأسمرَ يرعُد الأنبوبُ منـه غداةَ الروع خوفا أن يَزِلّا

وأبيضَ تحسبُ الطُّبّاعَ بثّتْ على مَتنيْه والحَدّين (٤) نمـلا

وممشوقٍ من الفِتيـانِ يُدعَى لكلّ عظيمةٍ فيجيب : هَـلّا

كأنّى فى الضحى أرسلتُ صَقْرا وفى جُنح الدجى (٥) سِمْعا (٦) أزَلّا

أشير له فيفهـمُ وَحى طَرفى وخيرُ القول ما إن قَـلّ دلّا

(أنا آبن جلا وطـلّاعُ الثنايا) (٧) وصاحبُ سـيرةٍ تروَى وتُملَى

تحكّكْ «بالرئيس» (٨) وفز بشكرى وحقًّا تطلُبُ الجـرباءُ (٩) جِذْلا،

---

(١) أبل : شـفى . (٢) عروة بن حزام : أحد الذين قتلهم الحب . (٣) كذا بالأصـل ولعلها محرفة عن تصـيح أو تعج وما الى ذلك . (٤) فى الأصل « الخـدين » . (٥) السمع : الذئب . (٦) الأزل : الخفيف الوركين السريع . (٧) من قول سحيم بن وثيل الرياحى وقد استشهد به الحجاج وتمام البيت .

* متى أضع العمامـة تعرفونى *

(٨) فى الأصل «الحرباء» وهو تصحيف . (٩) الجذل : أصل الشجرة ، أو هو عود ينصب للجربى تحتك به .

تلاقِ المجـــدَ برَّاقَ المُحيَّـا وثغرَ الجُـود يضحَك مستهِلّا

ومطـــروقَ الفِنـاءِ لزائريه تقولُ كلابُه : أهـــلا وسهلا

شمـائلُ تسرِق الأقوامُ منهـا وتَفضَح بالمتحانٍ من تحـلّى

وهبْ أنّ الرجالَ حكَتْه قولا فهـــل يحكونه قـولا وفعلا؟!

يطوفُ الوفدُ فى الآفاق حتّى تُحَـطَّ به الرحائلُ حيثُ حلّا

إذا نزلوا فما لهـــمُ ارتحالٌ ومن ذا يجتوى (١) بَرْداً وظِـــلّا

وكلُّ فضيلةٍ ذُكِرَتْ لقـــوم رأَوه بذكرِها أحرَى وأولَى

هو البطلُ الذى خَصَم الليالى فبيَّـن فى وقائعهـا وأبلَى

يحيـد (٢) خُصومه عنه، ومَن لا يخافُ الليثَ أقبـلَ مصمئلّا (٣)!

يَروع بصمتِه من شاءَ منهـم وتخشَى الطيرُ بازيا تَجـلّى (٤)

شهدتُ بأنه الدرُّ المصـــفّى وأنفسُ قيمـةً منـــه وأغلَى

وقالوا : هل سواهُ بقِى أناسٌ يليقُ بها المديحُ، فقلتُ : كلّا!

بـلى يا ربما نُسِـــبوا ادعاءً إلى كرمٍ كما نُسبَ "المُعلّى" (٥)

ألَا يا أيّهـا الرحبُ السـجايا ومن يسقِى بكأسِ الجود علّا (٦)

---

(١) يجتوى : يكره . (٢) فى الأصل «خصومة» وهو تصحيف . (٣) المصمئل : المتنفخ غضبا وشدة . (٤) تجلى : نظر الى الشىء مشرفا . (٥) فيه إشارة الى قول أبى على البصير :

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم

(٦) العل : الشرب الثانى، والأول : النهل .

عهِدتُ نداكَ يورِقُ منه عُودِى ... ويُمرِعُ إن شكت كفّاىَ مَحْلا

وما زالتْ عُلاكَ أُحِلُّ منها ... ربًى من رامنى فيهنّ زلّا

وكم لكَ من أيادٍ قد تشكّتْ ... اليك مناكبى منهنّ ثِقْلا

نظمتُ من الثناءِ لها "زَبورا" ... لفرطِ الحسن فى المِحراب يُتلَى

فما لى يشلِمُ الأعداءُ حدّى ... ويختلق الوشاة علىَّ بُطلا!

ويرمونى بزور القول حتّى ... تمنّى جانبى لو كنّ نَبْلا

فيا للهِ حيث وضعتُ جنبى ... أمارسُ عَقربا منهم وِصِلّا! (١)

محالُهُمُ يمُدّ الىَّ باعا ... وباطلُهم يحُطُّ علىَّ رِجلا

خُصومٌ ينظرون إلىَّ شَزْرا ... ومن ذا يقهَرِ الخصمَ المُوَلَّى

ولو لم أشجُهم (٢) بدَمِى ولحمى ... لقد أفنَوْهما شُربا وأكلا

ولا واللهِ ما قارفتُ ذنبًا ... ولا جذّت يدِى للنصح حَبلا

ولا استذكرتُ ما أوليتَ إلا ... رأيتُ خِيانتى والغدرَ بَسْلا (٣)

وأُقسم "بالمطايا مُشعَراتٍ" (٤) ... غداة النحر قد خُلِخلن (٥) عُقْلا (٦)،

و"بالغُبرِ الأشاعثِ" (٧) لا دِهانٌ ... تُرجِّلهم (٨) ولا "الهاماتُ" (٩) تُفلَى،

---

(١) الصل : الثعبان . (٢) أشجهم : أغصهم بالشجا وهو ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٣) البسل : الحرام . (٤) المشعرات : البدن المعلمة وهو أن يشق جلدها أو أن تطعن أسنمتها لتعرف أنها من الهدى . (٥) خلخلن : ألبسن فى موضع الخلاخيل . (٦) عقل : جمع عقال وهو ما تربط به الدابة . (٧) الغبر الأشاعث : الإبل المغبرة المتلبدة شعر الرأس .

(٨) رجل الشعر : سرحه . (٩) هامات : جمع هامة وهى الرأس .

و"بالجمرات" تحذفُ "أخشَبَيْها"(١) أنامـلُ تبتغِي مَنًّا وفَضـلا،

و" بالحَرمين" تملأُ عَرصَتَيْها من الآفاقِ رُكبانٌ ورَجْـلَى،

و" بالبيتِ المقدَّسِ" والموقِّ قِرى الأضيافِ عنه "والمصلَّى"، :

بأنى ما لبستُ الغشَّ ثَـوبا ولا أسكنتُ قلبى فيـك غِلَّا

وما هى غيرُ أقـوالٍ تُوشَّى ولستَ ترى لها فرعا وأصلا

وأنت الحاكمُ العـدلُ القضايا إذا حار امرؤ فـيما تـولَّى

أعوذ بحسن رأيك منك فيها وأن ألقَى من الخُصماء خَبـلا

فإن حزَّ الفَـوارِى(٢) فى أديمى فلا عيبٌ إذا ما السيفُ فُلَّا

* * *

وقال يمدحه :

لقـاؤك يا "لُبنَى" لقـاءُ خَيالِ فمـا منـكما إلا غريمُ مِطـالِ

مواعيـدُ كاليقظَى خوالب بارقٍ وضُمّانُهُ الوسـنَى تخيُّـلُ آلِ

وإنى وإن جرّت زمامى عواذلى لأتبعُ فيـكِ باطـلى وضَـلالى

وأعـلمُ أن الحبَّ موقفُ طاعةٍ يُجـاب به للشـوق كلُّ سـؤالِ

ومن ظنّ أن العذلَ يقتنص الجوى فقـد قاده صـعبا بغـير عِقـالِ

---

(١) الأخشبان — بصورة التثنية — : جبلان بمكة، اسم أحدهما : أبو قبيس؛ والآخر : الأحمر، وفى الحديث «لاتزول مكة حتى يزول أخشباها» وهما من المثنيات التى لا تفرد، كالرافدين لدجلة والفرات.

(٢) الفوارى : اللواتى يقطعن الأديم — وهو الجلد — ويشققنه على جهة الإفساد.

لأنتَ أطبُّ الناس إن كنتَ قادرا ... على بُـــرء داءٍ بالفـــؤاد عُضـالِ

وصـــفتَ لسقمى قُبـلةً وٱعتناقةً ... وذاك شـــفاءٌ فى رءوس عَـوال (١)

إذا لم يذُق شيئا سوى الهجر عاشقٌ ... فمن أين يـــدرى كيفَ طعمُ وصالِ!

جهـــولٌ بشأن الغانيـاتِ مسَـلِّم ... عليهنَّ فى شَيبٍ ورقّـةِ حالِ

لِبسن لنـا دِرع الصـــدود كأنما ... نراميهُـمُ من شَـــيبنا بنصـالِ (٢)

ليـالى الشـــبابِ هنّ أيامُ غُـرَّةٍ ... وأيامُ شَيبِ المـــرء هنَّ ليـالِ

وددتُ وإن كانت من العمر تنقضى ... لو ٱنّ بواقيهـا تكون حَـــوالى (٣)

ولى فى بيـوتِ «العـامريّةِ» حاجةٌ ... هى المـاءُ فى عَضْبٍ (٤) حديثِ صِقالِ

زعمتُ البدورَ والشموسَ ظِبـاءَهم ... فلا تُنكروا فيهنَّ بُعْـدَ مَنـالِ

تطلَّعنَ من سُـود البيوتِ كأنمـا ... تَطلَّعَ بَيْضٌ (٥) بينَ زِفٍّ (٦) رِئالِ

ومـا حاجةُ الغَـيْرَانِ فيهم إلى القنـا ... وقـــد منعتْ منهم عِصِىٌّ (٧) حِجالِ

كما قد حمت نفسُ "ٱبنِ مَروانَ" مجدَه ... بأبيـضِ عـــزمٍ أو بأحمـــرِ مالِ

مضىءُ نواحى الوجهِ، يُمزجُ بِشره ... بخَمرِ حيـاء فيه مـاءُ جَمـالِ

نسيبُ المعـالى، ليس تدعوه حاجةٌ ... الى صيتِ عمٍّ أو نباهةِ خالِ

---

(١) عوال : جمع عالية وهى أعلى القناة . (٢) نصال : جمع نصل وهى حديدة السيف والرمح والسهم . (٣) حوال : جمع حالية وهى التى عليها حليها . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) الزف : ريش النعام . (٦) رئال : جمع رأل وهو ولد النعامة

(٧) حجال : جمع حجلة وهى بيت يزين بالستور للعروس .

إذا افتخر الإنسانُ يوما ببُردِه (١) فما بُردُه إلا كريمُ خصالِ

شبيبةُ عزمٍ واكتهالُ بصيرةٍ وتحريمُ عِرضٍ وانتهابُ نوالِ

شمائلُ لو يُنظمنَ أغنَى نظامُها نحورَ الغوانى عن عُقود لآلى

وما جاذبوه الفخرَ إلا وحازه بأيدٍ الى نَيل العلاء طِوالِ

صنائعه فى الناس ترعَى سَوامُها أزاهيرَ شكرٍ فى رياضِ مَعالِ

ومِن عشقِه المعروفَ أعطى قيادَه سؤالَ تجنٍّ أو سؤالَ دلالِ

كذا السُّحْبُ يَسقِى كلَّ أرضٍ قِطارُها بريحِ جَنوبٍ مرَّةً وشَمالِ

ليهنِك آلاءٌ ضمِنتَ وفاءَها من الجود حتى بات ناعمَ بالِ

وأنك بالنُّعمَى التى قد بثثتَها ملكتَ من (٢) الأحرار رِقَّ مَوالِ

فلله ماضٍ من لسانك إنه لنعمَ لِزازُ (٣) الخصم يومَ جِدالِ

ولله ما ضمَّت بنانُك إنها قناةُ طِعانٍ أو خبيئةُ ضالِ (٤)

فِناؤك للعافين بَعلُ أرامِلٍ ونارُك للسّارين أمُّ عيالِ

عهدتُك تلقَى كلَّ مرء بقيمةٍ وما كلُّ أعلاقِ الرجال غَوالِ

فلِمْ أنا فى ميزان عدلك كِفَّتِي تشِفُّ (٥) اذا قابلتَها بمثالِ

ويرجحُ أقوامٌ كأن جباهَهم نِعالٌ لما زيَّنتَها بقِبالِ (٦)

(١) البرد : الثوب . (٢) موال : جمع مولى وهو العبد . (٣) اللزاز : شدة الخصومة .
(٤) الضال : جمع ضالة وهى السلاح أجمع ، وقيل السهام . (٥) تشف : تنقص . (٦) القبال : زمامة النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

نصيبي من الأموال ما يُمسك الدَّبَى (١) وحظّي من النيران حَظُّ ذُبالِ

ولولاك ما كانت "لطآنا" (٢) موقفي ولا أرضُ "باجِسْرا" (٣) محطَّ رحالي

مقيما بها كالسيف أُلزِمَ غِمدَه وقد كان يرجو الرِّيَّ يوم نزالِ

ولو أُطلقت حدّاه وآستُلَّ في الطُّلَى (٤) براها بيمنى ضارب وشمالِ

وما ينفع الطِّرفَ المطهَّمَ (٥) سبقُه إذا كان محبوسا بضيقِ مجالِ

أرى كلَّ مشنوءِ (٦) الخليقةِ واصلا قِصارَ حبال عجزه بحبالي

تماثيلُ كالأنعام أبقلتِ الربى (٧) لها فغدت في رعيةٍ وصيالِ

وإنّ زمانا ضمّ شملي وشملَهم لكالليل مَسرَى ضيغم ونمالِ

ستعلَمُ (٨) من منّا إذا بعُد (٩) المدَى عليه، تشكّي من وجًى وكَلالِ

وتفرُقُ ما بيني هناك وبينهم (١٠) وكيف تُسوَّى (١١) بُزَّلٌ بفصالِ

وما كنتُ أرضَى أن تكونَ ديارُها ديارى ولا تلك الرحالُ رحالي

ولكنّني (١٢) ركّابُ (١٣) ما أنا قائد ولو ظهر (١٤) مجزولِ السَّنامِ ثَفالِ

---

(١) الدبى : النمل ؛ والذبال : الفتيلة . (٢) كذا بالأصل ولم نوفق إلى تصويبها .

(٣) باجسرا – بكسر الجيم وسكون السين وراء والقصر – بليدة في شرقي بغداد كثيرة النخل عامرة .

(٤) كذا بالأصل . (٥) الطرف المطهم : الجواد التام الحسن . (٦) المشنوء : المبغض المكروه . (٧) في الأصل هكذا «رعمه» . (٨) الوجى : الحفا . (٩) الكلال : التعب والإعياء . (١٠) البازل — من الإبل — : المسن . (١١) الفصيل : ولد الناقة يفصل عن الرضاع . (١٢) المجزول : الذي قطع القتب غاربه . (١٣) السنام : ما ارتفع من ظهر البعير . (١٤) الثفال : البطيء .

وقـد يُرتعَى حَمْضٌ[1] وفى الأرض خَلَّةٌ ... ويُشرَبُ ماءٌ وهـــو غـيرُ زلالِ

وتسكنُ خفضَ الأرض أُسْدٌ خفيّةٌ[2] ... وتسمو الوعـولُ فى رءوس جبـالِ

وما هـــو الإ ذنبُ دهرٍ معـانِدٍ ... يرَى بُرَءَ أهـل الفضـل غيرَ حـلالِ

ويارمـا أعطَى الأمانىَّ قـانطـا ... فقـــد تلقَح العقماءُ بعـــد حِيالِ[3]

* * *

وقال يهنئه بخلاصه من الأعتقال[4] :

إحدَى الكواعب من «بنى نصرِ» ... شهِـد الظـلامُ لها على البـــدرِ

كالبَيْـض تحضُـنه نعـائمه؛ ... بيضـاءُ فى كِلَلٍ[5] من الشَّعرِ

سـكرَى اللواحظ وهى صاحيـةٌ ... فـــدموعهـا فنٌّ من الخمـرِ

ما خِلتُ أنّ بيـاضَ مقلتِهـا ... وسوادَهـا صُحُـفٌ من السِّحـرِ

بسَمتْ وقـــد برزتْ قلائدُها ... فرأيتُ ما فى النحـــرِ فى الثغـرِ

ومن العجائبِ أن تصادف فى الـ ... ـعـــذب الزُّلال لآلئ البحـــرِ

كيف اهتـــديت لحبّ ظـالمةٍ ... وثَبَ الغـــرامُ بها على الصـــبرِ

جمَّشتُها[6] فنبَتْ ، فقلتُ لهـا : ... أهوَيتُ أطلبُ معـــدنَ التـبرِ؟

---

(١) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفاكهة للإبل تأكله عن سآمتها من الخلة وهى ما حلا من النبات . (٢) خفية : أجمة من سواد الكوفة تنسب اليها الأسود؛ وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٣) الحيال : العقم . (٤) فى مختارات البارودى : «وقال يمدح ابن فضلان ويهنئه بخلاصه من السجن ويستنجزه وعدا» . (٥) كلل : جمع كلة وهى ما يغطى به الهودج . (٦) جمشتها : داعبتها .

ضُربتْ بأسنمةٍ (١) قِبابهمُ وكأنّها فى ساحة الصدرِ

بِيضٌ وسُمرٌ فى خيامهمُ ممنوعةٌ (٢) بالبيضِ والسُّمرِ

بدم المحبِّ يباع وصلُهمُ فمن الذى يَبتاع بالسعرِ

لو كان غيرُ الحب جيشَهمُ (٣) ألفيتُهم فى جحفلٍ (٤) مَجْرِ

هجروا وهجرُهمُ على دَخَلٍ (٥) فلأجل ذلك طيفُهم يَسرِى

وهَب الظلامُ لنا محاسنَه وأظنُّ مرسلَه بنا يدرى

حتى إذا الإصباحُ أيقظهُ ولىَّ يُؤذِّن فيه بالغدرِ

ياليلةً «بالرمل» (٦) قصَّرها حلُّ العناقِ معاقدَ (٧) الخُمرِ،

كادت خُطانا أن تنمَّ على آثارنا وطُمِسنَ بالأُزرِ،

ورأت كلابُ الحىّ رِيبتَنا فكَمُن عن نبح وعن هَرِّ:

فُضَّت خواتيمُ السرور بها واللهوِ حتى مطلع الفجرِ،

لولا التحرُّجُ والغلوُّ لما أُسْميتِ إلا ليلةَ القدرِ

والليلُ عِقْصَتُه (٨) قد انتشرت ورمتْ مَدارى (٩) الأنجم الزُّهرِ

---

(١) أسنمة : جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير . (٢) المراد بالبيض والسمر الأولين : الجوارى الحسان ، وبالأخريين : السيوف والرماح . (٣) كذا فى الأصل ولعلها « الحسن » . فحرفت عنها . (٤) الجحفل المجر : الجيش العظيم . (٥) الدخل : الغش والخداع . (٦) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل «العتاب» . (٧) الخمر : جمع خمار وهو كل ما غطى رأس المرأة . (٨) العقصة : الضفيرة . (٩) المدارى : جمع مدراة وهى المشط .

"والنسرُ"(١) قد أعيت قوادمُه والغربُ يجذبه إلى وكرِ

وهوتْ من "الجوزاء" منطقةٌ زهراءُ لم تُعقد على خصرِ

ورمى "الثريّا" من معلّقها سبقُ "السِّماك"(٢) وحربةُ "الغفْرِ"(٣)

فكأنّها والشمسُ تجمعها رهطٌ قد ازدحموا على سِرِّ

مثل العذارى من تعنّفها تستصحبُ الدَّبرانَ(٤) كالحدرِ

"وهلالُها" تحكى استدارتُه عَقدَ التمام لعِدّة الشهرِ

وعلى "المجرّة" أنجمٌ نُظمتْ مثلَ الفقار(٥) نُسِقن فى الظهرِ

هذى حبابٌ(٦) فوق صفحتها طافٍ، وهذا جدولٌ(٧) يجرى

كيد "ابن فضلانٍ" غمائمُها تغدو ببذل الوفر أو تسرى

إن حلّ فى بيداءَ أو بلدٍ نابت سحائبه عن القَطْرِ

أىُّ المكارمِ قد تأبّطها وعزائمٍ فى ذلك الصدرِ؟!

طهُرت من الأحقادِ نيّته والقلبُ مغسول من الغِمْرِ(٨)

لامُوه فيما أتلفتْ يدُه فرأى المحامدَ أنفسَ الذُّخرِ

---

(١) النسر : يشير بذلك إلى كوكبين : يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع .

(٢) يشير بذلك إلى كوكبين يقال لأحدهما : السماك الأعزل ، وللآخر : السماك الرامح . (٣) الغفر : ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهى من منازل القمر ؛ ولم نتبين معنى هذا البيت . (٤) الدبران : منزل من منازل القمر وهى من الميزان . (٥) الفقار : عظم سلسلة الظهر . (٦) الحباب : ما يعلو على وجه الماء من الفقاقيع . (٧) الجدول : النهر الصغير . (٨) الغمر : الحقد والغل .

إن قال فالسيفُ الحسامُ مَضى أو صال أفنَى الليثَ بالذرِّ

ما إن أرى فى الناس من أحدٍ إلا يُمتُّ اليه بالشكرِ

حتى كأنّ الأرضَ طبّقها بغمائم نشأت من البرِّ

قد مارس الأعداءُ شدّتَه فاستسلموا لليث ذى الأجرِى (١)

وكوت مياسمُه (٢) قلوبهم والكىُّ مشفاةٌ لذى العرِّ (٣)

إنّ الشدائدَ مذ عُنينَ به قارعنَ جُلمودا من الصخرِ

حَمَلَ النوائبَ فوقَ عاتقِه حتى رجعنَ إليه بالعُذرِ

وبوائقُ (٤) الأيّام عاديةً لاقين منه دامىَ الظُّفرِ

لا تنكروا حَبْسا ألمَّ به إن الحِسانَ تُصان بالخدرِ

والغِمدُ ليس تُفاض بُردتُه إلا على الهندىِّ (٥) ذى الأثرِ (٦)

إن حجّبوه فكلُّ ذى شرفٍ يعترُّ بالبوّابِ (٧) والسترِ

يغشى الكسوفُ الشمسَ إذ عظُمتْ ويعافُ ضوءَ الأنجم الزُّهرِ

قد يستسرُّ (٨) البدرُ ليلتَه ليَتِمَّ ليلةَ رابعِ (٩) الشهرِ

---

(١) أجر : جمع جرو وهو شبل الأسد . (٢) الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان .

(٣) العر : الجرب . (٤) بوائق : جمع بائقة وهى الداهية . (٥) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (٦) الأثر : جوهر السيف ورونقه . (٧) فى الأصل «النواب» وهو تصحيف . (٨) استسر : اختفى ليلة أو ليلتين فى آخر الشهر . (٩) كذا بالأصل وبمختارات البارودى ومراده : الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

أَوَليس «يوسفُ» بعد محنتِهِ (١) نقلوهُ من سجن إلى «مصرِ»

لَمَرقَ منها مثلما ما (٢) انكدرت فَتخاءُ (٣) ترمِى الطيرَ بالذُّعرِ

وصبرتَ حتى انجابَ غيهبُها؛ إنَّ النجاءَ عواقبُ الصبرِ

تُنسَى مرارةُ كلِّ نازلةٍ بحلاوةٍ فى النهى والأمرِ

وإذا الأغانى حنَّ مِزهرُها (٤) ولّى حنينُ (٥) الناب والبكرِ (٦)

واذا تولّى الشيءُ تكرهُه فكأنّه مادار فى سِرِّ

حمدا وشكرا للإلٰه على ما قد حباك وواجب النَّذرِ

وكأننى بك فوق غاربها متسنِّما فى ذِروة الفخرِ

يرمِى العلاءُ اليك مِقودَه (٧) لا ينثنِى بغماغم الزَّجرِ

إن العظائمَ ربّما بُلغت بالهَوْن لا بالكرِّ والفرِّ

وكذا الألُوفُ على تفاوتها محسوبةٌ بأناملٍ عَشْرِ

أنا من يُغالِى فى محبّتِهِ وولائه فى السرِّ والجهرِ

ما ذاق طعمَ النوم ناظرُهُ حتى البشيرُ أتاه بالبشرِ

ولك الأيادِى لستُ أذكرها إلا يَجِيشُ بحمدها صدرى

هى نِعمة ليديك أشكُرها طولَ الزمان وآخرَ العَصرِ

---

(١) يشير : الى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وهى أشهر من أن تذكر . (٢) انكدرت : انحدرت . (٣) الفتخاء : العقاب . (٤) المزهر : العود . (٥) الناب . الناقة المسنة . (٦) البكر : الفتىّ من الإبل . (٧) غماغم : جمع غمغمة وهى الصوت .

قـد كان وعدٌ منـــك أقسمَ لى بعلاك : أنك مصلحٌ أمرى
وإخال أنّك لستَ ناسيَـهُ لكنّنى ٱستظهـرتُ بالذِّكر
قـــد حَزَّت الأيامُ فى كبِـــدى وأطـافَ بى مسٌّ من الضُّرِّ
وسئمتُ عَتبى كلَّ نائبـةٍ وملِلْتُ ما أشكـو من الدهرِ
وإذا جذبتَ إليـك من ضَـبعِى (١) طاعتُهـا بأسـنَّةِ القهـرِ
وصرفتَ عنِّى كلَّ نائبـةٍ صرفَ الهمـوم سـلافةُ الخمـرِ
أهـــدت لك النَّعماءُ أنفَسَهـا من (٢) عانس أو (٣) عاتقٍ بِـكرِ
وخَطتْـك أحداثُ الزمانِ ولا (٤) برِحتْ رِباعك ديمـةٌ تجـرِى
لولاك فى الدنيا لمـا ٱعترفوا للأكرمين بهـا سـوى الذكرِ

* * *

وكتب إليه يعزّيه عن أخيه :

عزاءً، فمـا يصنع الجازعُ ؟ ودَمعُ الأسى أبدا ضـائعُ
بكَى الناسُ من قبلُ أحبابَهم فهـل منهُـمُ أحـــدٌ راجـعُ ؟!
عرفنا المصائبَ قبـلَ الوقوع فمـا زادنا الحـادثُ الـواقعُ

---

(١) الضبع : — بسكون الباء — العضد . وربما حركت للضرورة . (٢) العانس : الجارية فاتت سن الزواج . (٣) العاتق : التى لم تتزوج ؛ وقيل : هى التى بين الإدراك والتعنيس ؛ أو هى الجارية أول ما أدركت ، وفى الأصل «علق» وهو تحريف . (٤) رباع جمع ربع وهو البيت .

ولكنَّ ما ينظـر الناظرو نَ ليس كما يسمعُ السامعُ

يُدَلَّى ٱبنُ عشرين فى لحـدهِ وتِسـعون صـاحبُهـا راتعُ

وفى رأس ذا أسـودٌ حالكٌ وفى فـرعِ ذا أبيضٌ ساطعُ

ليعـلم من شكَّ أن المنـو نَ هـوجاءُ[1] ما عنـدها شافعُ

وإن هُنَيـدةَ[2] من عاشَهـا لفى عيشـةٍ بعـدها طامعُ

فقل لىَ : ما السرُّ فى ذى الحيا ة تُهـوى وطائرُهـا واقـعُ ؟

يهيم عليها الكسوبُ الحريصُ ويعشقهـا الساجدُ الراكعُ

وللمرء، لو كان يُنجى الفـرا ر، فى الأرض مضطرَبٌ واسعُ

ومَن حتفُـه بين أضلاعـه أيمنعـه أنّه دارعُ[3] ؟

وكلُّ أبىٍّ لداعى الحِمام متى يـدْعُه سـامعٌ طـائعُ

يسـلِّم مهجتَـهُ سـائمـا[4] كما مـدَّ راحتَـه البـائعُ

وحى « الضَّيْزن » عن متنـهِ و« حسَّانُ » أسلمه « فارعُ »[5]

---

(١) الهوجاء : الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٢) هنيدة : مائة سنة . (٣) الدارع : الابس الدرع . (٤) السائم : عارض السلعة لبيعها ؛ وفى الأصل هكذا « سامحا » . (٥) كذا بالأصل وقد كتب أمام هذا البيت على الهامش « فى الأصل » والمراد أن ناسخ الديوان لم يوفق الى صحة هذا البيت فاضطر الى أن ينبه عنه ؛ والضيزن : ملك الجزيرة وكان له حصن منيع يقال له : الحضر — بفتح الحاء وسكون الضاد — . وفارع : حصـن بالمدينة كان لحسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا الشرح الوجيز يمكننا أن نقول : لعل الشاعر أراد

رَمَى "الضَّيْزَنَ" "الحَضْرُ" عن مَتْنِهِ * وحَسَّانُ أَسْلَمَـهُ "فارِعُ"

وفى الأصل «قارع» وهو تصحيف .

وهبّت على «تُبّع»[1] نفحةٌ فلم يبقَ من رهطهِ تابعُ

ولو أنّ من حَدَثٍ سالما لما خَسَفَ القمرُ الطالعُ

ولا صِيدَ فى شَرَكِ النائباتِ فتًى لشروطِ الفتى جامعُ

غلامٌ كأنبُوبةِ السمهرى[2] تُعيي اذا رامها الصادعُ

شمائلُهُ مثلُ نَوْرِ الرّيا ضِ نَمنَمها باكرٌ هامعُ

تكاد تبكّى عليه الغصونُ اذا ناح قُمرِيُّها الساجعُ

عجبتُ لذاك الحُلِيِّ المصوغِ لنا كيف يُفسِده الصانعُ

تخرَّمه ورُواءُ[3] الشبا بِ لم يدرِكم طولُهُ الذارعُ

على حين أُفرِغَ فى قالَبِ الـ جمالِ، ورونقُه الطابعُ

وكيف توقّى[4] الفتى ما يخافُ اذا كان حاصدَه الزارعُ

ومن فوقهِ ظُلَلٌ كالغمامِ ومن تحته جبلٌ مانعُ

وأقرانُ «فضلانَ» فى عزّةٍ يدور بها الفلَكُ السابعُ

ولو شاء قصّر باعَ الردى فلم يرمِهِ الساعدُ النازعُ[5]

ولكنّه جاء سائلا فجاد به صدرُه الواسعُ

أأسرفتَ فى الجودِ حتى آستما حَ أحبابَك الزمنُ الخادعُ ! !

---

(١) تبع : واحد التبابعة وهم ملوك اليمن . (٢) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٣) الرواء : الحسن والرونق . (٤) فى الأصل « توفى » وهو تصحيف . (٥) النازع : الذى يمد القوس للرمى .

* * *

وقال يعزّيه عن أخته :

يَرُوحُ ويغـدو علينا الحِمامُ ... وكلُّ النواظرِ عنـه نيامُ

على شِـيَمِ النَّعَـمِ الراتعـا ... تِ يُعقَرهـذا وهـذا يُسامُ

ولا فـرقَ ما بيننا فى القيا ... سِ إلّا العقولُ وهذا الكلامُ

كفى بالممـات لنا مُفنياً، ... فَمن أجل ماذا تُراشُ السهامُ ! !

وتُعتقَـلُ الذابلاتُ (١) الطِّوالُ ... ويُحملُ ذو الشَّفرتَين الحُسام ! !

كأنّا خُلقنا لرَيبِ المنونِ ... شرابٌ يَلَذُّ به أو طَعـامُ

ستُطوَى مسافةُ مَن عمـرُهُ ... يسـيرُ صباحٌ به أو ظـلامُ

ليالٍ تمرّ كمرِّ السـحا ... بِ والصبحُ فيهنَّ برقٌ يشامُ

جناياتُهنَّ علينـا البِـلَى ... وأعذارُهنَّ إلينا السَّقامُ

لها كلَّ يوم بنـا وقعـةٌ ... فهـلّا تناوبَ عامٌ وعامُ ؟

نلوم الطبيبَ ومـا جُرمُـهُ ... وداءُ المنيَّـة داءٌ عُقـامُ؟

إذا فَذْلَكَ (٢) العيشُ عمرَ الفتَى ... فسيّانِ ما خلفه والأمامُ

وما يعصِمُ المرءَ من حتفـهِ ... "عِراقٌ" يَحُلُّ به أو "شآمُ"

بأَيِّ حِمًى مانعٍ يُستبحارُ ... إذا لم يُجِرْ "زمزمٌ" و"المَقامُ" !

---

(١) الذابلات الطوال : الرماح . (٢) فذلك ، : فذلك الحاسب حسابه أى أنهاه وفرغ منه .

ظِبـاءُ البطاح لهـا مَصرَعٌ ... وعُصْمٌ(١) لهـا بالجبالِ آعتصامُ

إذا الدَّوحُ(٢) مالت به العاصفاتُ ... فلا ريبَ أن ستميلُ الثُّمامُ(٣)

وهل نافعٌ لك طولُ الجماحِ ... وفى يدِ صَرف الزمانِ الزِّمامُ؟!

يحـدِّثُنا بالفَنـاء البقـاءُ ... ويُخبرنا بالرحيـلِ المقـامُ

بهذا قضى الدهرُ فى أهـلِهِ ... تمـرُّ فِئامٌ(٤) وتأتى فِئـامُ

يعلّلنـا برَضـاع المنَى ... وعمّا قليـلٍ يكـون الفِطامُ

نذُمُّ حـذارا بلوغَ المشيبِ ... كأنَّ لعصرِ التصـابى ذِمامُ

وما يحـذَر اليَفَنُ(٥) العُـدْمُلِىُّ(٦) إلا الذى يتقيـه الغـلامُ

عذَرنا الزمانَ بمـوت اللئامِ ... فما عذرهُ أن يمـوتَ الكرامُ؟

علينا يحـرَّمُ قتـلُ النفوس ... فكيف أُحِلَّ عليـه الحـرامُ

مَناسـكُ منهوجةٌ بالـوجَى(٧) ... يُجَبُّ(٨) على إثرهن السَّنامُ

لعمرُك ما المـرءُ إلا خَيالٌ ... ولا لذّة العيش إلا منـامُ

ألا أيّهـذا اللبيبُ آتئـدْ ... ومثـلُك من رامَ مالا يرامُ

ترفَّق رويدكَ ، إن السّـلوَّ ... مُراحٌ اليـه يعـودُ الأنامُ

وعادتك الصبرُ إن قعقعتْ ... صواعقهنَّ الخطوبُ الجِسامُ

---

(١) عصم : جمع أعصم وهو تيس الجبل يعتصم به . (٢) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة .
(٣) الثمام : نبت ضعيف . (٤) الفئام : الجماعات . (٥) اليفن : الشيخ الكبير الفانى .
(٦) العدملى : كل مسن قديم . (٧) الوجى : الحفا من كثرة السير . (٨) يجب : يقطع .

تمـــرُّ عليـــك مرورَ الريا ... ح زاحمها «يَذبُلٌ»(١) أو «شَمامُ»

تلوثُ(٢) الرداء وتُرخى الإزا ... ر فى موقفٍ شُدَّ فيه الحِزامُ

يعزِّيك عقـلُك عمّن مضى ... وعلمُـك أن ما لشىء دوامُ

ونفسُك أبلغُ من واعـظٍ ... وأكبرُ أن يزدهيها الغـرامُ

وأنت تعـلِّم كيف الثبا ... تُ إن زعزعتنا الخطوبُ الجسامُ

تحمَّـلُ أثقالَهـا مُهْـونا ... وللبُزُلِ(٣) لو حَملتْها بُغامُ(٤)

إذا الحزن لم يُعد الذاهبينَ ... فما هو إلا الجـوى والأثامُ

فراقُ الشقيقـة أشجى فراقٍ ... أذيلت(٥) عليه الدموعُ السِّجامُ

وفقـدُ الفتى صِـنوَه فادحٌ ... على الحزن فى مثله لايلامُ

ولكن يريك الثنايا الجليـدُ(٦) ... وفى حبّة القلب منه ضِرامُ

وعينُـك إن غلِطتْ بالبكاء ... فقـد علّمتها يداك الغمامُ

فسَقيًا لمودَعةٍ فى الصَّعيـدِ(٧) ... تُعزَّى الخدورُ بها والخِيـامُ

ولم نـر دُرًّا ولا زهرةً ... من التُّرب أصدافُها والكِمامُ

أنلتمس السُّحبَ تسقى ثراكِ ... وجُود أخيك الغيوثُ الرِّهامُ؟(٨)

وتُسحَب فيـه ذيولُ النسيم ... ومن عَرفِه(٩) تستَمِدُّ المُـدامُ

(١) يذبل وشمام : جبلان . (٢) تلوت : تلف . (٣) بزل : جمع بازل وهو الجمل المسن (٤) البغام : صوت الإبل فى حنينها . (٥) فى الأصل «أذبت» وهو تحريف .
(٦) الجليد : الصابر . (٧) الصعيد : التراب . (٨) الرهام : المنهمرة بالماء .
(٩) العرف : رائحة الطيب .

لِفقـدانها ما تحنُّ القِلاصُ (١) وتندبُ فوق الغصون الحَمامُ

فيا جبل "الطُّورِ" لافارقتكَ سحائبُ يُشفَى بهنَّ الأُوامُ (٢)

يَقِفْنَ حوافـلَ فى عَرصتيـ (٣) ـك حتّى تُساوى الوِهادَ الإكامُ (٤) (٥)

تخصُّك بالماخضاتِ العشارِ (٦) وغـــير رباكَ لهنَّ الجَهـامُ (٧)

ولو كنتِ آئبةً بالخصام لمـا عزَّ فينا الخميسُ اللُّهامُ (٨)

وخيـلٌ تكدَّسُ (٩) بالدارعين (١٠) مقـابرُ فُرسانهنَّ القَتـامُ (١١)

ولكنهـا حالةٌ فـرضُهـا علينـا تحيّتُنـا والســلامُ

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

عساهـا تنجـلى وخلاكَ ذمٌّ (١٢) وماءُ الوجه فى الوجَناتِ جَمُّ (١٣)

ولم يَجـرِ السؤالُ على لسانى ولا ندَّى يدى بحـرٌ خِضمُّ

سيحرُسنى التجمُّل من أناس هُمُ عنّى بداء البُخْـل صُمُّ

---

(١) القلاص : الإبل الفتية واحدها قلوص . (٢) الأوام : العطش الشديد . (٣) العرصة : الفضاء أمام الدار . (٤) الوهاد : جمع وهد وهو ما انخفض من الأرض . (٥) الإكام : جمع أكمة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الماخضات العشار : التى دنا ولادها بعد عشرة أشهر ، والمراد بها السحائب المنهمرة بالماء . (٧) الجهام : السحاب الأبيض لا ماء فيه . (٨) الخميس اللهام : الجيش من خمس فرق ، واللهام الكثير كأنه يلتهم كل شىء . (٩) تكدس : يركب بعضها بعضا من شدة ازدحامها . (١٠) الدارع : لابس الدرع . (١١) القتام : الغبار يثار فى الحرب . (١٢) خلاك ذم أى لا يلحقك الذم . (١٣) الجم : الكثير .

حمانى زادَهـم بطنٌ خميصٌ (١) على الجُـلَّى وعِرنينٌ (٢) أشَمُّ

فقد سقّيتُ بَرْدَ اليأسِ منهم فـؤادا من رجائهمُ يُحَمُّ

وكيف أكلّف المعروفَ قوما سـواءٌ عنـدهم مدحٌ وذمُّ

تُلاقِي المكرماتُ بهم هـوانا كما يلقَى بذى الرّوقِ (٣) الأجَمُّ (٤)

اذا ضحِكوا الىَّ رأَوْه بِرًّا أكلُّ الـبِرّ تقبيـلٌ وضمُّ ؟!

يرَوْنَ عقوقَ ما كنزَوا حراما هل العَرَض المسومُ أبٌ وأُمُّ

وكم من شيمـةٍ دفراءَ (٥) فيهم تفـوح لو انّ أخـلاقًا تُشَمُّ

ستأتيهم قوافٍ شـاردات بأنسـاعِ (٦) المخـازى لا تُـزمُّ

مقالٌ فى النفوسِ له دبيبٌ وبعض القول فى الأعراض سُمُّ

فإعرابُ الفمِ المنطيقِ فتحٌ متى أضحى بناءُ الكفّ ضمُّ

* * *

وقال فى طائفةٍ من أهل الزمان :

أيا بؤسَ قومٍ حسانِ الشخو صِ لكن حُشُوا بطباع النَّعَمْ (٧)

يزينهمُ فى جفونِ الغبىِّ حُـلِىُّ الغِنَى وثيـاب النِّعَـمْ

حدوناهمُ بفصيح القـريضِ فمـا آستحسنوا منهُ غـيرَ النغمْ

---

(١) الخميص : الضامر . (٢) العرنين : الأنف . (٣) الروق : القـرن .

(٤) الأجم : — من الكباش — مالا قرن له . (٥) الدفراء : المنتنة . (٦) أنساع : جمع نسع وهو حبل عريض تشد به الرحال . (٧) النعم : الإبل — والمراد بها هنا البهائم — .

وكان الذى خاض أسماعَهم (١) سواءً (٢) ونقراتُ زِير وبَمّْ

وقد جعلوا عذرَ حرماننا الـ ـثّـ ـوابَ خلوّهُمُ من فَهمْ

وهبْ أنهم جهلوا ما نقولُ فأين السخاءُ وأينَ الكرَمْ!

أغرَّهمُ كَتبُنا فى الرِّقا ع : نحنُ العبيدُ ونحنُ الخدَمْ!

ومن دون ذلك تُشوَى الوجوهُ (٣) وتُقذَى العيونُ (٤) ويُفرَى الأدَمْ

فإن هم أنابوا ببذل النوالِ وصلنا الثناءَ كوصل الرحِمْ

وإن هم أصرُّوا على لؤمهم وهبنا ثناياهمُ (٥) للنـدَمْ

اذا جاوزوا الحدّ فى منعهم خلعنا الحياء وجزنا اللَّمَمْ (٦)

* * *

وقال :

تمدحُ "عمروا" وتُريد رِفدا ياما خضَ الماءِ عَدِمتَ الزُّبْدا

رأيتَ منه شارةً (٧) وقَدّا ومِشوَذًا (٨) مُفوَّفا (٩) وبُردا (١٠)

فخلتَ إنسانا فكان قِردا يا ربما ظُنَّ السرابُ وِردا

---

(١) الزير : الدقيق من أوتار العود . (٢) البم : الغليظ من أوتار العود . (٣) يفرى : يشق . (٤) الأدم : الجلد . (٥) الثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم ، — ثنتان من فوق وثنتان من أسفل — ، وفى الأصل هكذا « ساماهم » (٦) اللمم : صغار الذنوب :
(٧) الشارة : الحسن . (٨) المشوذ : ما يعتم به . (٩) المفوف : ما فيه خطوط بيض على الطول . (١٠) البرد : الثوب .

وقال :

زمانٌ فاسدُ النظـرِ مُصاحبهُ على خطَرِ
وقـومٌ إن عَددتُهُم فليس القومُ من نفرى
سمعت بهم فغرُّونى وليس الخُبْرُ كالخَبَرِ
عجِلتُ إلى مديحهمُ وذلك شيمةُ البَشَرِ
فما فهموا مدائحَهم ولا قضَّوْا بها وطَرى
فخِلتُ قصائدى حُللا مُجيَّبةً(١) على بقـرِ

وقال :

وزيرٌ رَضِى من بأسِـه وٱنتقامِـه بطَىِّ رِقاعٍ حشوُها النطمُ والنـثرُ
كما تسجع الوَرقاء فوق غصـونها وليس لهـا نهىٌ يطـاع ولا أمرُ

وقال :

تُعابُ معاشرٌ وكَلوا البرايا إلى تدبير ذى رأيٍ أفينِ(٢)
وماغلِطوا، رأَوا سفهَ الليالى فداووْا بالجنون من الجنونِ

---

(١) مجيبة : مجعولا لها جيوبا . (٢) الأفين : الضعيف .

* * *

وقال :

نُبِّئْت أنّ فلانا قد شحا فَمَه (١) فقلتُ : مهلًا ، كذاك العَيرُ (٢) نَهّاقُ

من أين للنّبَطيّ (٣) الفَدْم (٤) معرفةٌ هل يُنبِت النبعةَ (٥) الصفراءَ رُستاقُ (٦)

وكيف يفهَم قلبٌ دون فِطنته من البلادةِ أبوابٌ وأغلاقُ (٧)

يا ثورُ ! خلِّ لروضِ الحَزنِ (٨) زهرتَهُ فإنّ مرعاكَ قُلّامٌ وطُبّاقُ (٩)

ولا تراعِ نجوم الفضلِ ترصدُها فغيرُ خافٍ على الحسّاب أرزاقُ

نبذت عِرضَك نبذَ النعلِ مُخلَقةً (١٠) وكيف يُلبَس ثوبٌ وهو خُرّاقُ (١١)

* * *

وقال :

زوّج اللهوُ بآبنةِ العنقودِ خاطبًا بالبسيط أو بالنشيدِ

وتمام الإملاكِ (١٢) فى شاهدَىْ عَدْ لٍ هما فى حضور ناىٍ وعُودِ

فإذا ما جمعتَ ذاك فقد فزْ تَ بعَقدٍ يسودُ كلَّ العقودِ

---

(١) شحافه : فتحه . (٢) العير : الحمار . (٣) النبطى : منسوب الى جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم — ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم — .
(٤) الفدم : البعيد الفطنة والعيي عن الكلام . (٥) النبعة : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسى وسن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . (٦) الرستاق : السواد وهو الريف — ومنه : سواد العراق ، لما بين البصرة والكوفة وما حولها من قراهما — . (٧) أغلاق : جمع غلق وهو ما يغلق به الباب . (٨) الحزن : ضد السهل ورياضه أنضر وأزهر . (٩) القلام والطباق : ضربان من الشجر . (١٠) المخلقة : البالية . (١١) الخراق : الكثير الخروق .
(١٢) الإملاك : التزويج .

وقال :

ياشهوةَ النومِ وما لذَّتُهْ جِسمٌ تغشَّت قلبَهُ غفلتُهْ

هل هو إلا مِيتَةٌ عُجِّلتْ وإنما قد قُربت رجعتُهْ

وقال فى الغزل :

يسألنى ما حاجتى فى دياره غزالٌ بأوطار الفؤاد عليمُ

ستشهدُ لى عيناه أنهما الهوى ومبسمُه أنّى عليه أحومُ

أتُظهِرُ فى عرفانِ مابى جهالةً وما أحدٌ فى الناس منك سليمُ

وكيف يداوِى داءَ قلبىَ باخلٌ على طَرفِهِ بالبُرء وهو سقيمُ

أرقِّع فيك الودَّ وهو ممزَّقٌ وأرعَى ذمامَ العهدِ وهو ذميمُ

وفى دون مالاقيتُ للمرء زاجرٌ ولكنَّ عِرْقى (١) فى الوفاء قديمُ

وقال فى مثله :

يقولون : راجعْ صاحبَ الرأى وآطَّرِحْ هواكَ فما تُغنى الدموعُ السواجم

ولو أنه بالعقل يَعشَق عاشقٌ لما ٱزدوجتْ أطيارُها والبهائمُ

أليست على ألّافها بجهالةٍ يحاربُ شِبْهٌ شِبهَهُ ويخاصِمُ

(١) فى الأصل هكذا « ولا لز » .

وقال فى مثله :

« بالجِزْع » ذى السَّمُراتِ (١) لى قمرٌ غلبَتْ عليه سحائبُ الأُزُرِ (٢)

أرسلتُ أنفاسى فما انتشعتْ عنه وجاد الطَّرفُ بالمطرِ

وقال فى البَرَد ارتجالا :

ياطيبَ يومٍ حَجبتْ شمسَهُ سحائبٌ تُمطِرُ كافورا

لما توارت تحت أستارِها مجَّت لنا من ريقها نورا

وقال فى الأكثر من أهل الزمان :

إذا كان هذا الجهلُ قد شاعَ فى الورى فذو العلم فيما بينهم هو جاهلُ

فإن قال مالم يعرفوا قدرَ لفظهِ ولا قيمةَ المعنَى ، فما هو قائلُ

وإن هو بالصمت استجارَ لسانُه ففى الصمتِ ذو نقصٍ سواءٌ وفاضلُ

فليس له غيرَ التجاهل ملجأٌ وأصعبُ شىء عالمٌ متجاهلُ

وكنَّا سمعنا فى الزمان «بباقلٍ» وهذا زمانٌ كلُّ أهليهِ « باقلُ » (٣)

---

(١) السمرات : جمع سمرة وهى شجرة من العضاه تغمى البيوت بخشبها — وليس فى العضاه أجود خشبا من السمر — . (٢) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٣) باقل : رجل يضرب به المثل فى العى .

وقال :

هززناكُمُ بالمـــدحِ نَجنِي ثمارَكم ... ونحلِبُ من أخلافِ(١) وُجدِكُمُ(٢) وَفْـــرا

فـلم نحـظَ من رِبحِ الثنـاءِ بطـائلٍ ... فرُدُّوا كرأس المـال أو بعضِه شِعرا

فإن أنتمُ(٣) لم تنصفـونا فإننـا ... سنقتصُّ من أعراضكم ذلك الـوِترا

إذا المنـع والإعطـاءُ(٤) كان خيـارُه ... إليـكم تخـيّرنا المذمّةَ والشكرا

فـلا تحســبوا أنّا إذا نلـتم الغـنَى ... ولم تُشركونا فيـه نُوســعكم عـذرا

وقال فى مثله :

بِتنا على «الزّوراء» نهـدِمُ كلَّ ما ... بَنَتِ القـلوبُ من الأمانى الزُّور

لمـا لقينا من تُجاهِك عصبةً ... نضحَتْ بشكواها ذَفَارَى(٥) العِـيرِ

إنّ امرأً سلـكتْ إليـك ركابُهُ ... فجًّا لقـد دلّى بحبـلِ غرورِ

وقال فى سحابٍ وبرقٍ ومطرٍ وبَرَد :

غـــرّاء تحسبها عُمودًا كلّمـا ... شهَـرَتْ بوارقُها بها أسيـافا

---

(١) أخلاف : جمع خلف — بكسر الخاء — حلمة الضرع . (٢) الوجد — مثلثة الواو — : الغنى والسعة . (٣) الوتر : الثأر . (٤) فى الأصل «المدح» ولعله تحريف (٥) ذفارى : جمع ذفرى وهى فى الحيوان من لدن المقـد الى نصـف القذال ، وقيـل : هى العظمة خلف الأذن .

كُسِيَ الثَّرَى لمّـا همَتْ فظننتُها بالحَـزْنِ(١) عِيرا أُوقرت(٢) أفوافا(٣)

وتناثرت دُرَرا عليـه دموعُها لمـا جَمَدن نخلتُها أصدافا

وقال :

قالوا : ذر الشعرَ وكن عائذا بالله يصرفْ عنك شيطـانَهُ

فى الناس جَهلٌ وبهم شِـرَّة لأجـل ذَيْنِ صغَّـروا شانَهُ

لم يفقهوا اللفظ ولم يفهموا الـ ـمعـنَى ولا يَدرون مـيزانَهُ

فكلُّهـم يُنكر رُجحانَه وكلُّهـم يجهـلُ نقصانَهُ

قلتُ : أمن أجل عمًى فيهـمُ لا يُظهـر المعـدِنُ عِقيانَهُ!

هبُـوا لسانى راعيـا ناعقـا دعا بمـا تجهـلُه ضـانَهُ،

قـد يُطـربُ القُمرىُّ أسماعَنا ونحن لانفهـم ألحـانَهُ

وقال :

أحاط بىَ العُـذَّال حتى صرفتُهم بأنّ الهـوى طبعٌ ولا يُنقَلُ الطبعُ

رأَوا كلَّ ما أبصرتُه أنا عاشـقٌ ومـا تسمع الأذنانِ ليس له نفـعُ

فقالوا ـ وقلبى ليس يقبَل نصحَهم ـ : أخـونا له عينٌ وليس له سمعُ

---

(١) الحزن : ضد السهل ؛ واسم موضع . (٢) أوقرت : حملت وأثقلت . (٣) أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن ، أو هو قطع القطن .

وقال فى الشَّيب :

تخاوصت[1] الحسناءُ عن شَيب لِمَّتى[2] ولم تلتفت إلى سنىّ القــلائلِ

وليس بياضا مارأت من شُـعاعهِ ولكنّـه نُور النُّهى والفضـائلِ

وقال يعاتب صديقا له :

كان الوداد منغّصـا[3] لوُشاتنا ولو ٱرتمــوا ما بيننـا بفواقـرِ[4]

تُخطى ظواهرُنا[5] فنُغمِضُ عيننـا عنها ونطمحُ[6] فى صـوابِ ضمـائرِ

متحلِّلِى عُقَــد الضـغائنِ كلَّمـا نصبَ الحسودُ لنـا حِبالة ماكرِ

أيامَ لا عِرسُ الإخاء بطـالقٍ منّـا ولا أُمّ الصــفاءِ بعـاقرِ

فالآن أقلقنا الحسودُ كما ٱشتهى فينا ونفّــرنا صــفيرُ الصـافرِ

وكأنّمـا كانت وسـاوسَ حالم تلك المودّةُ أو فكاهـةَ سامرِ

ومــتى تكلّمت مودّةً من صاحبٍ فلقد عدِمت بهـا سـوادَ الناظرِ

ولذاك نُحْتُ على إخائك مثلمـا ناحَ الحمامُ على الربيــع الباكرِ

هيهات لستَ بواجدٍ من بعدها مِثــلى ببــذلِ بضـائعٍ ومَتـاجرِ

---

(١) تخاوصت : غضت من بصرها .
(٢) اللة : شـعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
(٣) فى الأصل « مفصصا » .
(٤) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تكسر الفقار وهى عظام الظهر .
(٥) هذا الشطر مشوّه فى الأصل ؛ وفى مختارات البارودى هكذا :
* تخطى ظواهرنا فيغمض عتبنا *
(٦) كذا بالأصل وتحتمل أن تكون « ونطمع » .

لا تَنبِذ الخُلّانَ حولك حَجْرةً (١) فالعينُ لا تبقى بغير محاجرِ

ما كنتُ أحسبُ أنّ صِبغةَ ودِّنا مما تحولُ على الزمان الغابر

ولو آنني حاذرتُ ذاك فديتُها منه بلونِ ذوائبي وغدائري (٢)

لكنَّ كلَّ غريبةٍ وعجيبةٍ من فعلِ هذا المَنْجَنونِ (٣) الدائرِ

فلئن أقمتَ على التصارُم (٤) لم تجدْ ريّا سِوى عَتبِ الحبيب الهاجرِ

وإن آستقلتَ أقلتُها وجزاؤها منّى مَثوبةُ تائبٍ من غافرِ

حتى ترى سُحُب الوصال معيدةً ذاك الهشيمَ (٥) جميمَ روضٍ ناضرِ

إن الغصونَ يعودُ حُسنُ قَوامِها من بعد ما مالت بهزِّ (٦) صراصرِ

أنا من علمتَ إذا المناطقُ لجلجتْ ألفاظها أو غامَ أُفْقُ الخاطرِ

ما بين ثغرِى واللّهازِم (٧) بَضعةٌ هزِئتْ بشِقشقةِ الفنيقِ (٨) الهادرِ

متحكِّمٌ فى القول ، يلقُط دُرَّه غَوصِى ولو من قعر بحرٍ زاخرِ

واذا نثرتُ سَمَت بلاغةُ خاطبٍ واذا نظمتُ علتْ فصاحةُ شاعرِ

لى فى مطايا الفضلِ كلُّ شِمِلَّةٍ (٩) أبدا أرحِّلها لزادِ مسافرِ

كم موردٍ عرضَ الزُّلالَ لمشربى روَّعتُه وجفعتُه بمصادرى

---

(١) حجرة : ناحية . (٢) ذوائب : جمع ذؤابة وهى منبت الناصية من الرأس .
(٣) المنجنون : الدولاب . (٤) التصارم : التقاطع . (٥) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٦) صراصر : جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب والبرد . (٧) اللهازم : جمع لهزمة وهى مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن . (٨) الفنيق : الجمل المكرم لا يركب لكرامته على أهله . (٩) الشملة : الناقة المسرعة .

إن رثَّ غِمدى لم ترِثَّ مَضارِبى ... أو فُلَّ حدّى لم تُفَلَّ بصائرى

تأتى جيادى فى الرِّهان سوابقا ... وجيادُ غيرى فى الرعيلِ (١) العاشرِ

ومجالسُ العلماء حشوُ صدورها ... أنا ، والذُّنابَى للجهول الحائرِ

إن قال أقوامٌ علىَّ مَناقصا ... لم يضرُر الحسناءَ عيبُ ضرائرِ

لو لم تكن فى وسط قلبى حَبَّةً ... لسلوتُ عنك سُلوَّ بعضِ ذخائرى

ولقلتُ : ما هذا بأوّلِ ناقضٍ ... عهدا ولا هذا بأوّلِ غادرِ

لكن حللتَ من الفؤاد بمنزلٍ ... أصبحتَ فيه ربيبَ بيتٍ عامرِ

شِيَمى على جَوْر الزمان وعدلِه ... أنى أقولُ : لَعًا (٢) لرِجلِ العاثرِ

* * *

وقال يستهدى بعضَ أصدقائه مدادا :

هل فى جُنوبِ «اللِّوى» وجدٌ فأطربَهُ ... بأنَّةٍ أرسلَتْها حَنَّةُ العِيرِ؟

أم روضةُ الحَزنِ من دمعى على ثقةٍ ... فلا تحيِّى حيَا الغُرِّ (٣) المباكيرِ

ومن يكن غرّه فى الحبّ غادرُه ... فقد هَوِيتُ ولُبِّى غيرُ مغرورِ

وما ركبتُ الهوى إلا وقد علمتْ ... نفسى بما فيه من هول وتغريرِ

أغشَى الخيامَ بذلٍّ ليس يطردُه ... لَفتُ الخدودِ وإعراضُ الأساريرِ (٤)

---

(١) الرعيل : القطعة القليلة من الخيل .

(٢) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش .

(٣) الغرّ المباكير : السحاب تمطر فى أول الوسمى .

(٤) فى الأصل « الأساوير » وهو تحريف .

دون الأمانىِّ فيهم كلُّ لاذعةٍ ... والشَّهدُ من دونه لسعُ الزنابيرِ

ما للزمان تُحلِّى لى خدائعَهُ ... أكلَ المُرارِ(١) بأنواعِ الأزاهيرِ

لا يَتبع العينَ قلبى وهى تابعةٌ ... وكيف طاعةُ ذى أمرٍ لمأمورِ

وصاحب لا يدُ التجريب تنقُدُه ... ولا سبائكُهُ تصفو على الكِيرِ(٢)

يسيءُ حتَّى اذا فاحت إساءتُه ... رمَى وراء الخطايا بالمعاذيرِ

تركتُهُ بعبَاءِ الغِلِّ مشتملا ... يُكنُّ للغيظ جُرحا غيرَ مسبورِ

حاشَ الذى شفَّ لى عن كلّ خالصةٍ ... كأنَّ كَشحيْه صِيغا من قواريرِ(٣)

لا يحتبى ببيوت النافقاءِ(٤) ولا ... يروح مشتملا ثوبا من الزورِ

أيابنَ ودِّى آنتسابا مالَهُ رِحِمٌ ... إلا الذى فيك من فضلٍ ومن خِيرِ،

إليك أشكو مشيبا لاح بارقُهُ(٥) ... فى فرع دهماءَ تجرى بالأساطيرِ

كانت مَفارِقها مسكا مضمَّخةً ... فما لها بُدِّلت منه بكافورِ

ومقلةً عُهِدتْ كحلاءَ مرَّهما(٦) ... طولُ البكاءِ على بِيض الطوامير(٧)

كانت دجَى حسَد الإصباحُ لِمّته(٨) ... فجزَّها بحسامٍ منه مشهورِ

---

(١) المرار : شجر اذا أكلته الإبل قلصت مشافرها لشدة عفوصته . (٢) الكير : زق ينفخ به الحداد . (٣) القارورة : الزجاجة . (٤) النافقاء : ناحية جحر الضب التى يخفيها لينفق منها إذا أتى من قاصعائه وهى باب جحره الظاهر . (٥) يريد أن الحبر أبيض من كثرة خلطه بالماء فكنى عنه بالمشيب . (٦) مرهما : أخلاها من الكحل . (٧) الطوامير : جمع طامور وهو الصحيفة ، — وهو يصف بهذه الأبيات الدواة — . (٨) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

يا حبّذا هى والأقلامُ واردةٌ ... فيها وصادرةٌ سُحْمُ(١) المناقيرِ

كأنّما كرَعَت(٢) فى ناظرَىْ رشإٍ ... أو فى سُويداءِ قلبٍ غير مسرورِ

تَحوى القراطيسُ منها روضةً أُنُفًا(٣) ... فيها مُفاخَرة الظلماءِ للنُّورِ

فكيف لى بخضابٍ(٤) تسترِدُّ به ... من الشبيبة لونا غير مهجورِ

ذؤابة النار شطرٌ فيه معتمدٌ ... وفيه للنّحل شطرٌ غير مبرورِ

قد أحكمته يدُ الطاهى فناشَله(٥) ... كحاذب القوس عن نزعٍ وتوتيرِ

فجاءنا بغُدافٍ(٦) لا تسابقه ... شُهبُ البُزاةِ الى فخرٍ وتنفيرِ

لو أنّ صِبغتَه فاز الشبابُ بها ... لما رمَى الدهرُ فوديْهِ(٧) بتغييرِ

وحاجة النِّقس(٨) إن قلّت وإن كثرت ... — اذا سمحتَ بها — مثلُ الدنانيرِ

* * *

وقال يستهدى أقلاما :

ما زال يكشِف عنّى كلَّ طارقةٍ ... ما خوّل الله من صُمِّ الأنابيبِ

إن أمطرتْها بنانٌ(٩) جاش غاربُها ... على المهارقِ(١٠) منهلَّ الشآبيبِ(١١)

---

(١) سحم : جمع أسحم وسحماء وهى السوداء . (٢) كرعت : شربت . (٣) الروضة الأنف : التى لم تطأها قدم . (٤) يريد الحبر . (٥) ناشله : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة . (٦) الغداف : الغراب الأسود — وهو كناية عن الحبر — . (٧) الفود : الشعر فى جانب الرأس . (٨) النقس : الحبر ؛ وفى الأصل "النفس" وهو تصحيف . (٩) الغارب : معظم الماء . (١٠) المهارق : الصحف . (١١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

حتى بلغن الى الغـاياب حاسرةً ... هُتْمَ(١) السنـابكِ(٢) من بدءٍ وتعقيبِ

وٱحتضَرتْها المُدَى(٣) نحتًا وقد فُلِقتْ ... هاماتُها بين تصـعيدٍ وتصويبِ

فعادَ(٤) من طول ما يسرى عَشَنَّقُها(٥) ... مدغَّما بين أطـرافِ الرواجيبِ(٦)

وعنـدك الدوحةُ العليـاء تُنبِتُهـا(٧) ... مَنابت النبع فى شُمِّ الشَّناخيبِ(٨)

فقُدْ الىَّ جيادا من ضوامرِها ... صمَّ السنابكِ(٩) سَبْطاتِ(١٠) الظَّنابيبِ

تختـال فى حَبَرات(١١) الوشى تائهـةً ... على متون العـوالى والقواضيبِ

لو أن بعض غصون الأيك أشبهها ... ألهى الحمائمَ عن شـدوٍ وتطريبِ

ولـو يبايعنى الخَـطِّىُّ(١٢) أنفسَـه ... لم أعطِه شـطرَ أُنبوبٍ بأنبوبِ

وحَمْلُ كفّى على الأقـلام تُرسلها(١٣) ... يطلب حملى على الجُردِ(١٤) السَّراحيبِ(١٥)

لا يملِك الفارسُ المغوارُ شِـدّتَهُ ... ولا بسالتَه إلا بمركوبِ

---

(١) هتم : جمع هتماء وأهتم وهو الذى سقطت أسنانه . (٢) السنابك : أطراف السيوف واحدها سنبك . — والمراد بها هنا أطراف الأقلام — . (٣) المدى : جمع مدية وهى السكين — والمراد بها المبراة — . (٤) العشـنق : الطويل ليس بضخم ولا مثقل . (٥) مدغما : مسود الوجه . (٦) الرواجيب : مفاصل أصول الأصابع ، واحدها راجبة . (٧) النبع : شجر ينبت فى أعلى الجبل . تتخذ منه القسى ومن فروعه السهام . (٨) الشناخيب : جمع شنخاب وهو أعلى الجبل . (٩) صم السنابك : صلاب أطراف الحوافر — والمراد بها الأقلام — . (١٠) سبطات الظنابيب : لينات حروف السيقان ، واحدها ظنبوب . (١١) العوالى والقواضيب : الرماح والسيوف . (١٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى مرفأ السفن بالبحرين — يقال : رماح خطية — على الوصف — ، ورماح الخط — على الاضافة — . (١٣) فى الأصل هكذا « الطبن » . (١٤) الجرد : الخيـل القصيرة الشـعر ، واحدها أجرد وجرداء . (١٥) السراحيب : جمع سرحوب وهى الفرس الطويلة — توصف به الإناث لا الذكور — .

وقال يستهدى كاغِدا[1] خراسانيا :

تظنُّ فراقا أن تثارَ حُمـــولُ ... وهل مثلُ إعراض الوجوهِ دليلُ؟

وإن الصدودَ والتجنِّى وإن دنت[2] ... ديارهُـمُ وخدٌّ لهـــم وذميـــلُ

وكان شفاءً لى لو آن طُلولهَـم ... خُلقنَ ركابا والركابَ طـلولُ

كأنَّ الحمـامَ الوُرقَ حاد غصونه ... ليُدركَهـم، والبـانُ كيف يزولُ!

ألا إنهـم كالخمـر أحسنُ صنعِها ... إلى شاربيها أن تزولَ عقولُ

ترقّون يا آل «المُهيأ» سَرحـكم ... وبآبن أبيـكم فى الفـؤادِ غليـلُ!

ومالى إلى ماء السـحائب حاجةٌ ... ولكنْ يبينُ جائدٌ وبخيـــلُ

أيوعدنى الأقوام أن ودّت المُنَى[3] ... بأنّا لبعض الفـاركاتِ بُعـــولُ!

يقولون: كرُّ الطَّرف فى السِّرب غارةٌ[4] ... عليه، وأطماع النفوس ذُحـولُ

فلا تنذروا سفكَ الدماء لنرعوى ... فكلُّ صريعٍ بالغـــرام قتيـــلُ

أبى القلبُ إلا حبَّهـا «عامريّةً» ... بها السيف واشٍ والسنان عذولُ

أخافَ الغيورُ السُّبلَ بينى وبينها ... فما إن لنـا إلا الخيال رســـولُ!

فياليت أن النجمَ ضـلَّ طريقَه ... وعُمْر الدُّجَى فى الخافقين طويلُ

---

(١) الكاغد : — بكسر الغين وفتحها — القرطاس ، فارسى معرب . (٢) فى الأصـل « نأت » والمعنى لا يستقيم بها ، والوخد والذميل : ضربان من سير الإبل . (٣) الفارك : المرأة التى تبغض زوجها . (٤) ذحول : جمع ذحل وهو الثأر ، وفى الأصل «دخول» وهو تصحيف .

كما طالَ ليلُ الحِبر عندى ومالَه ... إلى الضوء من صبح البياض سبيلُ

وظلّت أنابيبُ اليراع طـــريحةً ... كما يتلوّى فى الفـــراش عليـــلُ

تشهّى(١) على كفّى ولو سلخَ أرقـــمٍ(٢) ... تَخـــتَرُ فى أعطافه وتجـــولُ

فمن لى بخـزّانٍ لديه صنيعـةٌ ... يجـــودُ بمـا جادت به فينيـلُ

وما أنا باغٍ غـيرَ تسـعينَ رَيْطة(٣) ... تَكافأ عَرضٌ عندهنّ وطـــولُ

نواعمَ قـد أفرِغن فى قالَب المُنَى ... فكلٌّ لكلٍّ فى القَـوام عديلُ

صحـائف لو شئنا لقلنا : صفائحٌ ... فمـا منهما إلا أغـرُّ صقيـــلُ

إذا صافحَتْهنّ النواظـرُ عاقها ... شُعاعٌ يردُّ الطَّـــرفَ وهـو كليلُ

وإن زَغزَغَتهنّ(٤) البنانُ تضاحكتْ ... قَهاقِهُ فى ترجيعهنّ صَليـــلُ

على مثلهـا يُلقِي الغَيـــورُ رداءَه ... ويُغـــلِي علينا مهرَها فيُطيـــلُ

ولكن إلى رِخو المفاصل فى الندى ... خطبنا ؛ فقد جُرّت لهنّ ذيولُ

وأفـوزُ قِدح قِـــدحُ(٥) خِلٍّ رِشاؤه(٦) ... بحاجاتِنا فى الأبعدين كفيـــلُ

* * *

وقال يستهدى شرابا :

إن لم أكنْ من راضعى الخمرِ ... ولم أداو السكرَ بالسـكرِ ،

---

(١) يريد : تتشهى . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الريطة : الملاءة — والمراد بها الورق — . (٤) الزغزغة : تجميش فى المغابن كالإبط وأخمص القدم يحدث عنه انفعال يضطر الى الضحك ، وفى الأصل « زعزعتهن » وهو تصحيف . (٥) القدح : سهم الميسر . (٦) الرشاء : حبل الدلو — وهو هنا مجاز — .

ولا إذا ما ركَدتْ خيلُهَا أجريتُهَا فى حلبةِ الصدرِ :

فإننى أهوَى النَّدامَى وما يأتون من خيرٍ ومن شرِّ

وأعشق الكأسَ ، وسلطانُها يأخذهم بالنهى والأمرِ

كأنما الراحُ براحاتهم كواكبٌ فى فَلكٍ تجرى

منتظِمو الأيدى بأدوارها كنظمك الأحرفَ فى السطرِ

ياقوتُها الأصفرُ أمواههم يَنبُتُ فيها زَهرُ الدُّرِّ

تحظى بها عينى وحاشا يدى منها وحاشا موضعَ البشرِ

بل ربما طاف بها أهيفٌ أجفانه من صُحُف السحرِ

مِن سَبَجِ الإظلامِ (١) أصداغُهُ ووجهُهُ من جوهر البدر

والراح لا يرضَى سواها قِرًى ولو قَرَيناه من التِّبرِ

إذا علاها زبَدٌ خلتَه سُحُبًا عليها شَنَبُ (٢) الثغرِ

وليس لى ممّا بها قَطرةٌ يا واكفَ الأنواءِ بالقَطرِ

جُدْ بها تُشبِهُ فى عَرفِها عِرضى وفى رِقّتها شِعرِى

أنتَ صَرِيفِينِي (٣) وقُطْرُبُلِّي وموضعُ الشكر من الدهرِ

(١) السبج : الخرز الأسود . (٢) الشنب : ماء الأسنان ورقتها وعذوبتها .

(٣) صريفين : قرية عند عكبراء تنسب اليها الخمر ؛ وقطربل : موضع بالعراق تنسب اليه الخمر أيضا .

❖ ❖ ❖

وكتبَ الى أبى الحسَن بن نصر الكاتبِ جوابا عن رُقعة :

لو يهتدى وصفِى إلى شـغَفى ... خُطِمتْ(١) بنا فى غارب(٢) الصُّحُفِ

وتركتُ أقـلامى مُفلَّلـةً(٣) ... وخواطـرى متروحة(٤) النُّطَفِ(٥)

شـوقا إليك وما رُمِى جلَدى ... بسهام هجـرٍ أو نوًى قُـذُفِ(٦)

ما مرَّ يـومٌ لا أراكَ بـهِ ... إلا على خطبٍ من الأسفِ

متلفتـا تِلقـاءَ داركُمُ ... أرنو بعيـنَىْ مغـرم دنِفِ

فاذا طمحتُ لوَى الهوى عُنُقى ... وإذا جمحتُ فسـائقى كلَفى

وإذا انصرفتُ فإنمـا جسدى ... ولِّى وقلبى غـيرُ منصرفِ

من ذا ينيلُ جوارحى أمـلا ... ومـواعدُ الآمال للخُـلُفِ

طَرفٌ نـقَى إنسانَ ناظـرِه ... عنـه اقتناعا منـك بالخَلَفِ

والسـمعُ منبتـه مفاوضـةٌ ... معقـودةٌ فى موضع الشَّنَفِ(٧)

ويريد جثمانى مصاحبـةً ... مثلَ اصطحابِ اللام للألفِ

ومطامعى هـذى تَصَـيُّدُهَا ... كتصيُّد الشَّغواءِ(٨) فى الشَّعَفِ(٩)

---

(١) خطمت : جعل عليها الخطام وهو الزمام . (٢) الغارب : ما بين السنام الى العنق — وهو ما يلقى عليه خطام البعير — . (٣) مفللة : مثلمة مكسورة . (٤) فى الأصل . "متروحة" وهو تصحيف . (٥) النطف : جمع نطفة وهى الماء الصافى — قل أوكثر — . (٦) قذف : بعيدة تقذف بصاحبها . (٧) الشنف : القرط يعلق فى أعلى الأذن — والأصل فيه سكون النون — ، والبيت ورد هكذا بالأصل وفيه تأمل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل « الشعواء » وهو تصحيف . (٩) الشعف : جمع شعفة وهى رأس الجبل .

يا أيّهذا الخـلُّ دعـوةَ مَنْ أثقلتَـه بالقـــرض (١) والسّلَفِ
لا تُسرفَنْ فى الـودِّ معتمـدا رِفِّى فإنّ البخلَ فى السَّرفِ
قد جاءنى القِرطاسُ (٢) مكتسيا ببدائع كالدُّرّ فى الصَّـــدَفِ
فكأن راحتَـــك الربيعُ فما تُخـلى الرّبَى من روضة أُنُف (٣)
ألقت فُـويقَ مناكبى مِننًا مضمونها جبرى على الكُلَف (٤)
حسبى عوارفك التى جمعتْ بين اللُّهَى (٥) لى منكَ والشَّرَفِ

* * *

وكتب إليه أيضا :

يا ماءَ "لِينَـةَ" (٦) لو نقعتَ أُوامى (٧) كانت حياضُك لى كئوسَ مُدامِ
لا يعدِلُ (٨) المشغوفُ عن سَنَن الهوى ولو آنَّ حدَّ العذل غَربُ حسامِ
كيف السلوُّ وليس يَسلُك سمعَـه إلا حنينٌ أو بكاءُ حَمامِ
حتى كأنّ القلبَ مدّ حجابَهُ ليُردَّ عنـــه طـــوارقَ اللـــوّامِ
ولقد عَرضتُ على السلوِّ جوانحى الـ ـحـــرَّى فلم يَرهنّ دارَ مقامِ
ما ضرَّ من زار الغـــيورَ أمامَـــهُ لوزار فى ثوبٍ من الأحلامِ؟

---

(١) فى الأصل «بالفرض» وهو تصحيف . (٢) القرطاس : الصحيفة . (٣) الأنف : التى لم يرعها أحد . (٤) كلف : جمع كلفة وهى المشقة . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٦) لينة : موضع فى بلاد نجد به ركايا عادية وماؤها عذب زلال .
(٧) الأوام : شدة العطش . (٨) فى الأصل "يعذل" وهو تصحيف .

جُزْ "باللوى" إن كنتَ تُؤثرُ أن ترى (١) حَدَقَ المها (٢) وسوالفَ الآرامِ

وتأنَّ فى نظرِ الخدور فبينها (٣) صورٌ تبيحُ عبادةَ الأصنامِ

ناضلننا بنوافذٍ مسمومةٍ ووددتُ لو قبلتُ سهمَ الرامى

وكننَّ فى الأيدى خضابا ناميا ونظيره فى القلب حبٌّ نامِ

ليس البراقعُ كاتمها لكنها يومَ الوداع كنائنٌ لسهامِ

بينى وما بين الكواعب موعدٌ يُلقِى إلى كفّ المشيب زِمامى

لاينتهى الطيفُ المزاورُ مضجعى (٤) عنّى وفى فَوْدىَّ جُنحُ ظلامِ

والدهرُ ذو شيئين يصبغ لِمّتى (٥) كلتاهما بالصبح والإظلامِ

قد كنتَ بُهْمَى (٦)، جعدة (٧)، خسّيّة (٨) فبأىّ ماء صرتَ نَوْرَ (٩) ثغامِ (١٠)؟

أعلىً تقترعُ الليالى بعدما غلّت يديها (١١) شِرَّتى وعُرامى؟

تلهو بحَوْذان (١٢) « العراق » ركائبى وعزائمى ترعَى رياضَ « الشامِ »

لى فى بطون اليعملات (١٣) مَزادةٌ (١٤) تُروِى إذا غدرَ الغديرُ الطامى

---

(١) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . (٢) آرام : جمع رئم — على القلب — وهو الظبى الخالص البياض . (٣) فى الأصل : « الخدرد » وهو تحريف . (٤) الفود : شعر الرأس من جانبيه . (٥) اللة : الشعر المجاور شحمة الأذن . (٦) اليهمى : نبات يشبه الشعر . (٧) جعدة : ملتوية متقبضة مع لين . (٨) خسية : — منسوبة الى الخس — وهو بقلة معروفة عريضة الورق لينة . (٩) النور : الزهر . (١٠) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر، كأن جماعتها هامة شيخ — يخاطب الشعر — . (١١) الشرة والعرام : الشراسة . (١٢) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (١٣) اليعملات : الإبل . (١٤) المزادة : وعاء للماء .

و إذا الجِفانُ (١) الغُرُّ طلّقت الضحى ... حَنَت الظُّبى (٢) من غارب وسَنامِ (٣) (٤)

كم بازلٍ (٥) كوماءَ أخطأها القِرَى ... رُدَّت فريضتُها (٦) إلى الأزلامِ (٧)

إن القناعة مذ خَطمتُ بحبلها ... طمعى تساوت رحلتى ومقامى

فالبِيدُ عندى كالقصور ونهضتى ... كتثبُّطى والوُجْدُ كالإعدامِ

ألقَى بنى هذا الزمانِ مُهجهجا (٨) ... زجرَ الحُداةِ بهيمةَ الأنعامِ

أشخاصُهم لا حِسَّ فى عَرَصاتها (٩) ... وقلوبُهم ثكلَى من الأفهامِ

حسبى وقد أصبحتُ فذًّا (١٠) بينهم ... بك يا "أبا الحسَن" الشقيقِ تؤامى (١١)

حَمَلَتْ بنا فى ليلةٍ مزءودةٍ (١٢) ... أمُّ الخِلال الغرّ حملَ تمامِ

وتكفَّلت ظِئرُ (١٣) العلا برَضاعنا ... حوْلَين ما تحصيهما لفطامِ

حتى إذا الآداب شُدَّ نِطاقُها ... زُفَّت إلى شُمّ الأنوف كرامِ

يَسْبون أبكارَ المعانى حيثما ... شنُّوا الإغارةَ وهى غيرُ حرامِ

هذا هو النسبُ الصريحُ وغيرنا ... يختال بالأخوال والأعمامِ

لوكان نصلُ إخائى يصدئه النوى ... لصقلتُه بالوصل والإلمامِ

---

(١) الجفان الغر : القصاع البيض . (٢) الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف والسنان وغيرهما — والمراد بها هنا المدى — . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) السنام : أعلى ظهر البعير .
(٥) البازل الكوماء : الناقة العظيمه السنام . (٦) الفريضة : ما فرض فى السائمة من الصدقة .
(٧) الأزلام : جمع زلم وهو أحد سهام كانوا يستقسمون عليه فى الجاهلية . (٨) مهجهجا : صائحا .
(٩) العرصة : ساحة الدار وهى هنا مجاز . (١٠) الفذ : الفرد . (١١) التؤام : الزوج .
(١٢) مزءودة : مروعة مذعورة — كناية عن شدتها — . (١٣) الظئر : المرضع .

لكننى والبينُ يَحـرُق نابَه أفترُّ عن ثغرِ الهـوى البسّامِ

أنتَ النهـارَ تذكُّرى وتفكُّرى والليـلَ أحلامى وطيفُ منامى

إن كان أقوامٌ نظامُ فـرائدٍ كنتَ النظامَ وسِلكَ كلّ نظامِ

أنا عن سوابقـك الجيـادِ مقصّرٌ ومسـلِّم يومَ الرِّهَانِ لحامى

* * *

وقال من قصيدةٍ ولم يُتمّمْها :

قلتُ «لعمرو» جَذِلا (١)أشجُجْ بها هامَ الفلا

فما اجتويتَ منزلا إلا انتجعتَ منزلا

وإنّ من تسجُنه أوطانُه لمُبتَلَى

قعيدةُ الخدرِ فما تعرِفُ إلا المِغزَلا

أما ترى الطائرَ فى أُفحوصه مقلقلا؟

يستخدم الجَنوبَ فى جَناحِه وَالشَّمألا

مخلِّفا وراءَه (٢)حمامةً وجَوْزلا

إما يصيبُ (٣)جازئا (٤)من قُوته أو أجدَلا

والقدَر المحتومُ لا يُحزُّ إلا المَفصِلا

لما رأيتُ الذلَّ قد (٥)أبرز نابًا أعصَلا

(١) أشجج : شق . (٢) الجوزل : ولد الحمام . (٣) الجازىء : ما اكتفى به من الطعام . (٤) الأجدل : الصقر . (٥) الأعصل : الأعوج .

شاورتُ عزمى : ماترى؟ فقـال : هاتِ وهَـلا (١)
إمـا عِتـاقا للنَّجـا ءِ أو هِجـانا بُـزَّلا (٢) (٣) (٤)

وقال :

أرى الأمـوالَ فى اللؤماء تثوِى وتجتنبُ الـكرامَ من الرجالِ
كذاك الدُّرُّ فى مِلـحِ أُجاجٍ وليس يكون فى عَذبٍ زُلالِ

وقال :

قلقلْ ركابَك فى الفـلا ودع الغـوانىَ للقصورِ
فمحالفـو أوطانهـم (٥) أمثالُ سُكّان القبـورِ
لولا التغـرُّب ما ٱرتقَى دُرّ البحورِ إلى النحورِ

وقال فى الغَزَل :

عينى التى علِقتْ حبائلُكم بهـا والحسنُ للعين الطموحةِ صائدُ
وخدعتمُ سمعى بطيبِ حديثكم ومن الكلام لآلئٌ وفـرائدُ
وتردّد الأنفاسِ مَلّكَ عرفكم (٦) ما ليس يبلغُه العبيرُ (٧) الجـاسدُ (٨)

(١) هلا : كلمة تستعمل للحث . (٢) العتاق : كرام الخيل . (٣) الهجان : الكرام من الإبل . (٤) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٥) فى الأصل «فمخالفى» وهو تحريف . (٦) العرف : الرائحة الطيبة . (٧) العبير : أخلاط من الطيب .
(٨) الجاسد : اليابس ، وفى الأصل "الحاسد" وهو تصحيف .

وأحلتمُ قلـــبي على أخلاقـكم فاذا السُّلافة[1] والزلالُ[2] البـاردُ

وبقى لسـانى وحدَه لى زاجرا هيهات، لا غَلَبَ الجماعةَ واحدُ!

* * *

وقال فى مثله :

لا تَظُنَّنَّ بى سُـلُوًّا وإن كنـ ـتُ عزيزَ الدموع بين الجفونِ

إنما يصعبُ الدفينُ من الدا ءِ وسهـلٌ ما كان غيرَ دفينِ

وبكاءُ القـلوبِ أسرفُ فى حكـ ـمِ المحبّينَ من بكاءِ العيـون

* * *

وقال يهجو :

أيا وَلد "الحُصَين" وما "حُصَينٌ"؟ لمـاذا — ضلَّ سعيُك — هِجتَ حَربى

أطلتُ تفـكُّرَى فـرأيتُ علمى وجهـلُك ضـدُّه فعـرفتُ ذنبى

وما أهجـوك أنك أهـلُ هجـوٍ ولكنّى أجـرِّبُ فيـكَ ضربى

وهـل عيبٌ[3] على شَفَـراتِ سيفى إذا ٱستمحنتُها فى لحـمِ كلبِ

* * *

وقال فيه :

لا تغتبط يابنَ "الحُصَينِ" بِصِبيَةٍ أضحت لديك كثيرة الأعـدادِ

لا تفـخرَ فيـك ولا ٱفتخارٌ فيهمُ إن الـكلابَ كثيرةُ الأولادِ

---

(١) السلافة : الخمر . (٢) الزلال : الماء العذب . (٣) فى الأصل «عتب» .

* * *

وقال فى آبن دارَسْت :

قالوا : آبنُ "دارستِنا" وزيرٌ ... فقلتُ : لفظٌ بغيرِ معنَى

مثلُ لديغٍ يُدعَى "سَليما"(١) ... "نَصْرًا" و"فتحا"(٢) يُسمَى ويُكنَى

كأنّما وجهه كتابٌ ... سوَّدتَ فيه ظهرا وبَطنَا

بعضُ وُعولِ الجبال لكن(٣) ... أطولُها لحيةً وقَرنَا

أقبلَ من "فارسٍ" الينا ... فى عُصبةٍ كالحَميرِ لُكْنَا

ظننتُهم حولَه شِياها(٤) ... والشيخَ تيْسا والدَّستَ دَبْنَا(٥)

يا رائدا دُلَّنا عليه ... صدقتَ حِسًّا وخِبتَ ظنًّا

* * *

وقال فيه :

دَستُ الوزارةِ يبتغى حَجَرا ... منكم ليستنجى من الخَبَثِ

أو ليس مفترضا طهارتُه ... بعد "آبنِ دارَسْتٍ" من الحدَثِ

ثُنِيَتْ أرائكه على شَبَحٍ ... خالٍ من الأعراضِ والجثثِ

ولربَّ حىٍّ فى تصوُّرِه ... والمَيْتُ خيرٌ منه فى الجَدَثِ(٦)

---

(١) يقال للمدوغ سليم تفاؤلا بسلامته من لدغة . (٢) فى الأصل «قبحا» وهو تصحيف .

(٣) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٤) شياه : جمع شاة وهى معروفة . (٥) الدبن حظيرة للغنم تعمل من قصب ، فإن كانت من خشب فهى زرب — بكسر الزاى وفتحها — ؛ وإن كانت من حجارة فهى صيرة — بكسر الصاد — . (٦) الجدث : القبر .

* * *

وقال فيـــه :

لُحِيَ "ابنُ دارَسْتٍ" على إمساكه ... فأجاب : إنى باذلُ الماعون (١)

أوَ لم تكونوا بيتَ بيتَ جِوارنا (٢) ... فقَـرَيتُكم بالماء فى "كانونِ" (٣)؟!

فأرضوا بأسقيةِ الزلال قرًى لكم ... ودعوا الجِفانَ فإنها بكفونى

لا كان زادٌ فى وعائك إنه ... سببٌ لطاعمه من الطاعونِ

* * *

وقال عند عزله :

اِرجِعْ الى ما أنت أهلٌ لهْ ... شُدَّ متاعَ القوم أوحُلَّهْ

قد عثَر الدهرُ بكم عثرةً ... ودَّ بها لو قطعوا رِجلَهْ

إنّ زمانا "لابن دارستَ" قد ... قُدِّمَ فيه زمنٌ أبلَهْ

قد قال عذرا حين وبَّختُه : ... لا بدَّ للعالِمِ من زَلَّهْ

* * *

وكتب إلى صديقٍ له أهدى إليه رُطَبا معسَّلا وصابونا وقواصرَ تمرٍ يشكره . (٤)

ودادُك فى قلبى ألذُّ من المُنَى ... وذكرُك أحلَى فى اللَّهاة (٥) من الشّهدِ

---

(١) الماعون : المعروف .

(٢) يقال : هو جارى بيت بيت أى ملاصقا ، وفى الأصل * أو لم يكونوا بيت بيت جواركم * والضمائر فى هذا البيت مضطربة فأثبتنا ما رجحناه ليستقيم المعنى .

(٣) كانون : من الأشهر الرومية وهو من قلب الشتاء .

(٤) قواصر : جمع قوصرة وهى وعاء من قصب يرفع به التمر من البوارى — وهى الحصر — .

(٥) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

فلستُ بمحتـاج إلى أن تُعينَه ... بمـا نتجَتْـه البـاسقاتُ من الولدِ

ولكنّما أذكرتَنى بشـمائل ... جعلنَ على المُهدَى الفضيلةَ للمُهدِى

أتتنا هداياك التى لم نجـد لهـا ... جزاء سـوى الشكر المكلَّل بالحمـدِ

معاليقُ(١) باقـوت تخالُ ثقـوبها ... بأَبشِيزكاتِ(٢) التّبر نُظِّمنَ فى عِقدِ

وإنّ نتاجَ النحلِ والنخلِ واحدٌ ... وهل بين شكل الحاءِ والخاءِ من بُعدِ

أتت فى مُروطٍ(٣) من يراعٍ كأنهـا ... من القصَب المصرىِّ تختال فى بُردِ(٤)

وقد قدَّرتْ كفُّ الصّناعِ(٥) ٱلتئامَها ... كتقدير "داودَ"(٦) المسامير فى السَّردِ

تعـانقنَ فيهـا كٱعتناق حبائبٍ ... فمـا نتعاطـاهنَّ إلا على جهـدِ

إذا فـرّقتهنّ البنانُ(٧) تشبَّثت ... بمثل هَباء الشمسِ خوفا من البُعدِ

وأخرى تجلَّت فى قميصِ زجاجةٍ ... كما ضُمِّن القـنديلُ لألأةَ الوقـدِ

نفَـوا قلبها القـاسى وآووا مكانَهُ ... رقيقا وإن ساواه فى اللون والقدِّ

فـو الله ما أدرى أذاك نَحِيتـةٌ(٨) ... من الزُّبد أم هذا مصوغٌ من الزَّبدِ؟!

بكا للتنائى بعضُها فـوق بعضِهـا ... دمًا مُجْسَدا فى صِبغة اللحم والجـلد

---

(١) معاليق : جمع معلاق وهو كل ما علق . (٢) كذا بالأصل وقد شكلت بالقلم، ولم نعثر عليها ولعلها بمعنى "سلوك" .

(٣) المرط : كساء من خز، وربما تلقيه المرأة على رأسها تتلفع به . (٤) البرد : الثوب . (٥) الصناع : الحاذق الماهر فى صنعته .

(٦) السرد : نسج الدرع — ويقال : إن أول من أحكم صنع الدرع داود عليه السلام — .

(٧) تشبثت : تعلقت . (٨) فى الأصل هكذا "نحبه" .

وزادت بلون الزعفـران تصبُّغـا ... ولا تَشنَعُ(١) الحسناءُ من حمرةِ الخدِّ

فتـلك بَرانٍ(٢) أم مخازنُ جوهر ... حُشينَ فريداتٍ من العـنبر الوردِ؟

اذا قلّبتهنّ الأكفُّ تعجّبـا ... توهّمها الراءون تلـعبُ(٣) بالنَّردِ

وشهباء(٤) يُستجلَى الضَّريبُ(٥) بلونِهـا ... وطينتُهـا من عنصر الحجَر الصَّلدِ

مقابَلة الأضـلاع ، كان مثالُهـا ... قياسا "لذى القرنَين" فى زُبَر(٦) السدِّ(٧)

عَدُوَّة "مانى"(٨) فى البياض، كأنّها ... ولونَ المشيبِ قد أقاما على عهدِ

وما عطّـر الأثوابَ مثلُ مقدَّمٍ ... على المسك والكافور والعُودِ والنَّدِّ

أيادٍ توالت منك عجَـلَى كأنهـا ... شَرارٌ أطارته الأكفُّ من الزَّندِ

وإنىَ فى عجـزى عن الشكر سائلٌ ... مساعدتى مَن كلَّم الناسَ فى المهدِ؟!!

* * *

وقال يهجو :

ضيوفُ "آبن فَضلانٍ" سواءٌ نهارُهم ... وليلُهـمُ صوما من الشّرب والأكلِ

ويُلزمهـم أن يَنكحـوه وعِرسَه ... وصعبٌ على مَن شئتَ خَرجٌ بلا دَخلِ

---

(١) تشنع : تقبح ، وفى الأصل هكذا « لسع » . (٢) البرانى : جمع برنية وهى وعاء من خزف . (٣) النرد : شىء معروف يلعب به — وهو ما يسمى « بالطاولة » — .

(٤) يريد زجاجة بيضاء . (٥) الضريب : العسل الأبيض الغليظ . (٦) زبر : جمع زبرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٧) السد : — بالفتح وبضم — الحاجز بين الشيئين والمراد به ما بناه ذو القرنين ؛ وقصته معروفة فى القرآن الكريم . (٨) مانى : رجل يقول الخير من النهار ، والشر من الليل ، ومذهبه مذهب المانوية ؛ — ومعنى البيت مضطرب — .

* * *

وقال :

قل "لابن جابرَ" الذى جعلَ اللهُ لـــه كلّ خَـــلّةٍ[1] قـــذِرَهْ :
الجنُّ نارٌ والإنسُ من حَمَـــإٍ[2] فأنتَ لِمْ ذا خُلقتَ من عَذِرَهْ؟[3]

* * *

وقال فى سوداء :

عُلِّقتُهـا حَمَّـاءَ[4] مصقـولةً سـوادُ قلبى صفـةٌ فيهـا
ما انكسف البدرُ على تِمِّهِ ونُورِه إلا ليحكِيهـا
لأجلهـا الأزمان أوقاتُهـا مؤرخاتٌ من لياليهـا

* * *

وقال فى الشيب :

لم أبكِ أن رحلَ الشبابُ وإنمـا أبكى لأنْ يتقاربَ الميعـادُ
شَعـرُ الفتى أوراقُه فاذا ذوَى جَفَّت[5] على آثاره الأعـوادُ

* * *

وكتب الى أبى الخير سعيد بن منصور بن مُوصَلايا يستهدِى منه أقلاما ومِدادا عند توجُّههِ إلى بعض الأسفار

"أبا الخير" المفيدَ لكلِّ خيرٍ وكاسِىَ نُبْـلِهِ ريشَ الصوابِ

---

(١) الخلة : الخصلة ، والبيت غير متزن وقد تحاشينا التصرف فيه . (٢) الحمأ : الطين .
(٣) العذرة : الغائط . (٤) الحماء : السوداء كالحمأ وهو الطين . (٥) فى الأصل «خفت» وهو تصحيف .

ومن ألقى اليه الناسُ طرًّا مقاليـــدَ الكتابة والحسابِ

ومن إن شاء إنشاءً بليغا فليس يَعُوزه فصلُ الخطابِ

فضائلُ يُنسَب الإحسانُ فيها كما نُسب القِطارُ الى السحابِ

أرانا كلَّ معجِبةٍ إلى أن أرانا عنـــده لونَ الشبـابِ

مِدادا إن تضمَّنه محـــلٌّ ظننتُ مقرَّه وكرَ الغرابِ

فما أدرى أمن كُحـــلٍ مُماع تجسَّم أم دُجَى ليـــلٍ مذابِ

تقـــولُ اللِّـــة(١) الشمطاءُ(٢) لمّا رأته : ليتَ هذا من خِضابى!

وقد أزِفَ الرحيـــلُ فلا مقامٌ سوى شدّ الرِّحال على الركابِ

إلى ملكٍ توسَّـــط بين برٍّ وبحـــرٍ طافحٍ سامى العُبـابِ

فلستُ بواجدٍ فيـــه أنيسا سوى الحيتان تُقرنُ بالضِّباب(٣)

فزوِّدْنى من الأنقـاسِ(٤) قـــدرا يقـوِّتنى إلى حين المـآبِ

فإن أسعفتَ بالأقـلام مَنًّا فما يغنى الطعامُ عن الشرابِ

* * *

وقال :

تزاحَمُ فى صـــدرى القوافى ولا أرى لهـا مستحقًّا فى الزمان ولا أهـلا

وكيف أمتـــداحى معشرا شجراتُهم عَوارٍ فما تُجدِى ثمارا ولا ظِـلّا

---

(١) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) الشمطاء : التى خالطها سواد وبياض .

(٣) الضباب : جمع ضب وهو معروف . (٤) أنقاس : جمع نقس — بكسر النون — وهو الحبر .

فلو شَرُفوا بالعـلم وآطرحوا الندى تأوّلتُ فيهم أننى أمـدح الفضـلا
ولو تركوا الآدابَ عنهم بمعزلٍ وجادوا، لقلت: أمدحُ الجودوالبذلا
ولكنهـم عن ذا وذاك تزحزحوا فلم أرَ أنى أمدحُ الجهـلَ والبخلا

* * *

وقال وقد سئل أن يلغز أبياتا فى النار :

هـل تعرفُ الحسناءَ تَفـ ـخَر بالبروز على الطريقِ؟
ولهـا ولىٌّ لا يغـا رُ من الزيارةِ والطُّروقِ
لا يستريبُ بهـا وإن كانت شِعـارا للرفيـقِ
وإذا آختفت فى خِدرها جُلِدتْ لتَظهَر فى الحقوقِ
فأتتـك منـه فى حِدا دٍ ناصلٍ واهى الخروقِ
ثم آكتست بغِـلالةٍ (١) إما عَرارٍ (٢) أو شـقيقِ
تاجُ الزُّمُرّد (٣) فـوق مَفـ ـرِقها يُرصَّعُ بالعقـيقِ
بين الأنام وبينهـا ماشئت من نسبٍ عريقِ

* * *

وقال :

تقاعستُ عن أبناءِ دهرىَ عائفا موارِدَ منهـم ضافياتِ الغـلائلِ
ولى قُـرباتٌ عندهـم غير أننى أضَنُّ على أفضالهم بفضائلى

(١) العرار : النرجس البرى ؛ او هو بهار ناعم أصفر طيب الرائحة . (٢) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة . (٣) الزمرد — بالدال والذال — حجر كريم أخضر اللون .

وقال ولم يتمّمها :

فـرّ من الحبِّ قلبُـه فنجَا ... من بعد ما خاضَ فى الهوى لُجَجَا

فمـا سـباه ملـثَّم بضُحـىً ... ولا شجـاه معـمَّم بـدُجَى

من بيكِ حَولا يُعذِرْ فكيف بمن ... بكَى على رسم دارهـم حِجَجا

هذا اللَّمَى ذلك الذى شغف الـ ... ـقلبَ وخمـرُ الثغور ما مُزِجا

فكيف حالَ الغـرامُ منـه قِلًى (١) ... ونال من بعـد شدَّةٍ فرَجا

لأ تأمنّى على مراجعـةٍ ... مَن دبَّر الحبَّ قبلَنا بحِجَا؟

يا ناقـةَ الظبيـةِ التى ظعنَتْ ... أهـودجا ما حمَلتِ أم بُرُجا؟

زاد بـكِ البـدرُ فى منـازله ... منزِلتَيْهـا "عُسْفَانَ" (٢) أو "أَمَجَا" (٣)

قد أغربَ القينُ (٤) فى سهامهمُ ... راشَ بهُـدبٍ ونصَّـلَ الدَّعَجا

أليس هـذا السـلاحُ ويحكمُ ... أحكَمَ "داودُ" الذى نَسـجَا

كانت دموعى ماءً فصـرنَ دَمًا ... أأبـدل السنُّ شأنَهـا ودَجَا؟ (٥)

ونار قلبى هى التى ظهـرت ... تُوقدُ فى الليـل مَفـرقى سُرُجا (٦) (٧)

---

(١) القلى : البغض (٢) عسفان : منهل من مناهـل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل غير ذلك . (٣) أمج : بلد من أعراض المدينة . (٤) القين : الحـداد .
(٥) الودج : عرق فى العنق إذا قطع لا تبقى معه حياة . (٦) المفرق : — من الرأس — محل فرق الشعر . (٧) سرج : جمع سراج وهو معروف .

ليت الذى نظَّـــمَ اللا لئَ فى فـرعِى خَـــلَّى مكانَهـا السَّبجا (١)

يا مولِجَ الليـلِ فى النهـارِ أما آن لصبحٍ فى الليـــل أن يلِجا؟!

* * *

وقال ولم يتمّمها :

جاريتُ (٢) فى الحبِّ أطلاقا (٣) بلا أمدِ فها أنا سابقُ (٤) العُشّاقِ بالكمـــدِ

ما يستطيل فؤادى فى الهوى سَفَرا والهمُّ زادى وماءُ العين من عُدَدِى

خفْ يا مليكَى أن يفنَى عذابُك لى ولا تخفْ أننى أبقى بـلا جَـــلَدِ

جيشٌ من الصبر عندى ليس يهزِمهُ شـوقٌ تُغـير سَرَاياه (٥) على الكبِـدِ

بلغتُ أقصَى المَدى فيه وما ثلَمتْ منه الوشاةُ فـــلم ينقُص ولم يزِدِ

إن الألى ملئوا الأجفانَ من مطرٍ هـــم الألى ملئوا الأفواهَ من بَرَدِ

مَن نابُهُ شَنَبٌ (٦) وظُفْـــرُه عَـــنَمٌ (٧) فهو الغزال الذى يحنى على الأسدِ

نفسى إلى الله لا تشكو جفـاءكُمُ ولا إليكم ، فهل تشكو إلى أحدِ؟!

* * *

وقال :

تُسائلنى دِرعى : أهذى هى النَّبْلُ؟ لعـلَّ الذى شبّهتَـه الأعينُ النُّجلُ!!

(١) السبج : الخرز الأسود — فارسى معرب — . (٢) فى الأصل «حاربت» وهو تصحيف .
(٣) أطلاق : جمع طلق — بفتح الطاء واللام — الشوط ؛ — وبضم الطاء واللام — غير المقيد من البعران أو النوق ؛ والفرس اذا كانت إحدى قوائمها لا تحجيل فيها . (٤) فى الأصل «سائق» وهو تحريف . (٥) سرايا : جمع سرية وهى القطعة من الجيش . (٦) الشنب : ماء ورقة فى الأسنان . (٧) العنم : شجر ثمره أحمر يشبه البنان المخضوبة .

رمَيْنَ[1] سهاما فى الجسوم جراحُها ؛ وما أنتَ من سهم به يخرُج العقلُ ؟ !

متى ماتجِدْ لى الشمسَ فى غسَق الدُّجَى أجِدْ لك قلبا ماله فى الهوى شغلُ

ولولا اتّفاقُ الناس فى الحبِّ أنه قديمٌ ، لقلتُ : لوعتى مالهَا قَبْلُ

أيا حادىَ الأظعان أعجِلْ فإنها الـ ـمنايا ، وبعضُ البِرِّ أن يؤجَرَ[2] القتلُ

ويا قلبُ أقرِرْ بالذى كنتَ جاحدا فقد ضجِر اللاحى وقد فنِيَ العذلُ

يزيد الحسانَ البيضَ فى اللؤم رغبةً تصوُّرُنا أنْ منهُمُ يحسُن البُخلُ

* * *

وقال :

يا "آل عَوفٍ" أنجدوا الصّبَّا ولطالما فرَّجتُم الكَرْبا

كان ابتداء أخيكُمُ مِقَةً ثم استحالت بعدَ ذا حَربا

كُفُّوا ظباءً فى مَسارحكم تَسبى اذا غُزِيتْ[3] ولا تُسْبَى

وخذوا يدى اليمنَى معاهِدةً أن لا تعاوِد مقلتى الحُبَّا

قالوا : حلَلنا عنهُ رِبقَتَهُ ، صدَقوا ، وشَدّوا العينَ والقلبا

* * *

وقال ولم يتمّها :

أتنساها على "خَيْفٍ" مِنًى "تَهوِى أبابيلا[4]

---

(١) فى الأصل هكذا « بعين » ولعلها محرفة عن « رمين » بأن شبكت الراء فى الميم فالتبست على الناسخ .

(٢) فى الأصل هكذا « يوجر » .

(٣) فى الأصل « غرنت » وهو تصحيف .

(٤) الأبابيل الجماعات .

وقـــد ألبسها الوخدُ (١) مِن المَرْو (٢) خلاخيلا

رُبَّى فيها ترى الحامـ ـل قـــد شابَهَ محمولا

فـذا بالنُّسك منحـورا وذا بالحبّ مقـــتولا

أتـدرِى أيّهـا أَســـ ـرُ للأرواح ترحيـــلا

هـــل البِيضَ (٣) المبـاتيرَ أم البيضَ العَطابيـلا (٤)؟

وليس الخـدُّ مصقولا بدون السيف مصقولا

أمَن يقطعُ فى غِمدٍ كمن يقطـــع مسلولا؟

ألا يازاجـــرَ الســانـ ـح (٥) ما أحسنتَ تأويلا

جرَى اليمنَى وما صادفـ ـتَ حبلَ الوصل موصولا

أرَى الخِدرَ (٦) لمـا يصنـ ـعُ بى سُكَّانُهُ غِيلا (٧)

* * *

وقال :

أظنُّك تبتغى حلَبَ الثـغورِ ولو عُوِّضْتَ بالمـاء النميرِ

---

(١) بالأصل، "الوجد"؛ والوخد : ضرب من السير السريع . (٢) المرو : حجارة بيض براقة ، وهو أيضا موضع من شعائر الحج . (٣) فى الأصل « السمر » وكتب أمام هذا البيت فى هامش الأصل « أظنه البيض » ؛ ونحن نرجحها لأن السمر — وهى الرماح — لا توصف بأنها باترة، والبيض المباتير : السيوف القاطعة والبيض الثانية : الجوارى الحسان . (٤) العطابيل : جمع عطبول وهى الجميلة الطويلة العنق . (٥) السانح : الطائر أو الظبى يمر من اليمين — والعرب تتفاءل به وضده البارح — . (٦) الخدر : بيت الجارية . (٧) الغيل : بيت الأسد .

وتطلبُ من حَمامِ الأيك لحنا يَهيج بلابلَ القلب الذَّكورِ

* * *

وقال :

يا كاهنَ الحبِّ خبّرنى مَن الجانى عينى التى عشقت أم طَرْفَ الرانى؟ (١)

ولو علِمتَ الذى يجرِى على كبدى لقلتَ : إنهما فى الحبِّ سِيّانِ (٢)

* * *

وقال ولم يتمها :

قد علمتْ ليلة الحمى ورَعى والبدرُ فيها فريسةُ الطمعِ

أُغمِضُ عينىَّ عن محاسنها والقلبُ ما تذكر الجفونُ يعى

تزجرُنا خيفة "الإمامِ" عن الـ ـصَّبوةِ زجرَ المشيبِ والصَّلعِ

" القائمِ " المنتضى صوارمَه على رُءوس الأهواءِ والبدَعِ

بذكر أسمائِه التى شرُفَت يُعرَفُ فضلُ الأعيادِ والجُمَعِ

* * *

وقال ولم يتمّها :

لا مجدَ إلا " للإمام القائمِ " وإن ادّعتهُ عصابةٌ من "هاشمِ"

نرضَى لدينِ الله والدنيا الذى رضِىَ النبىُّ لبُرْدِه والخاتمِ

---

(١) كذا بالأصل ، ومعنى العين والطرف واحد ، ولعل صوابه :

* عَينى التى عَشِقَتْ أمْ قلبىَ العانى *

(٢) فى الأصل «الحسن» وقد كتب فوقها بالقلم الرصاص «الحب» فرجحناها .

* * *

وقال فى غَرَض :

أُقسم بالعـاديات(١) ضَبْحا(٢) حقًّا وبالموريات(٣) قَدْحا :

بأنكم توسعون مَقْتا من زادكم عِفـة ونصحا !

فى كلّ يوم لكم سطورٌ تُكتبُ بالعهـد ثم تُمحَى

وكلُّ ما يُبتَنَى عِشاءً يُهـدَمُ بعد التّمـام صُبحا

كالأفق إن غام فى جَنوبٍ هبّت شَمـالٌ له فأصحَى

آمالُنـا فيكُمُ هَبـاءٌ أضرَبَ عنها الرجالُ صفحا

من همُّه أخذُ رأسِ مالى فكيف أرجو لديهِ ربحا؟!

* * *

وقال :

ياليتهـم حين صَيَّروا خَدَما عُمَّـالَ عُمّالهـم كما حُكما :

جَرَوا على ذلك القياسِ بأن تصـيرَ عُمّالهُم لهـم خدَما

* * *

وقال ولم يتمّمها :

بعينيـك إضرامُهـم للأكمْ بجُمـرِ القِبابِ وحُمـرِ النَّعَمْ

تَخَيّلهـا الضيفُ نارَ القِـرَى وما هى إلا قـلوبُ الأمـمْ

---

(١) العاديات : الخيل — سميت بذلك لعدوها — . (٢) الضبح : صوت للخيل فى عدوها لا بالصهيل ولا الحمحمة . (٣) الموريات : الخيـل تصك الحجارة بحوافرها فتبدو منها النار — على التشبيه بإيراء الزناد — .

ورقّ الحُداةُ لإنصاتِهم (١) فأبدلْنَها بالسياطِ النَّغَمْ
لقد كذبَ الفألُ لما زجرتُ ظباءَ "سُليمٍ" "بوادى السَّلْمْ" (٢)
فما كنَّ إلا الجوى والأسى وطولَ السهادِ وفرطَ السَّقَمْ
أترجو لمن قد هَوى صحّةً وما علّةُ الحبِّ إلا لَمَمْ؟ (٣)
ولما رأى البُرءَ فى عَذْله رماه الهوى بالعمَى والصَّمَمْ
تظنُّ السحائبَ أجفانَهُ لو أنَّ السحائبَ تهمى بدمْ
ولولا الغرامُ لما شاقَه حَمامٌ دَعَا أو غزالٌ بَغَمْ (٤)

* * *

وقال ولم يتمّها :

غداً تراها جُنَّحاً على "الغضا" تطلُب عهدا من زمان قد مضَى
ما بالها خاشعةً أبصارُها إلا اذا برقُ "العقيق" أو مَضا
مُروعةً تحسَبُ فى هاماتها صوارما منه عليها تُنتَضَى
حنّتْ إلى ركب "الحجاز" تشتكى إليه من أهلِ "العُذَيبِ" مَرَضا
مالكَ فى الركبِ غريمٌ ماطلٌ؟ بلَى، على الحىّ ديونٌ تُقتَضَى
قال : وهل ترجو الوفاءَ عندهم كأنها على الأجَلِّ "المُرتضَى" (٥)

(١) فى الأصل «لأنصابهم» وهو تصحيف . (٢) فى الأصل «ووادى السلم» وهو تحريف .
(٣) اللمم : الجنون . (٤) البغام : صوت الظبى . (٥) الهاء فى كأنها عائدة الى الديون فى البيت السابق .

وقال :

وقائلٍ : لِمْ هجرتَ الشعرَ من زمنٍ ... فقلتُ قولَ أمرئٍ من خَيرِهِ يئِس :

رأيتُ هجوى أناسا معجزا لهـــمُ (١) ... وخاب مـدحى فبعتُ النُّطقَ بالخرس

وقال :

قل "لابن قُـرَّانٍ" مقالةَ ناصحٍ : ... أخطأتَ حين نكحتَ حُوراً عِينا

عَلِقتْ حِبالُك ظبيـةً وتركتَها ... وكأنهـا لم تحـو منك قرينـا

تالله أقسم أنها إن لم تعُـدْ ... بعـدَ البَكارةِ لاقـا ولَبـونا

تَركتْكَ كالسِّم أبيـكَ تفتَحُ فاهُ (٢) ... وتزيـدُ فيه بعـد راءٍ نـونا

وقال وسُئل عملَ أبيات فى النارنج :

إذا فُتِنَ الإنسانُ يوما بمنـظَرٍ ... فإنى إلى النـارنج مائلةٌ نفسى

تظنُّ السماءَ خُضرةً شجـراتِهِ ... وتحسَبه ما بينهـا كُرةَ الشمسِ

وقال يُلغز بحَرَّة :

ذاتُ أيدٍ ثلاثةٍ أبـدَ الدهـ ... ـرِ ترى فـوقَ رأسِها أيديها

---

(١) كذا بالأصل ويحتمل أن تكون "مفخرا" .

(٢) يريد أن اسمه يصير «قرنان» وهو بمعنى الديوث — وهو الذى يرى الريبة على أهله فيغض عنها —

شِرِبَتْ ماسقيتَها من شراب ثم تسقيكَ مثلَ ما تَسقيها

خَـرْتُ(١) آذانها مَغابِنُ(٢) أيدي ـها ويافُوخها مقـرٌّ لفيها

⁂

وقال يهجـــو :

قالوا : "آبن مالكَ" قرنانٌ فقلت لهم : كذبتُمُ وأثِمتم بل لـــه ذَنَبُ

لوكان يملِك قرنا كان ينطح عن شاةٍ له كلُّ تيسٍ فـــوقَها يثبُ

⁂

وقال :

عيوبٌ "لآبن مالكَ" قد كفَتنى عَناءَ الذمِّ فيـه والأهـاجى

بـــلى ! قالوا : له جارٌ جرىٌّ على نِسـوان عمال الخـراج

وليس بطـالبٍ منهنّ شيأ سوى طلب الديوك من الدَّجاج

لـــه رمحٌ بأسـفلِ حالبيْـــهِ يجيد الطعنَ فى يوم الهياج

وقد نقَهتْ عليه عِرسُ "يحيَى" على وجه التداوى والعـــلاج

لأنَّ بهـا على ما قيـــل يَبْسا وأنّ صـديقَها رطبُ المزاج

فحـاز النَّيـكَ رِحْمٌ فيلسوفٌ بـــبرهانٍ صحيـحٍ واحتجاج

فـلا تفْرِر بهـا شرقا وغربا(٣) فمـا أحدٌ من الحـدثانِ ناج

---

(١) الخرت : الثقب . (٢) المغابن : الآباط ، واحدها مغبن — بكسر الباء — .

(٣) فى الأصل هكذا « تعرر » .

* * *

وقال :

"ليحيى بن عبدالله" عِرسٌ كريمةٌ تعاتبُه أن صاغه اللهُ ساقطا

فما يمنعُ البطنَ الخميصةَ زانيًا ولا يحرِمُ الظهرَ الموطَّأ لائطا

فأىّ سبيليها أراد سلوكه أصاب له فيه شريكا مخالطا

ولو حَمَلَ "الثورُ"(١) السمائىُّ قَرنَهُ لخرَّ من الأفلاكِ بالأرض هابطا

ومن كان ذاك الوجهُ مِرآةَ وجهِهِ فلا نُكرَ أنْ يُمسِى ويُصبحَ ساخطا

عَبوسٌ تظلُّ العينُ منه قريحةً كأنّ عليه للقَتادةِ(٢) حائطا

ألا ضلَّةً للقوم ردُّوا ولايةً اليك ولو كانت تُغِلُّ قَرارِطا(٣)

فما آستحفظوا إلا ذؤيبًا مُغاورا وما آستودعوا إلا لُصَيْصامغالطا

فلا تبتهج بعاجل الأمر فيهمُ فسوف تَرى فى أخدَعيْكَ(٤) المَشارِطا

ستلقَى أليمَ الأخذ للعظم كاسرا وللّحم مِنضاجا وللجِلد سامِطا

وإن تنجُ لاينجيك من سطواته بنفسك إلا أن تُحَلَّ الخرائطا(٥)

---

(١) يريد برج الثور، — وهو أحد البروج التى تنزلها الشمس — .

(٢) القتادة : شوك شجر صلب كالإبر . (٣) قرارط : جمع قيراط — كمفتاح ومفاتح — والقيراط بمكة ربع سدس الدينار؛ وفى العراق نصف عشره، ويستعمل القيراط أيضا فى المساحة وقد جعل دستورا فى الحساب، فإنهم يقسمون المتجزئات الى أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له نصف وثلث وربع وسدس وثمن صحاح من غير كسر فيطرد التقدير به . (٤) الأخدع : عرق فى الرقبة إذا قطع لا ترجى بعده حياة . (٥) الخريطة : وعاء من أدم يشرج على ما فيه .

فأعدِدْ لهم ما خنتَ فيه سواهُمُ وعَدِّكَ (١) بالم تنظر بعينيك "واسطا"

ويا بَردَها عند الفؤادِ بأن تَرى على قارعاتِ الطُّرْق كفّيك باسِطا (٢)

* * *

وقال :

يا دُرَّةَ البحر لو أنصفت نفسك ما جعلتها سِـلكَ دُمـلوجٍ (٣) وخَلخالِ

كم ذى حُلِيٍّ وقد أزرَى به عَطَـلٌ وعاطل ليس يدرى أنـه حالِ

لولا الهوى لم يبتْ سكّانُ "كاظمةٍ" ممّن منازلهم "حِجْـرٌ" على بالِ

* * *

وقال :

علَى مَن تبيعُ متاعَ الأدبْ وتنثُرُ دُرَّ كلام العـرَبْ؟

ومن يستحقُّ حُلِيَّ المديح يصاغُ له كحُـلِيّ الذهبْ؟

* * *

وقال :

سَنَحْن كما اعترضَ الربربُ (٤) ولكنَّ صـدَّهمُ أعجبُ

وجوهٌ ترقـرقَ ماء الجما لِ فيهنّ لو أنّه يُشـرَبُ!

---

(١) عدك : اصرف نفسك . (٢) يريد أنها تراه متسولا . (٣) الدملوج : حلية كالسوار تلبس فى الذراع . (٤) الربرب : القطيع من الظباء .

⁂

وقال :

وليـلةٍ قد نسجَتْ ريحُها غـيما به آفاقُها تكتسى
ما زال يطوى النجمُ أخبارَهُ فيها عن الناظر حتى نُسِى
خلنا بها الأرضَ سماءً وقد أُطلعَ فيهـا أنجمُ الـنرجسِ

⁂

وقال :

عَذبٌ من الماءِ قد سُدّتْ مواردُه سيّانِ واجدُ ممنوع وفاقـدُهُ
تجفو تعـذُّرَ حبٍّ لست تُبصرهُ والمُـرُّ حِرمانُ محبـوبٍ تُشاهـدُهُ
أرخى ذوائبَـه دونى يُشكِّكُنى أَهْى التى ســترتهُ أم ولائـدُهُ؟ (١)!
فليت قَدْ قَدَّ من جفـنى براقعَـه وإن كفَى فُصِّلتْ منـهُ مجاسِدُه
القدُّ والخصر والطرفُ الكحيلُ له فكيفَ يُغلَبُ مَن هذى مَكايدُهُ؟!
وما أردتُ ســلُوّا عن محبّتـه إلا وقلـبى على كُلِّى يُساعـدُهُ

⁂

وقال :

يا حسنَ مَغداكَ وطيبَ الرواحْ ذاك هو السـعىُ وهـذا النجاحْ
مــذ زجَروا فألَك أعلمتُهـم إمساكَ أيديهـم عنانَ القِـداحْ

(١) ولائد : جمع وليدة وهى الأمة .

⁂

وقال :

قـد عاد بدرُ الدجى الى فلَكِهْ يغسِلُ وجهَ الظلام عن حَلَكِهْ

سَرَى وأفراسُـــه مطالعُـــهُ ونَقعهُنَّ المُثارُ من حُبُكِهْ (١)

فاقتنَص المجـدَ فوق عاتِقِـهِ واستأسر المكرماتِ فى شَرَكِهْ

أهدىَ به الفضلَ والسماحةَ والـ ـعزمَ "إمامُ الهدَى" الى مَلِكِهْ

⁂

وقال :

شَككتُ وقـــد زارنى غَلطةً أفى يقْظـةٍ ما أرى أم مَنـامْ؟!

⁂

وقال :

تسعَى بنا قدمُ الرجاءِ وما الذى يُغنِي إذا قَعدتْ بنا الأرزاقُ!!

⁂

وقال :

قومٌ كئوسُهمُ السـيوفُ وخمـرهُم ما استَخرجتْ من شاخِبِ (٢) الأوداجِ (٣)

---

(١) الحبك : الطرق . (٢) الشاخب : السائل . (٣) أوداج : جمع ودج وهو عرق فى العنق إذا قطع لاترجى بعده حياة .

وقال :

لا يهُنْ عندك اختلالٌ بجسمى فقِـــوامُ الأرواحِ بالأجسامِ

وقال :

ما يصـنَعُ المستسِرُّ[1] بالغـابِ صُـــنعَ ظِباءٍ وراءَ أطنـابِ[2]

جفـونُ هذى باللحظِ تُرسلُها أقتـلُ مِن ذا بالظُّفْرِ والنابِ

انتهى

---

(١) المستسر : المختفى ، — ويريد به الأسد — .

(٢) أطناب : جمع طنب وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .

هـــذا آخر ما وجد بالنسخة المخطوطة

* * *

"قال عبدُ الله بن إبراهيم الخِيرى" : هذا آخر ما وُجِدَ من شـعرِه ؛ وكان رحمه الله يقول :

إن أكثرَ شعرِه ضاعت مسوداتُه فى النُّهوبِ والاختلافاتِ ؛ وما كان سبب جمعِه غيرى ، وكان رحِمه اللهُ كلَّما عمِل بعد ذلك قصيدةً يُنفذها الىّ ، ويقرؤها علىّ ؛ والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلاتُه وسلامُه على محمدٍ النبىِّ الأمىِّ وآلِه الطاهرين أجمعين" .

كتبها بخطه لنفسه محمود سامى الشهير بالبارودى
من دار الكتب الشهيرة بطوپ قپوسراى
بدار الخلافة العلية بالقسطنطينية
فى شهر رمضان سنة ١٢٨٥ من
نسخة بخط ابى على
الحسن ابن على
كتبها
سنة ٥٢٦

وقد تم نسخها فى ستة ايام لضيق الوقت

إحـــتمال

نضع فى هـذه الصفحة بعضَ آحتمالاتٍ على سبيل المثال مما ورد فى هـذا الديوان لطائفةٍ من الكلماتِ التى تحتملُ وجها آخرَ غير جازمين بها إلا على وجه هذا الآحتمال وللشعر وجوه :

صفحة	سطر	
٢	٨	أعراس — يحتمل فيها فتح الهمزة على أنها جمع ، وكسرها على أنها مصدر .
٣٣	٣	مخلّق — كذا بالأصل ، ومن قراءة البيت يجوز أن يكون معناه : أن هذا الجواد لا يسبقه شيء حتى الطير المحلق فى مداه ؛ ونقول إن من المحتمل أن يكون "مُخلَّق" بمعنى ممسوح بالخلوق وهو طيب يغلب على أجزائه الزعفران ، وكانت العرب تمسح به على وجه الجواد السابق للدلالة عليه . وكان من عاداتهم أيضا أنهم اذا أرسلوا خيلا على صيد فسبق أحدها خضبوا صدره بدم الصيد بدل الخلوق علامة له .
٣٤	٣	يجنُب — كذا بالأصل ، ونرجح أن تكون "يجلِب" وإن كان للأولى معنى ولكنه غير دقيق .
٤٤	٢	طال — كذا بالأصل وله معنى بعيد ، ونحن نؤثر أن يكون صوابه "حان" .
٥٨	٩	تُزْهَى لَهُ — كذا بالأصل ومختارات البارودى ؛ ويحتمل أن تكون "تُزهَى بهِ" كما يقتضيه الآستعمال الفصيح .
٦٩	١٠	المربع — من المحتمل أن تكون "المرتع" .

صفحة سـطر

١٠٩ ٧ إن مرِضتْ ليلةً عُمْيٌ كواكبُها — كذا بالأصل ، وهو لا يخلو من معنى ؛ ويحتمل أن يكون :

* إن عَرَضَتْ ليلةً عُمَّتْ كواكبُها *

١٧٤ ٨ ليهنِك — كذا بالأصـل ويستعملها كثير من الشعراء على زعم أنها صـواب ، وقد جاء فى اللسان : « والعـرب تقول : ليهنئـك الفارس — بجزم الهمزة — ، وليهنيك الفارس — بياء ساكنة — ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة » .

ملاحظـــة

شرحت كلمتان فى هـذا الديوان بغـير المعنى الذى يقتضيه سياقهما ، الأولى فى صـفحة ١٤٢ رقم ٢ من الشرح وهى « السابرى » : الثوب الجيـد ؛ وصوابه «الدرع المحكمة النسج» . والثانية فى صفحة ١٥٨ رقم ٧ من الشرح وهى «المزاد» : وعاء يوضع فيه الزاد ، وصوابه : « وعاء من جلد يوضع فيه المـاء » .

إســـتدراك

نستدركُ فى هـذه الصفحة أغلاطا وقَعتْ فى هـذا الديوان أثنـاء الطبع ، وهى و إن كانت لا تخفَى إلا أنّنا آثرنا أن ننبه عليها ليرجعَ اليها القارئ فى محلِّها .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٠	دَهُرِيَّة	دُهْرِيّة
٣٤	٤	المُصيف	المَصيف
٣٦	١٢	يزال	زال
٤٩	٧	وحشَ	وحِش
٥٥	٧	ياعزّ	بأغَرَّ
٥٥	٧	فوق	فَرْق
٥٧	١٠	الصورُ	الصدرُ
٦٨	١٢	أطلال	أظلال
٦٨	١٢	الرجال	الرحال
٧٠	٥	سحابةٍ	سحابُهُ
٨٤	٢	يقطُف	يقطِف
٩٣	٩	مِـاح	مُراح
١١١	١١	تعرَّضَ	تعرَّضْ
١١٧	٩	مِرهم	مَرهم
١١٩	١	أصوم	أحوم
١٣٤	٤	قُطار	قِطار

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	٧	قُطار	قِطار
١٤٠	٢	فأعلَى	فأغلَى
١٤٧	١٤	شُمُتُ	شُمُتُ
١٦٠	٤	قَسٌّ	قُسٌّ
١٦٥	٨	يُخْدَع	يُجْذَع (١)

(١) يجذع : يصير جذعا — وهو من الخيل والإبل — ما قبل الثنى .

(مطبعة الدار ٤٨/١٩٣٢/٢٢٥٠)

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the library rules or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
C28(946)M100			

893.7Sa75 L

MAY 6 1947

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59020148
893.7Sa75 L
Diwan Sarra Durr /